أمهات الصحابة

سيرتهن * آثارهن

رضي الله عنهن

تأليف

د/ أحمد خليل جمعة

دار الخلفاء الراشدين

أمهات الصحابة
سيرتهن * آثارهن
د/ أحمد خليل جمعة



أمهات الصحابة

سيرتهن ✷ آثارهن



رقم الإيداع
٢٠١٧/١٧٤٢١م

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية - أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧



تأليف

د/ أحمد خليل جمعة



بسم الله الرحمن الرحیم

المقدمة وعرض الكتاب

* الحمدُ لله الذي جَعَلَ العِلْم أُمَّ المحاسنِ والفضائل، ومناطَ المكارمِ والشَّمائل، وجعلَ سيرةَ أُمَّهاتِ الصَّحابة مناراتٍ يهتدي بمشكاتها المُحبُّون، وعلاماتٍ يقتدي بها السَّالكون.

* والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الأُمِّيِّ الذي احتفى بالأُمَّهاتِ، وعلى أصحابهِ الذين تبوؤُا أعالي الدَّرجات، وتربُّوا على أيادي أُمَّهاتهم الطَّاهرات.

* **أَمَّا بعدُ**: فإنَّ معرفةَ حياةِ أُمَّهاتِ الصَّحابة زادٌ كريمٌ، ومنهاجٌ قويمٌ، وإرشادٌ عظيمٌ، يقودُ إلى سُبُلِ السَّلام وكفى، ويعرِّفُنا حقوقَ النَّبيِّ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* حرصَ الأسلافُ الأماجدُ على تعليم أبنائِهم أُمَّهاتِ العلوم، وفي مقدِّمتها: القرآنُ، والحديثُ، وسيرُ الصَّحابة، والفقْهُ، وغيرُها، وفي ذلك مجدٌ لا يُسامى، وعزٌّ لا يُبارى، فصار الأبناءُ قادةَ الدنيا، وسادةَ النَّاس؛ لأنَّهم مشَوا على سيرةِ خيرِ أُمَّةٍ أُخرجت للنَّاس.

نقاط مهمة في تصنيف الكتاب

* بفضلِ الله صِيْغَ الكتابُ وفقَ المنهجِ العلميِّ بطريقةٍ سهلةٍ موحيةٍ، وذلك عبرَ نقاطٍ مُهمَّةٍ منها:

١- اختِيرَتْ سيرةُ الأُمَّهات اختيارًا دقيقًا، فألقيتُ الأضواءَ على حياةِ كُلِّ أُمٍّ ونشأتِها، ثمَّ على تربيتها لأبنائها وبناتِها، وتوجيهم إلى سُبُلِ الهدى والرَّشاد.

٢- أُثِرَتْ عن هؤلاء الأُمَّهات كلماتٌ قليلةٌ، ولكنَّها كثيرةُ البركةِ والنَّفع، فهي مقتبسَةٌ من القُرآن والسُّنَّة.

٣- جاءتْ سيرةُ أكثرَ منْ أُمٍّ مقتضبةً، فأخبارهنَّ ضَحْلَةٌ في المصادر، ومنهنَّ أُمَّهاتُ مشاهيرِ العَالَمِ من مثل: زينبُ أُمّ عبد الله بن عمر، وأُميمةُ أُمّ أبي هريرة، ولبابةُ أُمُّ خالد بن الوليد، وأُنَيْسَةُ أُمّ جابر بن عبد الله... وغيرهنَّ ولم تكنْ صياغةُ سيرتهنَّ سهلةً، أو قريبةَ المنال، فاللهُ وحده يعلمُ مدى الجهدِ الذي يُصادفُ الباحثَ، وهو ينظمُ عِقْدَ هذهِ الجواهر والدُّرر.

٤- صِيغَتْ بعضُ سيرِ الأُمَّهات بشيءٍ من التَّفصيل، وكانت لهنَّ آثارٌ واضحةُ المَعالم في الحياةِ النِّسويَّةِ في زَمنِ النُّبوَّة؛ فالخلافةِ الرَّاشدةِ، ومنهنَّ: أسماءُ أُمُّ عبد الله بن جعفر، وهندُ أُمُّ معاوية بن أبي سفيان، وعمرةُ أُمُّ النُّعمان بن بشير... وغيرُهُنَّ، وكانت هؤلاء الأُمَّهاتُ وأزواجُهنَّ وأولادهُنَّ وبناتُهنَّ من عدادِ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٥- علمْنا من خلالِ حياةِ هؤلاء الأُمَّهات أنَّهنَّ قرشيات وأنصاريَّات، ومن قبائلَ شتَّى، كما عرفْنَا جوانبَ مهمَّةٍ من السِّيرة النَّبوَّية، وسيرِ بعضِ كبراء الصَّحابة، وبعضِ الأحكامِ، والرَّقائقِ، والمعارفِ المفيدةِ، من مثل: قصَّةُ تحويلِ القبلة إلى المسجد الحرام، وغَسْلُ المرأة لزوجها، وبيعةُ النساء، ومكانةُ أَهْل بدر.

٦- استقرأْنا كثيرًا من الفوائدِ التَّربوية، إذ إنَّ كثيرًا من الأُمَّهات يمتلكْنَ قدراتٍ حيويةً مباركةً قد لا يمتلكُها أشداءُ الرِّجال، فالأمُّ هي الواحةُ المُخْضَرَّةُ التي يستلهمُ منها الأبناءُ أمورَ حياتهم.

٧- زُيِّنَتْ لَبَّاتُ الكتابِ بأطواقٍ لؤلؤيةٍ من الأدبيَّاتِ النَّادرة، وكلَّفني اصطفاؤُها جهدًا وزمنًا يعرفُه ذوو العِلْم والإنصافِ، ويدركون قيمةَ هذه الجواهرِ والدُّرر وجمالَها.

٨- رأينا في أردانِ الكتابِ رقائقَ نادرةً، منها: أنَّ كثيرًا من الأُسَر قد تشرَّفَتْ بالصَّحبة النَّبوية: الأُمُّ، الأَبُ، الأبناءُ، البناتُ، الجدُّ، الجدَّات... من مثل: الأسرةُ البكريَّةُ، الأسرةُ العمريَّةُ، الأسرةُ الجعفريَّةُ، الأسرةُ الجابريةُ، الأسرةُ الحذيفيةُ... وهناك رقائقُ أخرى نادرةٌ نوَّهْتُ إليها في تضاعيفِ الكتاب...

أسباب تصنيفِ الكتاب:

* تظهرُ بين الحينِ والآخر جماعةٌ من المُتعالمين الذين يَقْلِبونَ الموازين، ويجعلون العِلْم عِضِين، ويركبون لججَ المُخالفات، ويركنُون إلى خضمِّ الشَّبكةِ العنكبوتية -بل الأفعوانيَّة، أو العقربيَّة- ظانِّين أنَّها مناجمُ علْمٍ ومعرفةٍ، فاحتطبُوا، وانتفخُوا، واخلولقُوا ينفثون السُّمومَ في المجالسِ، أو على وجوهِ الشَّاشات الصَّغيرة والمسموعةِ والمحمولةِ، وشرعوا يتطاولون على أهلِ العِلْم والاختصاصِ، فلم يسلمْ منهم القدماءُ كأكَابرِ الصَّحابة والصَّحابيات، وكبارِ التَّابعين، وأمراءِ الحديثِ والفقْهِ، في خيرِ النَّاسِ وخيرِ القرون، بل لم يسلمْ منهم المعاصرون، وأتوا بالعجائبِ والغرائبِ والمصائبِ والمثالبِ، فدلَّ على أنَّهم مُتَفَيقهون، موهومون، متورِّمون، ثرثارون، متضلِّعون بالجهلِ والوَحْل، مُفْلِسون بضاعتُهم فاسدةٌ كاسدةٌ مسمومةٌ؛ ممزوجةٌ بالأوهامِ والإيهامِ، والبهتانِ والهذَيانِ، وهم مع ذلك كُلِّه يخادعون أنفسَهم، ويفْتُون الأنامَ بأمورٍ ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان، ويأتون بالبليَّاتِ والخرافاتِ والتَّصحيفات المُضْحكة، ويتكلَّمون العامية التي تفسدُ اللسانَ العربيَّ المبينَ، ولم يتركوا مغْرزَ إِبْرة في جسْم العِلْم إلا أفسدوهُ وسمَّموه... وظنُّوا كلَّ الظَّنِّ أنَّ العِلْمَ يُنالُ بالرَّاحةِ والسُّرعةِ والسُّهولة، وغابَ عن عقولهم أنَّ العِلْمَ مذاكرةٌ ومُدارسةٌ وتَلَقٍّ من لَدُن أهلِ الاختصاص.

* لهذهِ الأمورِ وأمثالها؛ رأيتُ أنْ أُقدِّمَ صورةَ أُمَّهاتِ الصَّحابةِ مَجْلُوَّةً بعيدةً عن العَبَثِ والغَبش والنَّمش، وأنْ أبرزَ أعمالهنَّ وآثارهنَّ للناس، حتى يعلمَ الحاضرُ والبادي أنَّهنَّ كُنَّ في خيرِ أمةٍ أُخرجت للنَّاس، وأنهنَّ قدمْنَ من الفضائلِ ما لم تقدمْهُ نساءُ الأُمم الأخرى...

* وها هو الكتابُ بين يديك -حبيبَنا القارئ- يخبركَ بما قصدتُه وأردتُه، واللهُ وحده يتولّى السَّرائر فهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصير.

خطة الكتاب ومنهجه:

* تطلَّبَ تأليفُ الكتابِ مقدمةً، وأبوابًا ثلاثةً، وخاتمةً، وفهارسَ.

فأمَّا المقدمةُ: فقد أوضحتُ في تضاعيفها سيرورةَ العملِ والمنهج، وما جاءَ من إشراقاتٍ وفوائدَ عن أُمَّهاتِ الصَّحابة، وتحديد مفهومِ كلمةِ الأُمَّ، والصَّحابة، والبُنُوَّة.

الباب الأول- عنوانه: أمهات من قريش ومكة:

* ترجمتُ في هذا البابِ لعشرِ نسوةٍ، كُلّ واحدةٍ منهنَّ لها سجلٌّ حافلٌ بالعطاء في ديوان العظائم، وافتتحتُ البابَ بأُمِّ شيخ الصَّحابة؛ أُمِّ الخير سلمى بنتِ صخر، ثم ختمتهُ بأُمِّ مَلِكِ الإسلام وكاتبِ الوحي هندِ بنتِ عتبة، وكان الحديثُ عن الأُمَّهات وافيًا، عرفنا من خلاله حياةَ بعضهنَّ للمرَّةِ الأُولى، من مثل: سيرة أُمّ مِسْطح التي جاءتْ مفصَّلةً، وتعلَّمنا من خلالها كثيرًا من الفوائد.

البابُ الثاني- عنوانه: أُمّهاتٌ من الأنصار:

* تحدثتُ عن عشر أُمَّهاتٍ أيضًا، أولهنَّ: أُمَّ بشْر بن البراء، وختمتهُ بالكلام عن أُمِّ النُّعمانِ بنِ بشير، وقد جاءت في هذا الباب أشياءٌ مفيدةٌ من السِّيرة النَّبويَّة، وبعضِ الأمور الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، كما تعرَّفْنَا سيرَ أُمَّهاتٍ لم يتطرَّقْ إليها الكاتبون من قبلُ من مثل: سيرةُ أُمِّ جابرِ بنِ عبد الله، وأُمِّ سعدِ بنِ عبادة، وغيرهما. وعلى العمومِ فقد تضمَّنَ البابُ فوائدَ وفرائدَ وقلائدَ نادرةً.

البابُ الثَّالثُ- عنوانُهُ: أُمَّهاتٌ من قبائلَ متفرِّقة:

* تكلَّمتُ عن خمسِ أُمَّهات هنَّ: أُمُّ بلال، أُمُّ شُرحبيل، أُمُّ عبد، أُمُّ عثمانَ بن طلحة، أُمُّ أبي هُريرة...

* بدأتُ البابَ بسيرةِ أُمِّ بلالِ بنِ رباح، وختمتهُ بسيرة أمِّ شيخ الحفَّاظ أُميمةَ أُمِّ أبي هريرة، وفي هذا البابِ فوائدُ مجموعةٌ تعطِّرُ المجالسَ بنفحِ الطِّيب.

الخَاتمَــةُ:

* تضمَّنَتْ ما جاء في الكتابِ من نقاطٍ مهمة تمَّ التَّوصلُ إليها ومعرفتُها، مع بيانِ ما وردَ من ملاحظاتٍ مفيدةٍ في المقدمةِ وسائرِ الأبواب.

مصَادرُ الكتابِ وينابيعُهُ:

* ما كانتِ المواردُ والينابيعُ العلميّةُ قليلةً، فقد تجاوزت الألفَ وزيادة، حتى صار الكتابُ على الصُّورة الحاليةِ، وأحسبُ أنَّه ذو أسلوبٍ جديد، وذو مذاقٍ أدبي منعشٍ يدخلُ البهجةَ والسُّرور إلى النُّفوس. وسأذكرُ المصادرَ بشيءٍ من الإيجاز، ومنها:

١- **القرآن الكريمُ وعلومُه وتفاسيرُه وأحكامُه:** تحدَّثَ القرآنُ عن الصَّحابة نساءً ورجالًا، وأثنى عليهم، ثم جاءت كتبُ التَّفسير وعلومُ القرآن الأخرى، فبيَّنتْ فضائلَ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين.

٢- **الحديثُ النَّبويَّ وعلومُهُ وشروحُهُ:** فصَّلَت كتبُ الحديثِ في أبوابٍ معروفةٍ مناقبَ الصَّحابة والصَّحابيات، وفي مقدمتها: الصَّحيحان، فالسُّنُنُ، والمسانيدُ، والمستدركاتُ، والمعاجمُ، وكتبٌ أخرى مشهورةٌ عند أهل العِلْم والاختصاص.

٣- **كتبُ الطَّبقاتِ والصَّحابةِ والرِّجالِ:** هذه المصادرُ هي صُلْبُ الكتاب وعمادُهُ، ولا تُحصَرُ ومنها: طبقاتُ ابنِ سعد، وأُسدُ الغابة، والإصابةُ، وميزانُ الاعتدال، وعشراتٌ غيرها...

٤- **السِّيرةُ النَّبويةُ وشروحُها والمغازي والشَّمائل:** تُبرِزُ هذه المصادر صورَ أُمَّهات الصَّحابة، وتجلو دورهنَّ في الجهادِ وشؤون الحياة، ومنها: السِّيرةُ النَّبويةُ، وسُبلُ الهدى والرشاد، وشرحُ المواهب اللدنية.

٥- التَّواريخُ والأنسابُ والبلدانُ: أسهمتْ هذه المصادر في بيانِ الأزمنةِ والأمكنةِ والقبائل، ومنها: تاريخُ مكَّة والمدنية، ودمشق، وبغداد، وحلب، ونسبُ قريش، والاستبصارُ في نَسَبِ الصَّحابة الأنصار، وجمهرةُ أنسابِ العرب، ومعجمُ البلدان...

٦- كتبُ الأدبِ المتنوعة: تبعثُ هذه الكتبُ الأُنْسَ والسُّرور في النُّفوس، وتُضفي السَّلاسةَ والطلاوةَ على الكتابِ، ولا تكادُ سيرةُ أُمٍّ تخلو من لَمسَةٍ أدبيةٍ تجعلُها متألقةً جميلةً، وهذه المصادر منثورةٌ في الكتاب وفي الفهرس.

٧- المعاجمُ اللغويةُ واللسانياتُ: كشَفَتِ المعاجمُ عن معاني الأسماء، وذللتِ الصُّعوبات، وبيَّنَتِ المُشتَبِهات، وأوضحت مكانةَ الأسماءِ عند العرب، ومنها: لسانُ العرب، والقاموسُ وشرحُه، والصِّحاحُ، والاشتقاقُ، وغيرها كثير...

٨- مصادر متنوعة: هذه المصادرُ لا تحصرُ، وفي أولها كتبُ الرقائق، والأمالي، والمجالسُ، والمحاضراتُ، والطِّبُّ، والموسوعاتُ الفقهيةُ والأدبيةُ، وبعضُ الدراسات المتفرقة عن علم التَّاريخ والسِّيرة والشَّخصيات في أيَّام النُّبوَّة، والخلافةِ الراشدة، فالأموية...

وفي الختام: نسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يوفِّقنا إلى ما فيهِ الخير والصَّلاح، وأنْ يتقبَّلَ منَّا، وأرجو من القُراء الأحبابِ أنْ يخصُّوني بدعوةٍ خالصةٍ في ظهرِ الغيب، وأنْ يرشدوني إلى الصَّواب، فكلُّ مَنْ أَلَّف استُهدف؛ وربما يسهو الإنسانُ، وتفوتُه أشياءُ، فلا تنسوني من النُّصح والإرشاد، والحمدُ لله أوّلًا وآخرًا.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وكتب

محب الصحابة وخادمهم

أحمد خليل جمعة الحرستاني الدمشقي

غرة ربيع الأول ١٤٣٧هـ

بينَ يدي الكتاب
وقفةٌ مع: الأُمِّ والصَّحابةِ

* الحمدُ لله العزيزِ الغفَّار، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ المختار، وعلى أصحابهِ النُّجباءِ الأبرار.

* **أمَّا بعدُ**: فقد اقتضتِ الحكمةُ الإلهيَّةُ أنْ تمدَّ الأُمَّهاتِ بالحنو والعطفِ، فهنَّ لَبِنةٌ مهمةٌ في بناءِ المجتمع، يمنحنَ أبناءهنَّ الرعايةَ والمحَبةَ، ويبذرنْ فيهم الأخلاقَ والمودَّةَ، وقد كانت أمهاتُ الصحابةِ ذواتَ مكارمَ عظيمةٍ؛ فلم يتركْنَ فضيلةً إلا نشرنَها في ربوعِ الأبناء.

* وفي الفقراتِ الآتيةِ نتعرَّفَ معاني كلمة: الأُمُّ والصَّحابةُ، لتتوضَّحَ قَسماتُ الكتابِ، وتكونَ الرحلةُ العلميَّةُ شائقةً ممتعةً مفيدةً، بإذنِ الله عَزَّوَجَلَّ.

أوَّلًا - الأُمُّ:

* كلمةُ الأُمِّ تمنحُ النُّفوسَ الرضا والهدوء، ولها مدلولاتٌ متنوعةٌ، ومعانٍ جمَّةٌ، وافت بها أُمَّاتُ المصادر اللغوية.

* فإذا جاء لفظُ «الأُمِّ» مُطلقًا؛ فإنَّما يَقَعُ على الوالدةِ من كَلِّ حيوانٍ، وإنْ جاءَ مختصًّا بالإنسانِ فَيُرادُ به الأُمُّ الحانيةُ التي وصَفَها القرآنُ الكريمُ بالاحترام والإكبار، وأوصى الابن ببرِّها، فقد: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤].

* وأكَّدتِ الأحاديثُ النَّبويةُ على عظمِ مكانةِ الأُمِّ وفضلها، وأوصت بها مرارًا وتكرارًا.

* وردَتْ كلمةُ الأُمِّ الوالدةِ في القرآنِ الكريم على اشتقاقاتٍ كثيرةٍ، منها: «ابنَ أُمَّ: أي ابن أُمِّي، وأُمّ موسى: والدته، وأُمُّكِ: والدتكِ، وأمُّهات، وأُمُّهاتكم، أُمَّهاتهم، أُمّي، والدتي».

* ومن معاني الأُمِّ في معاجمِ اللغةِ وبحارِها وقواميسِها: «المَئِمُّ: الدَّليلُ الهادي العارفُ بالهدايةِ... والأُمُّ: الوالدةُ، وقد تُكْسَرُ فيقال: الإِمُّ، والأُمَّهة، وجَمْعُ الأُمِّ: أُمَّات، وأُمَّهات، قال المُبرِّدُ: الهاءُ من حروفِ الزِّيادة. قالوا: أُمَّاتٌ لِمَنْ لا يَعْقِلُ، وأُمَّهاتٌ لمن يعقلُ، وربَّما جاء عكسُ ذلك... وأُمُّ كلِّ شيءٍ: أصلُهُ وعمادُهُ، وأَمَّتْ أمومةً: صارت أُمًّا. والأُميمةُ: تصغيرُ الأُمِّ، ويُقال: أُميهةُ. وأميمةُ خمسَ عشرةَ صحابيةً. واشتقَّتِ العربُ من الأُمِّ اسمًا لبناتِهم ونسائِهم فقالوا: أُمامةُ، ويوجد عددٌ من الصَّحابيات اسمهنَّ: أُمامةُ. ويُقالُ: هما أُمَّاك أي: أبواك على التَّغليب، أو أُمَّك وخالتك: أُقيمَتِ الخالةُ بمنزلةِ الأُمِّ».

* ومما يلفتُ نظرَ المحبِّ ولُبَّه أنَّ القرآنَ الكريم قد وردَتْ فيه كلمةُ: الأبوَيْن، والوالدَيْن...

* فإذا كانتِ الكلمةُ «الوالدين»: فَيُرَادُ بها الأَبُ والأُمُّ مع الميلِ إلى جهةِ الأُمِّ؛ لأنَّ الكلمةَ مشتقةٌ من الولادة، والولادةُ صفةٌ لازمةٌ للأُمِّ من دونِ الأَبِ، كما أنَّه إذا وردت كلمةُ الوالدين؛ فإنَّها تدلُّ على معاني الرحمةِ والإحسانِ والمغفرة ليناسبَ الأُمَّ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

* أمَّا إذا كانتِ الكلمةُ «الأبوَيْن»: فَيُرَادُ بها الأَبُ والأُمُّ، مع الميلِ إلى جهةِ الأبِ، إذ إنَّ الكلمةَ مشتقةٌ من الأبوَّة. وإذا وردت كلمةُ الأبوين؛ فإنَّها تدلُّ على تحمُّلِ المسؤوليات الجِسَام، كالإنفاقِ، والميراثِ، وما شابه ذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف:١٠٠]. واللهُ تعالى أعلم.

ثانيًا- الصَّحابَةُ:

* الصَّحابةُ: كلمةٌ مباركةٌ تدلُّ على مَنْ لَقِيَ النَّبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وصَحِبَهُ، والصُّحبةُ: تعني الملازمةُ والانقيادُ.

* وكلمةُ الصَّحابي: مفردٌ، وجمعُها: أَصْحَابٌ، وأصاحيبُ، وصُحبانٌ، وصِحَابٌ، وصَحْبٌ، وصَحَابةٌ، ومؤَنثُ صحابي: صحابيةٌ، وجمعُها: صَحابيَّات.

* والصَّحابيُّ: مَنْ لَقِيَ النَّبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على الإسلامِ. وقيل: مَنْ صَحِبَ النَّبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو رآهُ، أو لَقِيَهُ ولو ساعةً من نهار، فهو من الصَّحابة، أو: هو من أصحابهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال السُّيوطيُّ في أَلفيَّتِهِ:

حَدُّ الصَّحابي مُسْلمًا لاقَى الرَّسُول وإنْ بِلا رِوَايةٍ عَنْه وطُوْل

* وقد أفاضَ القرآنُ العظيمُ بالثَّناء على الصَّحابة رجالًا ونساءً، وشهدَ لهم بالسَّبْق والمكارم، وجميع الفَضَائل.

وكذلك نجدُ الأمْرَ نفسَه في أحاديثِ سيِّدِ المُرسلين، ثم جاء التَّابعون فَمَنْ بعدهم واعترفوا بفضل الصَّحابة، وأقروا بأفضليتهم، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وحشرنا في معيتهم.



البَابُ الأوَّلُ

أُمَّهَاتٌ من قُريش ومكَّة

وفيــه:

١- أُمُّ شيخ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢- أُمُّ السائب بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣- أُمُّ سيف الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤- أُمُّ أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٥- أُمُّ عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٦- أُمُّ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٧- أُمُّ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٨- أُمُّ الفضل بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٩- أُمُّ مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١٠- أُمُّ معاوية ملك الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



أُمُّ شَيْخِ الصَّحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

ﮩ أمُّ أوَّلِ مدعوٍّ إلى الإسلام، وهو شيخُ الصحابة وأفضلُهم.

ﮩ دعا لها النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلَمَتْ في دار الأرقم.

ﮩ توفيتْ في أوائل الخلافةِ العُمريَّةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعن ابنها.



أُمُّ شيخ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أَثْبَتُ البشَر وأُمُّه:

* أنَّى اتَّجهتَ إلى المكارم تجد هذه الأمَّ الخيرةَ في ذِرْوَتها، ولا عجبَ في هذا، فإنَّ لها خصيصةً نادرةً بين أُمَّهات الصَّحابة، فهي أمُّ:

رفيقِ خيرِ الخَلْق بَعْدِ صَحْبِهِ   خَيْرِ الرِّجالِ بَعْدَهُ مِنْ حِزْبِهِ

* وأمُّ أوَّلِ مدعوٍ إلى الإسلام، شيخِ الصَّحابة وسيدهم، وأفضلِ أتباعِ الأنبياء والمرسلين، الصِّدِّيقِ الأكبرِ، والصَّاحبِ الأخصِّ لسيِّد البشَر. ابنُ أُمِّ هذه الأُمّ الخيّرة، العتيقُ الصِّديقُ، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مِنْ تَيمٍ العَتيقُ ذو المسَاعي   عن عَدِّها يضيقُ ذَرْعُ باعي
أَنَفَق أربعينَ أَلْفَ درهمِ   على النَّبيِّ غير ذي تَلَعْثُم
لَّما دعَاهُ للهدى خَيْرُ مُضَر   ويومَ ماتَ كان أَثْبَتَ البشَر[1]

* وأُمُّ أثبتِ البَشَر هي: أُمُّ الخيرِ سَلمى بنتُ صخر التَّيميَّةُ القرشيَّةُ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وبنتُ صَخْر أمُّهُ المُبايعَة   سَلمْى بأُمِّ الخيرِ تُكنى الرَّائعَة[3]

(١) عمود النسب الشريف لأحمد البدوي بن محمدا (ص٦٢)، المكتب العربي للخدمات الثقافية، موريتانيا، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، وقوله: «تيم»: قبيلة أبي بكر الصديق. و«يوم مات»: أي يوم وفاة حبيبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تاريخ خليفة (ص١٠٠)، وغربال الزمان (ص٢١)، والعقد الثمين (٨/ ٣٣٧)، ونهاية الأرب (١٩/ ٣)، والمعارف (ص١٦٨)، والوافي بالوفيات (١٧/ ١٦٤)، والمنتظم (٤/ ٥٣)، ومعجم الصحابة للبغوي (٣/ ٤٤٧)، وأسد الغابة (٧/ ٣١٤)، والاستيعاب (ص٩٥٠)، والإصابة (٨/ ٢٢٨)، وسبل الهدى والرشاد (٢/ ٤٢٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١)، وغيرها كثير جدًا.

(٣) عمود النسب الشريف (ص٦٢).

* هذَّبَ في (تهذيبه) النَّوويُّ سيرةَ أُمِّ الخير فقال: «وأمُّ أبي بكر: أمُّ الخير بنتُ صخر ابنِ عامر... أسلمَ أبو بكر، وأُمَّه وصَحِبَا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[١].

عَراقَةُ أُصولِها:

* استعرضَ الطَّبرانيُّ نَسَبَ أُمِّ الخيرِ، وقدَّمَ فوائدَ جمَّةً تدلُّ على عَراقَتِها، فقال: «وأُمُّ أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أُمُّ الخير سلمى بنتُ صخر بنِ عامر... وأمُّ أُمِّ الخير: دلافُ، وهي أميمةُ بنتُ عُبيد بنِ النَّاقد الخزاعيُّ، وجدَّةُ أبي بكر أُمّ أبي قحافة: أمينةُ بنتُ عبد العُزَّى...» وقال أيضًا: «أُمُّ أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُقالُ لها: أُمُّ الخير بنتُ صخر بنِ عامر...»[٢].

* وشاركَ الشيخُ محمَّد الآلاتي في تحبير السِّيرة البكْريَّةِ، وسيرة أُمِّ الخير، فقال: «وأُمُّه: أُمُّ الخير سلمة، وقيل: ليلى بنتُ صخر بنِ عامر، أسلمَتْ قديمًا حين كانوا في دار الأرقم، وأسلمَ أبوهُ يومَ الفتح... قال بعضُهم: لم يكن أحدٌ من المهاجرين والأنصار أسلمَ هو، وأبوهُ، وأُمُّهُ، وبنوُهُ، وبناتُه، غير أبي بكر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين»[٣].

* وقال ابنُ حبيب: «وأُمُّه: أمُّ الخير، وهي سلمى بنتُ صخر بن عامر، وأُمُّها: أميمة، وهي دلافُ بنتُ عبيد الله بن النَّافذ...»[٤].

* سعَتْ أُمُّ الخير قَدْرَ طاقتِها ليكونَ ابنُها من أكملِ النَّاس، فربَّتْهُ على الخصالِ الحميدة، والخِلالِ الرّشيدة، والمعالي السَّديدة، فكان من رؤساءِ قريش في الجاهلية، ومن أهلِ مشاورتهم في أمورهم، وكان مُحبّبًا فيهم، ومألفًا لهم، وأُنسًا لمجالِسهم، ولما جاءَ الإسلامُ كان أَوّلُ الرِّجال دخولًا فيه، وصحبَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يفارقْهُ في سَفَرٍ ولا حَضَر، وكان الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرمُهُ، ويجلُّهُ، ويُعرِّفُ الصَّحابةَ مكانَه،

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١).
(٢) المعجم الكبير (١/ ٥٢و٥٣).
(٣) رفع الخفا شرح ذات الشفا (٢/ ١٣٧).
(٤) المحبر لابن حبيب (ص١٢).

ويثني عليه في وجهِهِ، وسمَّاه صِدِّيقًا[1]، ومناقبُهُ غيرُ منحصرة، ولا يمكنُ استقصاؤها ولا الإحاطةُ بعُشْرِ معشَارها، بل إنَّ حبَّه، ومعرفةَ فَضْلِه منَ السُّنَّة:

وَمَـدْحُـهُ قَـدْ جَـاءَ في الـقُـرآنِ وكـم حَـدَيـثٍ صَـحَّ في ذَا الشَّان

أُمُّ الخَيرِ الخَيِّرةُ:

* مكارمُ أُمِّ الخيرِ تشبهُ عقودَ الجُمان في جمالِها وأَلَقها، ولها أخبارٌ لطيفةٌ في مضمارِ الأُمومةِ ونَسقِها، فهي صحابيةٌ وأمُّ صحابي، وزوجُ صحابي، وجدَّةُ صحابة، بل جدَّةُ إحدى أُمَّهاتِ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* أودَعَ ابنُ حُديدة الأنصاريُّ في (مِصْباحِهِ) معلوماتٍ رائقةً عن أُمِّ الخيرِ الخيِّرة، وأشارَ إلى قصة إسلامِها النَّيِّرة، فقال: «وأُمُّ أبي بكر: أُمُّ الخيرِ سلمى. قال محمدُ بنُ سلام الجمحيُّ: قلتُ لمحمدِ بنِ داب المدينيِّ: مَنْ أُمُّ أبي بكر؟ فقال: أُمُّ الخير؛ هذا اسمُها، وهي ابنةُ عمِّ أبي قحافة، وأمُّها من خُزَاعَةَ، وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسولَ الله، هذه أُمّي، وأنتَ مباركٌ؛ فادْعُ اللهَ لها، وادعُها إلى الإسلامِ، فَدَعَا لها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلَمَتْ، وكان إسلامُها قديمًا مع ابنها أبي بكر... وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أسلمتْ أُمُّ أبي بكر، وأُمُّ عثمان، وأُمُّ طلحَة، وأُمُّ الزُّبير، وأُمُّ عبد الرحمن بن عوف قديمًا مع إسلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»[2].

---

(١) قال النَّاظمُ في تسميةِ أبي بكر:

سمَّاهُ خيرُ الأنبيا صِدّيقا وكانَ في الغَار له رفيقَا
وأنفقَ الأموالَ في الإسلامِ على النَّبي وصحبِهِ الكرام

رفع الخفا (٢/ ١٨٧).

(٢) المصباحُ المضي في كُتَّاب النبي الأمي (ص٣٢) بتصرف يسير، صححه وعلَّق عليه الشيخ محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، وانظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري (٣/ ١١٨).

أبشِـــري:

* تواجُهُ الباحثَ قصصٌ عجيبةٌ في كتبِ الأخبارِ والأسـمارِ والمحاضراتِ والمُحاورات، تحملُ بين طيَّاتها بعضَ الغَرابةِ عن المشَاهير، ومن هذه القصصِ ما ذكَرهُ الصِّقلِّيُّ عن السَّيدة أُمِّ الخير، حيثُ زعمَ أنَّها سمعَتْ هاتفًا يبشِّرُها بابنها العتيق[1] أبي بكر يومَ ولادتِها له، فقال ما خلاصتُه: «قال أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسولَ الله، ما سجدْتُ لِصَنمٍ قطُّ... وذلك أنِّي لما ناهزْتُ الحُلمَ؛ أَخَذَني أبو قحافة إلى مخدعٍ فيه الأصنامُ، فقال لي: هذه آلهتُك، فاسجدْ لها، وتركَني وذهبَ؛ فدنوتُ من الصَّنَم، وقلتُ له: إنِّي جائعٌ فأطعمني، فلم يجبْني، فقلتُ: إنِّي عطْشَان فاسقني، إنِّي عارٍ فاكْسني، فلم يجبني، فأخذتُ صخرةً وألقيتُها عليه، فخرَّ لوجههِ، فأقبلَ والدي وقال: ما هذا يا بنيَّ؟ فقلتُ: هو الذي ترى، فانطلقَ بي إلى أُمِّي، فأخبرَهَا، فقالت: دعْهُ، فهذا الذي ناجَاني بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!! فقالتْ: ليلةَ أصابَني المخاضُ لم يكنْ عندي أحدٌ، فسمعتُ هاتفًا يهتفُ، ويقول:

يـا أَمَـــةَ اللهِ عـلـى التَّحقيق	**أَبْـــشِـــري بـالـــوَلَـــدِ الـعَـتـيـق**
اسمُـــه في الـسَّـمـا الـصِّـدِّيـق	**لمحـــمّـــدٍ صـــاحـــبٍ ورفـــيـــق**

ولما انقضى كلامُ أبي بكر نزلَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: صَدَقَ أبو بكر...»[2]!!

---

(١) قال عمارةُ بنُ غزيةُ: «سألتُ عبدَ الرحمن بنَ القاسم عن اسم أبي بكر الصِّديق، فقال: عتيق؛ وكانوا إخوةً ثلاثة بني أبي قحافة: عتيق، ومُعتق، وعُتيق».

وروى الطَّبرانيُّ عن القاسم بنِ محمد: «أنَّه سألَ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن اسم أبي بكر، فقالت: عبد الله، فقال: إنَّ الناسَ يقولون: عتيق، قالت: إنَّ أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سمّاهم عتيقًا ومعتقًا ومعيتقًا». صحيح وضعيف تاريخ الطبري (٣/ ١١٨).

(٢) أنباء نجباء الأبناء (ص٤٢و٤٣) بتصرف يسير. وانظر: المصباح المضي (ص٣٨و٣٩).

أتعجبين من هذا؟

* لا نزالُ نرتعُ مع الغرائبِ ونقرأ الأقاصيصَ التي تدعو إلى العجب، فقد قصَّ ابنُ ظفر الصِّقلِّيُّ قصَّةً أخرى جَرَتْ مع أُمِّ الخير، لا تقلُّ غرابةً عن سابقتِها، فقال ما خلاصتُه: «وبلغني أنَّ سلمى بنتَ صخر، وهي أُمُّ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أرضعَتْه أربعَ سنين، ثمَّ أرادتْ فِصَالَه؛ فجعلَتْ على ثديها صبرًا، فلمَّا وجَدَ طعْمَه قال: يا أُمَّاه اغْسِلي ثَديَكِ، فقالت: يا بُنيَّ إنَّ لَبَني قد فَسَدَ وخَبُثَ طعْمُهُ، فقال: إنْ بخلتِ عليَّ بلبنِكِ فإنِّي أصدُّ عنه، فضمَّتْهُ إلى صدرِها، وقبَّلَتْه، ثم جعَلَتْ ترقيهِ بكلماتٍ كثيرة، ومنها: عتيقُ يا عتيقُ، ذو المنظر الأنيق... ثم إنَّ السَّرور استهواها، فهتفتْ بأعلى صوتها كما تهتفُ النِّساء عند الفَرح، ودخل أبو قحافة متعجِّبًا، فقال لها: مالكِ يا أم الخير؟ فأخبرته بمقالة ولده أبي بكر، فقال لها: أتعجبين من هذا؟ فوالذي يحلف به أبو قحافة، ما نظرت لابنك قط؛ إلا وتبيَّنْتُ السؤدد في حماليق عينيه»[1]!!

«ادعُ الله لها»:

* سَرَدَ البلاذريّ نسبَ أُمِّ الخير؛ ثمَّ زعمَ أنَّها أسلمتْ مع زوجها -وفي ذلك نَظَرٌ- فقال: «وأسلمتْ أُمُّ الخير سلمى بنتُ صخرٍ بنِ عمرو، أُمُّ أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، وكان إسلامُها مع إسلامِ أبي قحافة، وقد كانت قبلَ ذلك مائلةً إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2]!!

* لكنَّ ابنَ الأثير، وابنَ كثير أكَّدا أنَّ السَّيِّدة أُمَّ الخير أسلمَتْ مع ابنها أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وساقَا قصَّةً تظهِرُ زَمَنَ إسلامِها، ومفادُ القصَّة ومحصَّلُها: «لمَّا أسلمَ أبو بكر

---

(١) أنباء نجباء الأبناء (ص٤٣و٤٤) بتصرف. قلت: «في النفس أشياء من هذه القصة وأمثالها».

(٢) الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري (ص٨٩) تحقيق د. إحسان العمد، دار المؤتمن، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. قلتُ: «أسلمَ أبو قحافة يومَ فتحِ مكَّةَ بعد إسلامِ زوجتِه أمِّ الخير بقرابةِ عشرين عامًا».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قامَ خطيبًا، فدَعَا إلى اللهِ ورسولِهِ، فثار المشركون عليه وضربوهُ، وضربَهُ عتبةُ بنُ ربيعة على وجههِ حتَّى ورمَ أنفُهُ، فجاءَ رهْطُه وحملوهُ إلى منزلِهِ، ولم يتكلَّمْ إلا آخرَ النَّهار قالَ: ما فعلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فعذلوهُ وقالوا لأُمِّه أُمِّ الخير: أطعميهِ شيئًا أو اسقيهِ، فسألَها: ما فعلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالت: والله ما لي علْمٌ به، فأمرها أنْ تذهبَ إلى أُمِّ جميل بنتِ الخطَّاب، فذهبَتْ وجاءتْ بها، فأخبرتْه أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سالمٌ صحيحٌ في دار الأرقم، فخرجَتَا به حتَّى أدخلتاهُ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَقَّ له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقَّةً شديدةً، فقال أبو بكر: بأبي وأُمّي يا رسولَ الله، ليس بي بأسٌ، وهذه أُمِّي برَّةٌ بولدِها، وأنتَ مُباركٌ، فادعُها إلى الله، وادعُ اللهَ لها، عسى اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنْ يستنقذَها بكَ من النَّار... فدَعَا لها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ دعاها إلى الله فأسلمَتْ... وبايعَتْ...»[(١)].

* قال أبو نُعيم الأصبهانيُّ: «أسلَمَتْ -أُمُّ الخير- في أوَّلِ الدَّعوةِ مع ابنها أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[(٢)].

* قلتُ: «لا توجدُ في الصَّحابيات من اسمها أُمّ الخيرِ سواها، ولا في الصَّحابة من كُنيته أبو بكر سوى ابنها، ولا أبو قُحافة سوى زوجِها، واللهُ تعالى أَجلُّ وأعلم».

إلى الدَّار الفَاخِرة:

* ظلَّتْ أُمُّ الخير تنعمُ بالإسلام، وماتَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راضٍ عنها وعن الأُسرة البكريَّة، وأضحى أبو بكر خليفةَ المسلمين، ولما توفي ورثَه أبواهُ، ثمَّ إنَّ أُمَّ الخير جاءتْها سكرةُ الموتِ بالحقِّ، ورحلَتْ إلى الدارِ الفَاخرة، فَنِعْم عُقبى الدَّار، وكانت وفاتُها قَبْل وفاةِ زوجِها أبي قحافة.

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٣١٤و٣١٥)، والبداية والنهاية (٤/ ٧٦و٧٧) مع الجمع والتصرف والاختصار.
(٢) معرفة الصحابة برقم (٧٩١٦).

* أمَّا أبو قحافةَ فاسمهُ: عثمانُ بنُ عامر القرشيُّ التَّيميُّ، أسلمَ يومَ فَتْح مكَّة، وبايعَ، وتوفي ولدهُ أبو بكر قَبْله، فنُعي إليهِ فقال: «رَزْءٌ جَليلٌ» وورثَ منه السُّدس، وردَّه على ولدِ أبي بكر، وتوفي في أوائلِ الخلافةِ العُمريَّةِ سنة (١٤هـ)، وهو ابنُ (٩٧ سنة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

* هذه سيرةُ أُمِّ شيخِ الصَّحابة أُمِّ الخيرِ المنجبةِ النَّجيبةِ، التي ولدَتْ أَثْبَتَ البَشَر بعد موتِ سيِّد البَشَر، فرضيَ الله عنها وعن ابنِها وزوجِها وأحفادها، وجَمَعَنَا معهم في مستقرِّ رحمته...



(١) الوافي بالوفيات (٢٠/ ٢٤)، والمنتظم (٤/ ١٣١) مع الجمع والتصرف. وانظر: نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي (ص١٩٩)، وقف على طبعه أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ-١٩١١م.

أُمُّ السَّائب بن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ



- مآثرُها تشهدُ لها بالفضل، وروتْ (١٥) حديثًا.
- لها قصةٌ مفيدةٌ للنِّساء والرِّجال مع زوجها عثمان.
- شهدَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ لها بالإيمان بنَصّ القرآن.



أُمُّ السَّائب بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم

صَالحةٌ فَاضلةٌ:

* رضيَتْ بالله ربًا، وبمحمَّدٍ رسولًا، وبالإسلام دينًا، فحظيتْ بمرضاةِ الرحمن، وكانت قد وهَبَتْ نفسَها للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأَرجأَهَا، وذكروها فيمن كان يخدمُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلعلكم عرفتم هذه الأُمَّ الكريمةَ والصَّحابيةَ الوفيَّةَ.

* وافتِ المصادرُ اسمَها فقالت: خولةُ بنتُ حكيم بنِ أمية السُّلميَّةُ[1]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. تزوَّجها عثمانُ بنُ مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فولدتْ له ولدَيْن[2] هما: السَّائبُ وبه تكنى، وعبدُ الرحمن ابنا عثمان.

* لم تذكرِ الكتبُ سوى شذراتٍ مقتضبةً عن ابنها عبد الرحمن، وقد صاغَها ابنُ الأثير بقوله: «عبدُ الرحمن بنُ عثمان بن مظعون الجُمحيُّ... وأُمُّهُ وأُمُّ أخيه السَّائبِ بنِ عثمان: خولةُ بنتُ حكيم السُّلميةُ، لم يذكروه، وإنما ذكرتُه لأنَّ أباه توفيَ سنةَ اثنتيْن بالمدينة، وأُمُّه أيضًا كانت بالمدينة، فلا كلامَ أنَّه كان في حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجودًا، وله عدَّةُ سنين، والله أعلم»[3].

* وأصابَ ابنُ حجر عينَ الصَّواب لما قال: «أدركَ عبدُ الرحمن بنُ عثمانَ بنِ مظعون من حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسعَ سنين أو أكثر، استدركه ابنُ الأثير فأَصَابَ»[4].

(١) العقد الثمين (٨/ ٢١٣و٢١٤)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ١٥٢) برقم (٤٩٧٩)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٢٧٠)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ١٦٤) برقم (٧٨٢٩)، والغوامض والمبهمات (ص٣٠٢)، والبرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (ص٤١٠)، وغيرها من مصادر متنوعة.

(٢) صفة الصفوة (١/ ٤٥٠).

(٣) أسد الغابة (٣/ ٤٦٩) ترجمة رقم (٣٣٥٦).

(٤) الإصابة (٤/ ١٧١) ترجمة رقم (٥١٥٢).

* ولابنها السَّائب نصيبٌ وافرٌ وافٍ في تواريخ فتيان الصَّحابة وشبابهم، فهو من فتيةِ بني جُمح الذين نعموا بدين الله وأسلموا مبكِّرين، وهاجرَ مع أبيهِ وعَمَّيهِ: قدامة وعبد الله إلى الحبشَةِ في الهجرة الثَّانية، وشهدَ بدرًا، وسائر المشاهد النَّبويَّة. ذكرهُ الذَّهبيُّ فقال: «هاجرَ السَّائبُ إلى الحبشَة، وكان من الرُّماة المذكورين، وآخى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينَه وبينَ حارثةَ بنِ سراقة الأنصاريَّ، المقتول ببدر الذي أصابَ الفِردوس»[١].

* وأسعدَ ابنُ سَعْد مِنْ قَبْلُ النُّفوسَ لَمَّا تكلَّمَ عن السَّائبِ فقال: «... شهدَ بدرًا، وشهد أُحُدًا والخندقَ، والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهدَ يومَ اليمامة، وأصابَهُ يومئذٍ سَهْمٌ، وكانتِ اليمامةُ في خلافةِ أبي بكر الصِّدِّيق سنة اثنتي عشرة، فمات السَّائبُ بعد ذلكَ من ذلك السَّهم، وهو ابنُ بضعٍ وثلاثين سنة»[٢].

* ومن خلال هذا الخبر يتوضَّح لدينا أنَّ خولةَ أُمُّ شهيد وزوجُ صحابي جليل، كما أنَّها ذاتُ مواقفَ مضيئة، وأعمال كريمة، جعلَتْها من أُمّهات الصَّحابة في ميادين التَّربية، وتاريخُها الحافلُ بالعطاء يشهدُ لها بالفَضْل والسَّناء، والصِّدْقِ والوفاء، والسُّطورُ والفقراتُ الآتيةُ تبيِّن مصداقَ ما ذكرناه إنْ شاء الله.

فلاحُهَا في وسَاطتِها:

* مآثرُ خولةَ لطيفةٌ كأنسامِ الأسحارِ، فهي امرأةٌ ذاتُ خبرةٍ وتجربةٍ في شؤونِ الحياة والبيتِ، وكانت شديدةَ الملاحظة تدركُ أبعادَ الأمور، وتودُّ أنْ تُدخِلَ السُّرورَ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأشارتْ عليه أنْ يتزوَّجَ عائشةَ بنتَ أبي بكر، وسودةَ بنتَ زمعة، وذلك بعد موتِ أُمِّنا خديجة رضوان الله عليها، ففعلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقامَتْ

---

(١) سيرُ أعلام النبلاء (١/ ١٦٣)، وانظر: العقد الثمين (٤/ ٥٥و٥٠٦) برقم (١٢٤٦).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٢و٣٧٣).

خولةُ أُمُّ السَّائب بالوسَاطةِ في هذا الأمر، وأفلحتْ في وساطتِها، وقد توسَّعَتِ المصادرُ في ذكْرِ قصَّة هذه الوسَاطةِ الميمونةِ[١].

من محَاسنِ مآثرِها:

* فازتْ أُمُّ السَّائب بكثيرٍ من المناقب، وكان لها مكانةٌ رفيعةٌ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِهِ، فهي من ذوات المكانة في مكَّةَ والمدينةِ، ولها منزلةٌ خاصةٌ بين أُمَّهاتِ الصَّحابة، ونساءِ السَّابقين، وذات يومٍ طلبَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمرًا من عندها، فكيفَ كان ذلك؟

* روى ابنُ عساكر بسندهِ عن أبي حُميد السَّاعديِّ قصةً لطيفةً مفادُها: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استسْلَفَ تمرًا من رجُلٍ، ولما حان وقتُ الاستيفاء لم يكن عند رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمرًا، وقال صاحبُه: واعذراه، فلم يعجبْ هذا القولُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأمرَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلًا: «**دَعْهُ يا عمرُ؛ فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقَالا**»، ثمَّ إنَّ الصَّادقَ المصدوقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشدَ عمرَ أنْ يذهبَ إلى السَّيدةِ خولةَ، وقال: «**انطلقْ إلى خولة بنتِ حكيم الأنصاريَّة، فالتمسْ لنا عندها تمرًا**»، ففعلَ، وكانت خولةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد فازتْ بهذه الحسَنَةِ، وهذه الخصوصية[٢].

* ولأُمِّ السَّائبِ مآثرُ مسطورةٌ في صحائفِ الجهاد، فقد كانت تخرجُ مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعضِ الغزوات، فقد أمتعَ الأسماعَ المقريزيُّ لما ذكرَ أنَّ خولة[٣] حضرَتْ

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٢٧٦و٢٧٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٢٨-٣٣٠)، وإتحاف الورى (١/ ٣٠٧و٣٠٨)، واقرأ سيرة أمنا خديجة وعائشة في كتابنا: نساء أهل البيت.

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٣٦/ ٣٨٨) بشيء من التصرف.

(٣) «خولةُ»: الخولةُ: الظَّبيةُ. وخولةُ بلا لام: عشْر صحابيات، أو أربع، منهنَّ: خُويلة: كجُهينة:
الأولى: خويلةُ بنتُ حكيم بن أمية السَّلميَّةُ، امرأةُ عثمانَ بنِ مظعون.
الثانيةُ: خويلةُ بنتُ ثامر الأنصاريَّةُ.
الثالثةُ: خويلةُ بنتُ قيس بن قهد بن قيس الأنصاريَّةُ النَّجاريةُ، أُمُّ محمد زوجة حمزةَ بنِ عبد المطلب.
الرابعةُ: خويلةُ بنتُ ثعلبة المجادلةُ. =

غزوةَ الطَّائف وأنَّها دخلَتْ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت له: يا رسولَ الله، أعطِني إنْ فتحَ اللهُ عليكَ حَلْيَ الفارعةِ بنتِ الخزاعيّ، أو باديةَ بنتِ غيلان -وكانتا من أجملِ نساءِ ثقيف- فقال لها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإنْ كان لم يُؤذَنْ لنا في ثقيف يا خَولةُ**»[(١)].

* ونفتحُ بابَ المناقب النِّسويَّة، فنجدُ أنَّ أُمَّ السَّائب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إحدى أُمَّهات الصَّحابة البليغات، وإحدى الشَّاعرات من نساءِ الصَّحابة، أُثِرَ عنها بعضُ النَّفثات الشِّعرية، ومنها بضعةُ أبياتٍ تنطقُ بالحزنِ والتَّفجُّعِ، نظمتْها في زوجِها عثمانَ بنِ مظعون حينما توفي بالمدينةِ المنورة في السَّنةِ الثَّانية من الهجرة، فقالت ترثيه:

يا عينُ جُودي بدمعٍ غيرِ ممنون ... على رزيةِ عثمانَ بنِ مظعون

على امرئٍ باتَ في رضوانِ خالقِهِ ... طوبى له نقيد الشَّخص مدفون

طابَ البقيعُ له سكنى وغرقده ... وأشرقَتْ أرضُه من بَعْد تعيين

وأورثَ القلبَ حزنًا لا انقطاعَ له ... حتَّى الممات فلا ترقى له شوني[(٢)]

= فهؤلاء الأربعةُ قيل فيهنَّ: خولةُ وخُويلةُ، ومَنْ عداهنَّ فخولةُ، منهنَّ: خولةُ بنتُ الأسود، وخولةُ بنتُ خولي، وبنتُ دليج، وبنتُ الصَّامت، وبنتُ عبيد الله الأنصاريَّة، وبنتُ عبيد الله بن ثعلبة الأنصاريَّة، فهؤلاء عشرة، وهناك خولاتٌ أخرياتُ مذكوراتٌ في كتب التَّراجم والطَّبقات والتَّواريخ. تاج العروس من جواهر القاموس (٢٨/ ٤٤٧و٤٤٨) بتصرف.

(١) إمتاعُ الأسماع (١٤/ ٢١و٢٢) بتصرف، وانظر: أيضًا إمتاع الأسماع (٢/ ٢٥)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٢٥)، وأسد الغابة (٧/ ٩٤)، والإصابة (٨/ ٧٠)، وغيرها.

(٢) أسد الغابة (٣/ ٥٩١)، وإفادة الأنام (٦/ ٤٨١)، والوافي بالوفيات (١٩/ ٣٦٦)، والعقد الثمين (٦/ ٥٠)، ومعنى قولها: «غير ممنون»: غير مقطوع. و«الغرقد»: نوع من الشجر وسمي البقيع ببقيع الغرقد لأن فيه شجر الغرقد، و«شوني»: العرق الذي تجري منه الدموع.

كَمْ حَديثًا روَتْ خولةُ؟

* هذَّب المِزِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أسماءَ راوياتِ الحديثِ النَّبويُّ، وكانت السيدةُ خولةُ أُمُّ السَّائب ممَّن نظمَها في عقدهنَّ، فقال: «روتْ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١]. وتعدُّ خولةُ من أصحابِ العشَرات حيثُ روتْ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسَةَ عشَر حديثًا[٢].

* روى عن أُمِّ السَّائب سعدُ بنُ أبي وقَّاص أحدُ العشرة المبشَّرين بالجنَّة، كما روى عنها من علماء التَّابعين: سعيدُ بنُ المسيب، وعروةُ بنُ الزُّبير وغيرهُمُ. روى لها البخاريُّ في كتابِ (أفعال العباد) والباقون سوى أبي داود[٣].

* وممَّا أخرجُهُ مسلمٌ وغيرُهُ في الذِّكْر والدُّعاء وفضْلِ التَّعوُّذِ، بسنده عن سعدِ ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن خولةَ بنتِ حكيم السُّلميَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ نَزَلَ منزلًا، ثمَّ قال: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامات من شرِّ ما خَلقَ، لم يضرَّهُ شيءٌ حتَّى يرتحلَ من منزلِهِ ذلك**»[٤].

ابنةُ خَولــةَ:

* أخذتْ خولةُ مساحةً مخضّرةً بين نساءِ الصَّحابة وكان لها مكانةٌ جيدةٌ عند رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولها أيضًا كلمةٌ مسموعةٌ، ففي حديث نافع قال: «تزوَّجَ ابنُ عمرَ بنتَ خالِهِ عثمانَ بنِ مظعون، فقالت أُمُّها: بنْتي تكْرَهُ ذلك، فأمرهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفِراقها»، وبنت عثمان اسمها زينبُ، وأمُّها خولةُ بنتُ حكيم بن أميَّة[٥].

---

(١) تهذيب الكمال (٣٥/ ١٦٤).

(٢) أعلام النساء (١/ ٣٨٤).

(٣) تهذيب الكمال (٣٥/ ١٦٤)، وانظر: نهاية الأرب (١٨/ ١٣٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨) واللفظ له، وأخرجه أحمد (١٨/ ٤٣٧) برقم (٢٧٠٠٠)، والترمذي برقم (٣٤٣٧)، والطبراني (٢٤/ ٢٣٧و٢٣٨).

(٥) المستفاد من مبهمات الإسناد (٢/ ٩٥٧) برقم (٣٧٢).

* فُصِّلَتْ قصَّةُ هذه الفتاة في بعضِ الكتبِ؛ وخلاصتُها تدلُّ على مكانةِ خولةَ عندِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وراويها ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلنقرأ القصَّةَ، ولننظرْ إلى رأي خولةَ.

* عن ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «توفي عثمانُ بنُ مظعون، وتركَ بنتًا له من خولةَ بنتِ حكيم، فأوصى إلى أخيهِ قدامةَ بنِ مظعون، وهما خالايَ، فخطبْتُ إلى قدامةَ بن مظعون فزوَّجنيها، فدخلَ المغيرةُ إلى أُمَّها، فأرغبَها في المال، فَحَطَّتْ إليه، وحَطَّتِ الجاريةُ إلى هوى أُمِّها... فقالت لها أُمُّها: لا تجيزي، فكرهَتِ النِّكاحَ، وأعلَمَتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك هي وأُمُّها، فَرَدَّ نكاحَها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنكَحها المغيرةُ بنُ شعبة»[1].

كَأنَّها عَروسٌ:

* كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرشدُ أصحابَه؛ ويعلِّمُهم ما يصلحُ لدينهم ودنياهم، وكانت خولةُ وزوجُها ممن شملتهم الرعايةُ النَّبويَّةُ، والتُّوجيهات المصطفويّةُ ليسلُكا طريقَ السَّعادة، ويتِّبِعَا سُنَن الفطرةِ، ويأْتَسِيَا بالأسوةِ الحسنةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك من خلالِ الأُقصوصة الآتية:

«دخلت امرأةُ عثمانَ بنِ مظعون على نساءِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرأَينَها سيئةَ الهيئةِ، فقُلْنَ لها: مَالَكِ؟ فما في قريش أغنى من بعلكِ! قالت: ما لنا منه شيءٌ، أمَّا لَيلُهُ فقائمٌ، وأمَّا نهارُهُ فصائم. فدخلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرنَ له ذلك، فَلَقِيَهُ، فقال: «يا عثمانُ بنُ مظعون، أَمَا لكَ بي أسوةٌ؟» فقال: يا بأبي وأُمّي، وما ذاكَ؟ قال: «**تصومُ النَّهارَ، وتقومُ الليلَ**» قال: إنِّي لأفعلُ، قال: «**لا تفعلْ، إنَّ لعينيكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لجسدكَ حقًّا، وإنَّ**

---

(١) المستفاد (٢/ ١٩١و١٩٢)، والأسماء المبهمة (ص٥٢٠و٥٢١) بتصرف. ومعنى قوله: «حطت»: نزلت على رغبتها ووافقتها.

لأهلكَ حقًّا، فَصَلِّ ونَمْ، وصُمْ وأَفْطِرْ»، فأَتَتْهُنَّ بعد ذلك عطرةٌ كأنَّها عروسٌ، فقلْنَ: مَه؟ قالت: أصابَنَا ما أصابَ النَّاس»[1].

«وَمَا يُدرِيكِ»؟

* في رحلةِ تصحيحِ المفهوماتِ نجدُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصحِّحُ مفهومًا لخولةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويرشدُها إلى الطَّريقِ السَّليم في الكلامِ، ويُعلِّمها ويُعْلِمُها أنَّ الغيب لا يعلمُه إلا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثمَّ يأخذُ بيدها إلى المنهجِ السَّليم في التَّوحيد.

* عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما ماتَ عثمانُ بنُ مظعون قالت امرأتُه: هنيئًا لكَ الجنَّة عثمان بن مظعون!» فنظرَ إليها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظرَ غضبان، فقال لها: «**وما يدريكِ؟**» فقالت: يا رسولَ الله، فارسُك وصاحبُك! فقال: «**واللهِ إنِّي لرسولُ الله، فما أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بِهِ**»[2].

* وفي روايةٍ عن زيدِ بنِ أسلمَ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشدَها بقولِهِ: «**وما يدريكِ؟ بحسبِكِ أنْ تقولي: كان يحبُّ اللهَ ورسولَه**»[3].

امــرَأةٌ مؤمنَـــةٌ:

* وصفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خولةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالإيمانِ، وشهدَ لها بقولِهِ: ﴿**وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ...**﴾ [الأحزاب:٥٠]، فقد أرادت أنْ تهبَ نفسَها للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرجأَها.

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦٦ و٣٦٧)، وصفة الصفوة (١/ ٤٥٢)، ورجال من عصر النبوة (ص١٠١ و١٠٢)، والإصابة (٨/ ٧٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦٩) بتصرف.
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٧٠).

* وامرأةٌ تهَبُ نفسَها للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي تجعلُ نفسَها هبةً له دونَ مَهْرٍ أو صَدَاقٍ، فقد كان بعضُ النِّساء قَبْلَ الإسلام يفعلْنَ مع عظماءِ العربِ ذلك. فأباحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يتَّخذها زوجةً له بدون مَهْر؛ إذا شاءَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك.

* وجاءَ التَّنكيرُ في «امرأةٍ» للنَّوعيةِ، والمعنى: نُعلمُكَ أَنَّا أحللنا لكَ امرأةً مؤمنةً بقيدِ أنْ تهبَ نفسَها لكَ، وأنْ تريد أنْ تتزوَّجها... فإذا وهَبَتِ امرأةٌ نفسَها للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وأرادَ نكاحها، جازَ له إن كانت امرأة مؤمنة[1].

* وقد وردَ أنَّ النِّسوةَ اللاتي وهبْنَ أنفسهنَّ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعٌ هنَّ: ميمونةُ بنتُ الحارث، وزينبُ بنتُ خزيمة الملقبة أُمَّ المساكين، وأُمُّ شريك بنتُ جابر الأسديَّةُ، أو العامريَّةُ، وخولةُ بنتُ حكيم السُّلميةُ، فأمَّا الأَوْليَان فتزوَّجهما النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهما من أُمَّهات المؤمنين، والأخريان لم يتزوَّجْهما.

* ودلَّ وصفُ امرأةٍ بأنَّها مؤمنةٌ، أنَّ المرأةَ غير المؤمنة لا تحلُّ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهبةِ نفسِها؛ لأنَّه لا يحلُّ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوُّج الكتابيَّاتِ، أو المُشركاتِ[2].

* وههنا يظهرُ لنا بأنَّ خولةَ بنتَ حكيم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ذاتُ شهادةٍ ربانيةٍ مختومةٍ برحيقِ الإيمانِ والصِّدقِ والوفاء، تزهو بها على بعضِ النّسوان في سائرِ العصورِ والأزمان، فما أكرمها منْ شَهادة!

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٦٧-٧٠) بتصرف.

(٢) روى البخاري عن أمنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: «كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فدل هذا على أنهن كن غير واحدة، الله تعالى أعلم. تفسير القرطبي (١٧/ ١٨٢)، وانظر: تفسير القرطبي أيضًا (١٧/ ١٨١-١٨٥)، وتفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٦٧-٧٠)، والغوامض والمبهمات لابن بشكوال (ص٦٦٥)، وغيرها.

* عاشتِ السَّيدةُ خولةُ أُمُّ السَّائب إلى أيامِ خلافةِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد ذكروا أنَّها دخلَتْ عليه، وحاورتْه في أمْرِ بعض الجواري[1]، ولعلَّها توفيت في خلافتِهِ بالمدينةِ المنورة، والله أعلم.

* رضي الله عن أُمِّ السَّائب وعن ابنِها وزوجِها، ورضي عن الصَّحابةِ والصَّحابيات أجمعين، ووهَبَنا لهم، وعفَا عنَّا بفضله ومَنِّهِ وكرمه، ووفَّقَنا لفعل الحسَنات، والمسارعةِ إلى الخيرات.



(١) انظر: مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٧٠ و٢٧١).

أُمُّ سيف الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

۞ أسلمتْ بعد الهجرة وبايعَتْ وتسمَّى لُبابةَ الصُّغرى.

۞ ابنُها من مشاهيرِ الدنيا، وأعلامِهم، ومن الفاتحين.

۞ كانت فصيحةً مفوَّهة، مات ابنُها خالد في حياتها.



أُمُّ سَيفِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

لُبابةُ الخَيْرات:

* ارتقتْ سماءَ الفَضْل، وعَلَتْ منزلتُها حينما شهدتْ بوحدانيةِ الله عَزَّوَجَلَّ، وصدَّقَتِ الرِّسالةَ المحمَّديَة، وبدأتْ تأخذُ مكانتَها بين أُمَّهاتِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أجمعين.

* ولبابةُ الخيراتِ هي: لبابةُ بنتُ الحارثِ الهلاليّة[1]؛ أختُ ميمونةَ أُمِّ المؤمنين، وقد ذكرتْ ثلةٌ من المؤرِّخين وكاتبي السِّيرة والطَّبقات أنَّ اسمهَا: عَصْماء.

* قال الطَّبريُّ: «لبابةُ الصُّغرى، وهي العصماءُ بنتُ الحارث... تزوَّجَها الوليدُ بنُ المغيرة المخزوميُّ بمكَّةَ، فولَدتْ له خالدَ بنَ الوليد، ثم أسلمَتْ بعدَ الهجرةِ، وبايعَتْ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

* ابنُها إذن من الصَّحابةِ الأَعْلامِ، والفُرسانِ العظام، الذين طارَ صيتُهم في البلادِ، وعرفوا بالبَسالة بين العبادِ، فقد كان بَطَلًا شُجاعًا، مِقْدامًا صَدَّامًا، ميمونَ النَّقيبة، ذا همَّةٍ نجيبة، ماضي العزم، زاكي الخصَائل، باشَرَ حروبًا كثيرةً في عَهْد النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعهدِ الخلافة البكريَّةِ والعمريَّةِ، ولم يكنْ في جَسَده نحو شِبْر، أو قِيْدِ كفٍّ إلا وعليه طابَعُ الشُّهداء، ذلكم هو خالدُ بنُ الوليد، أبو سُليمان القرشيُّ المخزوميُّ المكِّيُّ، سيفُ الله،

---

(١) الإصابةُ (٨/ ١٧٨)، وأسد الغابة (٧/ ٢٤٧)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٥)، والاستيعاب (ص٩٣٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٣)، والمنتظم (٤/ ٣١٢)، والنجوم الزاهرة (١/ ٩٥)، والتاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٥/ ٢٤١)، وتاريخ مدينة دمشق (١٦/ ٢٢٠و٢٢١و٢٢٢)، وغيرها كثير.

(٢) ذيول تاريخ الطبري (ص٦٢٣) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

الشَّجاعُ المشهورُ الذي يُوزَنُ بألفِ رجلٍ في الشَّجاعة، وفارسُ الإسلام، وليثُ المشاهد، والأميرُ الكبيرُ، قائدُ المجاهدين في محافلِ الجهادِ والمغازي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه[١].

وقفةٌ مع هذهِ الأُمِّ:

* كلُّ مَنْ ترجمَ لهذهِ الصَّحابية، ذكَرَ أنَّها أُمُّ صحابي شهير له في تاريخ الإسلام نصيبٌ، فقد استقصى ابنُ سعد بعضًا من أَنْباءِ لبابةَ وابنِها، وكان لُبابُ ما سَرَدَه عن لبابةَ قولُهُ: «لُبابَةُ الصُّغرى، وهي العصماءُ بنتُ الحارث بنِ حزن الهلاليُّ، وأُمُّها: فاختةُ بنتُ عامر بن مُعَتِّب الثَّقفيُّ، تزوَّجَها الوليدُ بنُ المغيرة المخزوميُّ بمكَّة، فولدتْ له خالدَ بنَ الوليد سيفَ الله، ثم أسلمَتْ بعد الهجرة، وبايعَتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢].

* وقال في موضعٍ آخر من طبقاتِهِ حينما ترجمَ لابنها خالد: «وأمَّهُ: عصماءُ، وهي لبابةُ الصُّغرى بنتُ الحارث...»[٣].

* ومخرَ ابنُ عساكر عبابَ المعلومات، واستخرجَ بعضَ المعارفِ القيِّمةِ عن أُمِّ خالد، لما توقَّفَ عند ترجمةِ ابنها فقال: «أمُّهُ: لبابةُ الصُّغرى، ويُقال: عصماءُ بنتُ الحارث الهلاليَّةُ، وهي خالةُ بني العبَّاس بن عبد المطلب، وهي أُختُ أُمِّ الفضل بنت الحارث، وهي كذلك أختُ ميمونةَ بنتِ الحارث زوجِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٤].

* وافقَ ابنُ الجوزيِّ ابنَ عساكر في قولِهِ: «خالدُ بنُ الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأُمُّهُ: عصماءُ، وهي لبابةُ الصُّغرى بنتُ الحارث وهي أختُ أُمِّ الفَضْل بنتِ الحارث...»[٥].

---

(١) اقرأ سيرة سيدنا خالد في الباب الأول من كتابنا: فرسان من عصر النبوة.
(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٦).
(٤) تاريخ مدينة دمشق (١٦/ ٢٢٠و٢٢١و٢٢٢) بشيء من التصرف.
(٥) المنتظمُ (٤/ ٣١٢) بتصرف مع شيء من التصحيح.

* ولما وصلَ البلاذريُّ في الكلام عن الوليدِ بنِ المغيرة؛ تعرَّضَ لِنَسَبِ لبابةَ، فقال: «كانت تحته لبابةُ الصُّغرى، وهي العصماءُ بنتُ الحارث، أختُ ميمونة، فولدَتْ له خالدَ ابنَ الوليد سيفَ الله... فهو ابنُ خالةِ عبدِ الله بنِ عبَّاس...»(١).

* جَادَ علينا ابنُ كثير بمعارفَ كثيرةٍ واضحةِ المَعَالِم، حينما تكلَّمَ عن خالد وأُمِّه، وسمَّاها عَصْماء فقال: «خالدُ بنُ الوليد... سيفُ الله، أحدُ الشُّجعان المشهورين، لم يُقْهَرْ في جاهليةٍ ولا إسلام، وأُمُّه: عصماءُ بنتُ الحارث، أختُ لبابةُ بنتُ الحارث، وأختُ ميمونةَ بنتِ الحارث أُمِّ المؤمنين»(٢).

* ومن الإصابةِ ألا نُعْرِضَ عمَّا قالَه ابنُ حجر في (الإصابة) عن لُبابةَ: «لُبابةُ بنتُ الحارث الهلاليّةُ وهي لبابةُ الصُّغرى، وتلقَّبُ العصماء، وهي والدةُ خالدِ بنِ الوليد الصَّحابيَ المشهور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٣).

خَصَائصُ لُبابيَّةٌ مُنيفةٌ:

* اختصَّتْ أمُّ خالد ببعضِ الخصائصِ اللبابيةِ المنيفةِ، ومنها:

صهرُها: لأختِها ميمونةَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصهرها: العبَّاسُ بنُ عبد المطلب عمُّ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وابنها: سيف الله وسيفُ رسوله خالدُ بنُ الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخواتُها: أُمُّ الفضل لبابةُ الكبرى، وميمونةُ أُمُّ المؤمنين، وعصمةُ، وعزّةُ، وهزيلةُ، وهؤلاء أخوات لأمٍّ وأبٍ، كلّهنَّ بنات الحارث بن حزن الهلاليّ.

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٤٤٧و٤٤٨).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٢٢٨).

(٣) الإصابة (٨/ ١٧٨)، وافى صلاح الدين الصفدي في وافيه بكلمةٍ مختصرة عن هذه الأمِّ فقال: «لبابة الصغرى، وهي أمُّ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». الوافي بالوفيات (٢٤/ ٢٩٨).

أمَّا أخواتُهنّ لأُمِّهنَّ فهنَّ: أسماءُ، وسلمى، وسلامةُ، بناتُ عُميس الخثعميَّاتُ، فهؤلاء تسعُ أخوات لأُمٍّ، أُمُّهنَّ كلهنّ: هندُ بنتُ عوف الكنانيةُ، وهي العجوزُ التي قيل فيها: «إنَّها أكرمُ النَّاس أصهارًا»[١].

صَدَقْتِ يا أُمَّ خَالد:

* يشتمُّ الباحثُ من خلال سيرة لبابةَ أُمِّ خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنَّها من النِّساء اللواتي عُمِّرنَ، فقد عاشَتْ زمنًا بعد وفاةِ ابنها، وتمثَّلَتْ ببضعةِ أبياتٍ في رثائه، ولها أخبارٌ تنطقُ بلبِّ الفَضْل ولُبابِ المكرُمَةِ مع سيِّدنا عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. فإلى الأقصوصةِ الآتية نجلوها من تاريخِ ابنِ عساكر، وغيره.

«كان سيدنا خالدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حَجَّ في أواخرِ الخلافةِ العمريَّةِ، ولما قضى مناسكَ الحجِّ، خرجَ نحو المدينة زائرًا لأُمِّه لبابةَ، فمرضَ، فقال لها: أَحْدِروني إلى مُهاجَرِي؛ فَقَدِمَتْ به المدينة ومرّضَتْهُ، وثَقُلَ عليه المرضُ، وماتَ، وقدم سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ماتَ خالد، فَرَقَّ عليه، واسترجعَ وحَوْلَقَ، وأكْثَرَ التَّرحُّم عليه، وجلسَ ببابِهِ حتى جُهِّزَ، وبكَتْهُ البواكي، فقيل لسيِّدنا عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أميرَ المؤمنين، ألا تسمع، ألا تنهاهنَّ؟! فقال: وما على نساء قريش أنْ يبكينَ أبا سُليمان، ما لم يكنْ نقعٌ ولا لَقْلَقَةٌ». وعند البخاريِّ أنَّه قال: «دعهنَّ يبكينَ على أبي سُليمان ما لم يكن نقعٌ أو لَقْلَقْةٌ»[٢].

* ولما خرجَ عمرُ لجنازتِهِ، رأى امرأةً مُحتزمةً، تبكيه وتقول:

أنتَ خَيرٌ من ألفِ ألفٍ من النَّا ... س إذا ما كُبَّت وجوهُ الرجالِ

أَشُجاعٌ فأَنتَ أشجعُ من لَيْـ ... ـثٍ عرينٍ جَهْمٍ أبي أشبالِ

---

(١) الاستيعاب (ص٩٣٥) بتصرف واختصار، وانظر: المحبر (ص١٠٦)، والوافي بالوفيات (٢٤/ ٢٩٨).

(٢) فتح الباري (٣/ ١٦٠) باب يكره من النياحة على الميت. و«النقع»: التراب على الرأس، و«اللقلقة»: الصوت. وانظر: الإصابة (٢/ ١٠٠)، والمفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم (١١/ ١٤١) للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

أَجَـــوَادٌ فـأَنـتَ أَجْـــودُ مـن سيـــلٍ ديـــاسٍ يـسـيـلُ بـين الجـبـالِ

فقال عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ هذه؟ فقيل: أمُّه، فقال: أُمُّه والإلهِ -ثلاثًا- هل قامتِ النساءُ عن مثلِ خالد! أو قال لها: صَدَقْتِ، إنْ كان لكذلك».

* وفي روايةٍ: «أنَّ عمرَ قال لأُمِّ خالد: أخالدًا وأَجْرَهُ ترزئين! عزمتُ عليكِ أن لا تبيتي حتَّى تَسْوَدَّ يَدَاكِ من الخضاب»[١].

* كانت وفاةُ خالدٍ سنة (٢١هـ) بحمصَ، ويقالُ بالمدينة[٢]، وحينما حضرتْه الوفاةُ قال: «لقد طلبتُ القَتْلَ مظانَّه، فلمْ يُقَدَّرْ لي» أو قال: «لقد شهدتُ مئةَ زحفٍ أو نحوها، وما في بدني موضعُ شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ، أو طعنةٌ، أو رميةٌ، وها أنا أموتُ على فراشي، فلا نامَتْ أعينُ الجبناء، وما لي من عَملي شيءٌ أرجا مِنْ لا إله إلا الله، وأنا مُتترسٌ بها»[٣].

* لم تتكلَّمِ المصادرُ ولم تفصحْ عن وفاةِ أُمّه لبابةَ، وأغلبُ الظَّنِّ أنَّها ماتَتْ بالمدينةِ بعد وفاةِ ابنها خالد في زمنِ الخلافة الراشدةِ، واللهُ تعالى أجل وأعلم، فرضي اللهُ عن خالدٍ وأُمِّه، ورضي عن سائرِ الصَّحابيات وحشرنا في زمرة الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



(١) تاريخ مدينة دمشق (١٦/ ٢٧٠) بتصرف، وانظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤).
(٢) تاريخ مدينة دمشق (١٦/ ٢٨٢).
(٣) تاريخ مدينة دمشق (١٦/ ٢٦٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٣و١٧٤) مع الجمع والتصرف.

أُمُّ أبي العَاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

- شقيقةُ خديجةَ، ولها وسَاطةٌ في زواجها من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ابنُهَا أبو العاص بن الرَّبيع صهرُ هادي الأمة.
- كان رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتاحُ لدخولها عليه.



أُمُّ أبي العَاصِ بن الرَّبيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

النَّسيبةُ أُمُّ الوَفيِّ:

❋ هذه أمُّ صحابيٍّ لها صِلَةُ قُربى مع بيتِ النُّبوَّة الطَّاهر، عرفَتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كثَبٍ، فهي مكِّيَّةُ المولدِ والنَّشْأَة، وكانت على معرفةٍ به، تَعْلَمُ صدقَهُ وأمانتَهُ، فهو الصَّادقُ الأمينُ، وهو في الذِّروةِ العُليا حسَبًا ونسَبًا، ثم هو على خُلُقٍ عظيم، وشمائلَ كريمةٍ.

❋ قصَّتْ بعضُ الأخبارِ القديمةِ قصصًا جميلةً عن نسوة قريش، وذكرت أنَّه كان لهنَّ عيدٌ يجتمعْنَ فيه قُربَ الحرمِ، فيأكلْنَ، ويجلسْنَ للسَّمر، فيتجاذبْنَ أطرافَ الحديث، وذات يومٍ تحلَّقْنَ حولَ الموائد، وشرعنَ في الكلام، فإذا بصوتٍ يتردَّدُ في جنَباتِ الحرم، فأصخْنَ إليه بسمعهنَّ فإذا برجلٍ يقول: «يا معشرَ نساءِ قريش؛ إنَّه يوشكُ فيكنَّ نبيٌّ قَرُبَ وجوده، فأيتكنَّ استطاعت أنْ تكونَ فراشًا له فَلْتَفْعَل».

❋ اخلولقَ الهمسُ يملأُ المكان، وجعلتْ نسوةٌ يشتمْنَ الرَّجلَ، ويرمينَه بالحصى، وأغْضَتْ عنه بعضُهنَّ وظَنَنَّهُ يهذي، وكانت ضيفتُنا منَ اللاتي سمعْنَ مقالةَ الرَّجلِ، غير أنَّها لم تأْبَهْ له، بينما أدركتْ أختُها الطَّاهرةُ معاني كلماتِه، وعلمتْ ما يرمي إليه، فقد رأتْ فيما يرى النائمُ أنَّ شمسًا عظيمةً تهبطُ من سماء مكَّةَ، وتستقرُّ في دارها، فتملأُ جوانبها نورًا، ويفيضُ ذلك النُّور من دارِها لِيَغْمُرَ ما حولَها. ونفتحُ الآن سيرةَ أختِها لِنَعْرَف سيرتها...

* ترى مَنْ تكون هذه الأمُّ؟ تقولُ بطاقتُها بأنَّها: هالةُ بنتُ خُويلد بنِ أسد القُرشيّةُ، أختُ خديجةَ أمِّ المؤمنين، وهالةُ أمُّ أبي العاص بن الربيع القُرشيّ[١]، الوفّي الأمين في تجارته وأعماله.

شقيقةُ الطَّاهرة:

* أوجزتِ المصادرُ على اختلافِ ألوانها ترجمةَ هالةَ أُمِّ أبي العاص، ولم تسترسلْ في سيرتها على الرِّغم من أنَّ لها مساحةً مباركةً في السِّيرة النَّبويَّةِ وبعضِ أحداثها.

* عُني ابنُ عساكر ببعضِ أخبارِ هالةَ وابنها، وذكرَ نبذًا من المعارفِ فقال: «... وأمُّ أبي العاص: هالةُ بنتُ خويلد بن أسد، أختُ خديجةَ بنتِ خويلد لأبيها وأمِّها»[٢]. وقال في موضع آخر: «... وأمُّ أبي العاص بن الربيع هالةُ بنتُ خُويلد بنِ أسد، وخديجةُ خالتُه أختُ أُمِّه»[٣]. وقال: «أبو العاص اسمه: لقيطُ، وقيل: القاسمُ، وقيل: مهشمُ، وقيل: ياسرُ، أمُّه: هالةُ بنتُ خويلد، أختُ خديجة زوج سيِّدنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٤].

* عرَّفَ الأصبهانيُّ بأنَّ هالة: «أختُ خديجةَ زوجِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذِكْرُها في حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ»[٥].

* بدأ ابنُ الأثير كلامَهُ عنها فقال: «هالةُ بنتُ خُويلد بن أسد... القرشيَّةُ الأسديَّةُ، أختُ خديجة... وليس لخديجةَ أختٌ أخرى اسمها هالة، واللهُ أعلم»[٦].

---

(١) المعارف (ص١٤١)، ونسب قريش (ص٢٣٠)، والمجد (ص٤٥١)، والتبيين (ص١٩٤)، ومعرفة الصحابة ترجمة رقم (٤٠٤٣)، والإصابة (٨/ ٢٠١)، وأسد الغابة (٧/ ٢٧٤)، والمنتظم (٤/ ١١٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٩٧)، وإمتاع الأسماع (٦/ ١٩٦)، وأعلام النساء (٥/ ٢٠٢)، والبداية والنهاية (٩/ ٥٣٩) وقال ابن كثير: «يقال: إن اسمها هند»، ومصادر أخرى كثيرة.

(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٨/ ١٠١).

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢/ ٢٦٤و٢٦٥).

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ٤٢) بتصرف يسير.

(٥) معرفة الصحابة، ترجمة رقم (٤٠٤٣).

(٦) أسد الغابة (٧/ ٢٧٤) بشيء من التصرف.

* زادَ المصعبُ الزُّبيريُّ الأمرَ وضوحًا، فقال: «... خديجةُ؛ وهالةُ ابنتا خُويلد، أمُّهما: فاطمةُ بنتُ زائدة بنِ جندب... فأمَّا هالةُ فولَدَتْ أبا العاصي بن الرَّبيع... وكان يُقال له الأمين، زوَّجَه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينبَ ابنتَه...»(١).

* وجاء ابنُ قتيبةَ فقال: «... وأما زينبُ، فكانت عند أبي العاص بن الربيع... وأمُّهُ: هالةُ بنتُ خويلد أخت خديجة، وأبو العاص ابنُ خالةِ زينب، وهو زوجُها...»(٢).

* أدلى الذهبي دلوه في هذا المضمار فقال: «أبو العاص... صهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زوج بنته زينب... وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة، أمه، هي هالة بنت خويلد...»(٣).

* انبرى ابن دريد لبيان معنى هالة واشتقاق اسمها، فقال: «اشتقاق هالة من هالة القمر، وهو ما استدار حوله، تسميه العامة دارة القمر»(٤).

وَسَاطَتُهَا في تَزْويج خَديجةَ:

* أجمعتْ أخبارُ خديجةَ بنتِ خويلد بأنَّها كانت امرأةً حصيفةً حازمةً شريفةً لبيبةً، وهي أوسطُ قريش نسبًا، وأعظمهنَّ شرفًا، وأكثرهنَّ مالًا، وقد رغبتْ في الزَّواج من محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدَعَتْهُ إلى ذلك، وما أحسن ما يبلغُ المُنى الأذكياءُ!

---

(١) نسب قريش (ص٢٣٠و٢٣١) بتصرف يسير. قال أحمد البدوي بن محمدا:

وأمــــه هــالــة أخـــت صهـرتـه　　　　والمصطفى رضي عن صهارته

إنارة الدجى (ص١٨٤).

(٢) المعارف (ص١٤١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٠و٣٣١) باختصار. ومن المعارف المفيدة عن هالة، وأزواجها، أفاد البلاذريُّ فقال: «وسالف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل خديجة: الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس؛ كانت تحته هالة بنت خويلد، ثم أخوه ربيعة بن عبد العزى، كانت عنده هالة أيضًا، ووهب بن عبد بن جابر الثقفي، كانت عنده هالة أيضًا، ثم قطن بن وهب بن عمرو الخزاعي، من قبل هالة أيضًا» أنساب الأشراف (١/ ٤٠٦)!!!

(٤) الاشتقاق (ص٢٠٨).

* ولهالةَ وساطةٌ لطيفةٌ في زواج شقيقتها خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، نَقَلَها عمَّارُ بنُ ياسر[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: «مررتُ أنا ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأختِ خديجةَ، فَنَادَتْني، فانصرفتُ إليها، ووقفَ لي رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: أَمَا لصاحبِكَ هذا من حاجةٍ في تزويج خديجة؟ فأخبرتُه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بلى لَعَمري، فذكرتُ ذلك لها، فقالت: اغدُوا علينا إذا أصبحنا، فغَدَونا عليهم، فوجدناهم قد ذبحوا بقرةً، وألبسوا خديجةَ حلّةً...»[(٢)].

* نلمحُ في روايةٍ أخرى وساطةَ هالة، فيما نُقِلَ عن سيِّدنا عمَّار، قال: «أنا أعلمُ النَّاسِ بتزويج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة بنت خويلد؛ كنتُ صديقًا له، فإنَّا نمشي يومًا بين الصَّفا والمروة، إذا بخديجةَ بنتِ خويلد، وأختِها هالةَ، فلمَّا رأتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءتني هالةُ أختُها، فقالت: يا عمَّارُ! مالصاحبِكَ حاجة في خديجةَ؟ قلت: والله ما أدري، فرجعتُ فذكرتُ ذلك له، فقال: ارجعْ فواضعْها، وَعِدْها يومًا نأتيها فيه، ففعلتُ...»[(٣)]. ثم ذكرَ بقية قصَّة زواج خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

* حَبَّرَ ابنُ حبيب دورَ هالةَ في زواجِ أختها من خلالِ أقصوصة ماتعةٍ مفادها: «لما أقبلَ ميسرةُ غلامُ خديجةَ من الشَّام، ومعه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نزلَ تحت شجرةٍ، فرآهُ راهبٌ، وأخبرَ ميسرةَ أنَّه نبيٌّ... وأخبر ميسرةُ خديجةَ بمقالةِ الراهب، وقال لها: كنتُ آكلُ معه حتى نشبعَ، ويبقى الطَّعامُ كما هو، فدعت خديجةُ بقناعٍ عليه رُطَب، ودعَتْ أختها هالةَ وهي أمُّ العاص بن الربيع... فدعتِ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأكلُوا حتّى شبعوا، فلم ينقصْ شيئًا... ثم خطبَها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[(٤)].

---

(١) اقرأ سيرة عمار بن ياسر في الباب الأول من كتابنا: أبناء الصحابة، مكانتهم - أعمالهم (ص١٤٧-١٨٦) نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجمعنا معه بمعية خاتم الأنبياء.

(٢) سبل الهدى والرشاد (٢/ ٢٢٢و٢٢٣)، والسيرة الحلبية (١/ ٢٢٥)، وسيدنا محمد رسول الله الأسوة الحسنة (١/ ١٣٨).

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٠) طبعة دار صادر.

(٤) المحبر (ص٧٧و٧٨) بشيء من الاختصار والتصرف.

الحَمَاةُ الوَدودُ:

* عرفَتْ رجالاتُ مكَّةَ أبا العاص رجلًا شهمًا أمينًا، فاستودعوهُ أموالهم يُتَاجِرُ بها، ولقَّبوهُ «الأمين»، وقد قبسَ هذه الخصائلَ الحميدةَ عن أُمِّه التي رَبَّتْهُ على الأمانةِ والمروءة.

* كانت هالةُ تزورُ أختهَا خديجةَ، وكذلك كان أبو العاص يزورُها ويحترمُها، فتنزلُه منزلةَ الولدِ من نفسها، كما كان سيِّدنا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبُّ أبا العاص ويثني عليه، وهذا الحبُّ والاحترامُ مسطورٌ عند أهلِ التَّأْريخ، وعند بعضِ أهلِ العِلْم، فقالوا: «إنَّ أبا العاص بنَ الربيع كان أخًا لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصَافيًا له، وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثرُ غشيانه في منزلِ أمِّه هالةَ بنتِ خويلد»[١].

* في تلك الأثناء كانت زينبُ بنتُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلغَتْ مبلغَ النِّساء، يزينُها جمالٌ ووقارٌ، وكانت أكبر بناتِ المُصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

* راحت هالةُ ترقُبُ زينبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وترى أنَّها ستملأُ حياةَ ابنها أبي العاص بالسَّعادة والمودَّة. وزارت هالةُ أختَها خديجة، وحينما التقَتْ عيناها بعينَي زينبَ طوَّقَتْها بذراعَيْها، وقبَّلَتْها قبلةَ حنانٍ ممزوجةٍ بالإعجاب، فخفقَ قلبُ كلِّ واحدةٍ منهما لأمرِ يريدُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

* انطبعَتْ هذه الصُّورةُ الرائقةُ في ذهنِ خديجةَ، فطافت في خيالها صورةُ ابنِ أختها أبي العاص، وجلست هالةُ تحادثُ أختَها، وأخبرتها برغبتها في خطبةِ زينبَ لابنها، فابتهجتْ خديجةُ، فابنُ أختها من خيرة فتيان قريش، وإذا ما زارها كانت زيارته غبًا يلفُّها الحياءُ والهدوءُ والصَّفاء.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٦٧/ ٥).

(٢) اقرأ سير بنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الباب الثالث من كتابنا: نساء أهل البيت (ط٧).

* أبلغَتْ خديجةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بهذه المُصاهرة، فرحَّبَ وأثنى على أبي العاص؛ ثمَّ نادت خديجةُ زينبَ فجاءتْ تمشي على استحياء، فأخبرتها بالأَمْر، فأطرقَتْ خجلًا، ولم تتكلمْ، فأدركت خديجةُ أنَّ صَمْتَ زينبَ يعني الرضا والقبول.

* قُضِيَ الأمرُ، وانتقلَتْ زينبُ إلى بيت خالتها[1] التي غدت حماتها، وأهدتها خديجةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قلادةً جميلةً، كما زوَّدَتْها بنصائحَ تنشرُ السَّعادة الزَّوجية على البيوت.

موقفُها من الإسلام:

* اصطفى الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رسولًا نبيًا، فقامَ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالرِّسالةِ أكملَ قيام، وكانت خديجةُ وبناتُها أوَّلَ المؤمنين بالنُّبوة، وأخبرتْ زينبُ زوجَها أبا العاص بأَنْباءِ الإسلام، فلم يعارضْ ولم يوافقْ، وبلغَ هالةُ الخبرَ، فأقبلتْ على كَنَّتِها تستوضحُها الأمْرَ، فأخبرتها بنزولِ الوحي على رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فلم تحرِّكْ ساكنًا، وظلَّتْ مقيمةً على ودِّها لأختِها وكَنَّتِها.

* وحينما ظهرَ أمرُ الإسلام، جعل المشركون يُؤذون المؤمنين حتى أذنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لهم بالهجرة إلى المدينةِ، فجعلَ المسلمون يخرجون زرافاتٍ ووحدانًا حتى استقرُّوا بدار الأنصار؛ لكنَّ هالةَ وأبا العاص ظلّا مقيمَيْن في مكَّة.

* ولما كانت أيامُ وقعةِ بدر، خرجَ أبو العاص مع أهلِ مكَّة لقتالِ المسلمين، لكنَّه وقعَ في الأَسْر، ونُميَ الخبرُ إلى أُمِّه فحزنَتْ، أمَّا زينبُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا فقد بعثَتْ قلادتَها الأثيرةَ في فدائِهِ، فلمَّا رآها النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، تذكَّرَ خديجةَ وزينبَ، وقال لأصحابه: «**إنْ رأيتُم أنْ تطلقُوا لها أسيرَهَا وتردُّوا عليها الذي لها**» فامتثلَ الصَّحابةُ للرَّغبةِ النَّبويَّة ولم يتوقَّفُوا،

(١) لما تكلَّمَ ابنُ حبيب عن هالةَ ساقَ معلوماتٍ موجزةً مهمةً عنها وعن ابنها وعن زينبَ فقال: «وهي أختُ خديجةَ لأبيها وأمِّها، فتزوَّجَ أبو العاص زينبَ بنتَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ورضيَ عنها، فأولدَهَا عليًّا وأمامة...» المحبّر (ص٩٩).

وأخذَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العهدَ أنْ يخليَ سبيلَ زينبَ، واستكتَمهُ ذلك، فَصَدَقَ أبو العاص، ووفَى وعده[(١)]، وردَّ زينبَ، وحظيَ بثناءٍ نَبويٍّ خلَّدَهُ إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها، فقد أثنى النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مُصَاهرةِ أبي العاص خيرًا، وقال: «**حدَّثَني فَصَدَقَني، ووَعَدَني فوفَى لي**»[(٢)].

❋ قال الذهبي: «... وكان أبو العاص قد وعَدَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرجعَ إلى مكَّةَ بعد وقعةِ بَدْرٍ، فيبعث إليه بزينبَ ابنته، فوفى بوعده، وفارقَها مع شدَّةِ حُبِّه لها، وكان من تُجَّار قريش؛ وما علمتُ له رواية»[(٣)].

❋ وما أجمل أنْ نطالعَ ما جاء في قصَّة زينب وعقدها، وفداء زوجها، ونقرأ:

وابنُ الرَّبيع صِهْرُ هَادي الأمّةِ ... إذْ في فِداهُ زينبٌ أَرسَلَتِ

بِعِقْدِها الذي بهِ أَهْدَتْها ... لهُ خديجةُ وَزَفَّفَتْها

سَرَّحَهُ بِعِقْدِها وعَهِدا ... إليهِ أنْ يردَّها له غَدا[(٤)]

متى هَاجرتْ هَالَةُ؟

❋ تُوحي الأخبارُ التي وصلَتْ إلينا عن هالةَ أنَّها ظلتْ في مكَّةَ بضعَ سنين بعد الهجرة، إلى أنْ فتحَ اللهُ على قلبِها وقلبِ ابنها، فأعْلَنَا الإسلام أمامَ الملأ القرشيِّ الوثنيِّ؛ وشهدا شهادةَ النَّجاة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق (٦٧/ ١١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٢٩و٥٢٣٠)، ومسلم برقم (٤٤٩)، وأبو داود برقم (٢٠٦٩)، وابن ماجه برقم (١٩٩٩)، وانظر كتابنا: رجال من عصر النبوة (ص٢٥٧-٢٦٠)، وغير ذلك من مصادر.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣١).

(٤) إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٦٢)، شرح القاضي حسين المشَّاط، قدم له: د. عبد الوهاب إبراهيم، دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

* كان ذلك الفلاحُ قبيلَ فتحِ مكَّة، حيث خرجَ أبو العاص تاجرًا إلى الشَّام، فلما رجعَ لقيتْهُ سَرِيةٌ لزيدِ بنِ حارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأصابوا ما معه من مالِهِ ومالِ قريش، وهربَ منهم، ثم أقبلَ ليلًا حتى دخلَ على زوجتِهِ زينبَ في المدينة المنورة، فاستجار بها، فأجارتْهُ، وأجازَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجارتَها، وردَّ الصَّحابةُ ما أصابوهُ منَ الأموال[1]، فذهبَ أبو العاص إلى مكَّةَ، وأدَّى إلى كلِّ ذي مالٍ مالَه -وكان قد أُشرِبَ الإسلام وأخبرَ أمَّه هالة بما وقعَ له- ثم وقفَ ونادى قريشًا وقال في صراحةٍ وجرأة ووضوح: «يا معشرَ قريش! هل بقي لأحدٍ منكم عندي شيءٌ؟ فأجابوا: لا، وَجَزَاكَ اللهُ خيرًا، فأعلنَ أمامهَم قائلًا: «فإنِّي أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ، والله ما منعني منَ الإسلام عنده؛ إلا خوف أنْ تظنُّوا أنِّي إنّما أردتُ أكْلَ أموالكم». ثم قدمَ أبو العاص على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعلَّه اصطحبَ أمّه، فَسُرَّ بهما النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردَّ عليه زينبَ على النِّكاح الأوَّل لم يُحدِثْ شيئًا[2].

* تغنَّى أحمد محرَّم بهذه الحادثة بقصيدةٍ طويلة مطلعُها:

يا أَبا العَاص أيَّ أرضٍ تريدُ … إنَّ ما تبتغي لَصَعْبٌ شديدُ

ومنها قوله:

رامَ من زينبَ الجوار فقالت … إنَّ في ذا الحمى يُجارُ الطَّريدُ

---

(١) قال الناظم أحمد البدوي محمّدا في رد أموال أبي العاص:

فرد ماله عليه أجمع … تلك الصهارة بها يستشفع

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٦٧/ ١٦)، ورجال من عصر النبوة (ص٢٧٤-٢٨٠) مع الجمع والتصرف، وانظر تخريج الخبر في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٤) هامش رقم (١)، واسمع ما نظمه أحمد البدوي محمدا في هذه القصَّة قال:

أوصى به مِنْ حيثُ الإكرام ابنتَه … لكنْ نَهاهَا أنْ تكونَ بَعْلَتَه

وما ارتضى من بعدِ إسلام ابنتِه … وكفرِهِ بقاءهَا في عصمته

فردَّهَا إليه خيرُ مُرسل … بالعقدِ الأول على القول الجلي

ومـشَـتْ تُخـبرُ الـرَّسـولَ وترجو　　عـنـده الخـيـر والـفـؤاد كميدُ
قـال إنِّـي أجـرتُـهُ فَـلَـهُ ما　　شـئْـتِ عـنـدي ومـالُـه مـردودُ
أكـرمـيـهِ فـمـا عـليـكِ جُـنـاحٌ　　وامـنـحـيـهِ الجـمـيـلَ وهـو بعيدُ
وتـولَّى فـجـاء مـكَّـة مـا يُجْـ　　ـحَـدُ فـيـهـا مـقـامـه المشـهـودُ
قـال يـا قـوم لـيس بـي مِـنْ جحودٍ　　إنَّـهُ مـالُـكُـم إلـيـكـم يـعـودُ
فـخـذوهُ فـقـد وفـيـتُ وربُّ الـ　　ـبـيـتِ سبـحـانـه عـلـيَّ شـهـيـدُ
أشـهـدُ الآن مـوقـنًـا مطمئنًا　　أنَّـه اللهُ ربُّـنـا المـعـبـودُ(١)

* نَعِمَ أبو العاص وأمُّه تحتَ ظلالِ الإسلام وأفيائِه، وسعدا بين أفنانِه، وشعرَا بالأمان، فهنيئًا لهما المعاد السَّعيدُ.

اللهمَّ هَالَةُ:

* عبَّر رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن وفائِهِ لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. من خلالِ أختِها هالةَ، فَعَنْ أمِّنا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «استأذنتْ هالةُ بنتُ خُويلد أختُ خديجةَ؛ على رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعرفَ استئذان خديجة، فارتاحَ لذلك، فقال: «اللهمّ! هالةُ بنتُ خويلد» فَغِرْتُ، فقلتُ: وما تذكرُ من عجوزٍ من عجائز قريش حمراء الشّدقين، هلكَتْ في الدهْر، فأبدلك اللهُ خيرًا منها»(٢).

---

(١) ديوانُ مجد الإسلام (ص٤٩١و٤٩٢) بانتقاء. ومما يُحتسب ويُسجَّل في رصيد أبي العاص الذي قبسَه عن أمِّه هالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ما ذكروا من شهامته ووفائه: «قيل له لما أُسِرَ -وكانت معه تجارة قريش-: أسلمْ يكنْ لكَ ما معك وتأخذ هذه الأموال، فإنَّها أموالُ المشركينِ، فقال: لَبئسَ ما أبدأُ به إسلامي أنْ أخونَ أمانتي». أو أجابَ: «ما كنتُ لأبدأ الإسلام بِغَدْرة، فأتى مكَّة، وأدّى الأماناتِ إلى أهلها». رجال من عصر النبوة (ص٢٨١و٢٨٢) بتصرف.

ولله درُّ أحمد محرم حينما ترجم هذه الحادثة ورسمها شعرًا بقوله:

قالَ قومٌ أسلمْ يا أبا العَاص تغنَمْ　　مـالَ قـوم هـمُ الـعـدوُّ الـلـدودُ
قـال كـلّا فـلسْـتُ أبـدأ ديني　　بـالـتي يـأنفُ الـشـريفُ الرشيدُ

(٢) أخرجه البخاريُّ في مناقبِ الأنصار برقم (٣٨٢١)، ومسلمٌ في فضائل الصَّحابة برقم (٢٤٣٧) =

* هكذا كان دخولُ السَّيِّدةِ هالة[(١)] البيتَ النَّبويَّ مبعثَ أنْسٍ وسرورٍ وارتياحٍ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصوتُها يذكِّرهُ بزوجتِهِ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فالمرأةُ المحسنةُ يبقى فضلُها ما تعاقب الجديدان، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطنبُ في الثَّناء على خديجةَ أمام عائشة وسائرِ نسائِه.

* وختامًا، أعتقدُ أنَّ سيرةَ أُمِّ أبي العاص كانت ذات أطياف جميلةٍ، وهمساتٍ مفيدة، ولعلَّنا استنشقنا من روضِ سيرتها عبيرَ الرَّياحين.

* أما وفاتُها، فأغلبُ الظَّنِّ أنَّها أقامت في المدينةِ، إلى أنْ دعتها المنيةُ، إلى المنازلِ العلية، فرضي اللهُ عنها، وعن أختِها وكنَّتها وابنها، وعن سائرِ الأُمَّهات الصَّحابيات وختمَ لنا بخير، إنَّه جواد كريم.



=واللفظُ له. وقوله: «هالةُ بنتُ خويلد»: هي أختُ خديجة، ذكروها في الصَّحابة، وهو ظاهرُ هذا الحديث، وقد هاجرتْ إلى المدينة؛ لأنَّ دخولها كان بالمدينةِ المنورة. و«عرفَ استئذان خديجة»: أي صفته؛ وذلك لِشَبه صوت هالةَ بصوتِ خديجة فتذكَّرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّاهرةَ خديجةَ بذلك.

و«ارتاحَ»: اهتزَّ لذلك سرورًا، وهشَّ لمجيئها. و«اللهمَّ هالة»: يعني: اجعلها هالةَ. و«حمراء الشّدقين»: كناية عن كبَرِ السِّنِّ، وسقوط الأسنان. و«قد أبدلك الله خيرًا منها»: المرادُ بالخيرية ههنا: حسن الصُّورة وصغَر السِّنّ.

قال الطَّبريُّ وغيره من العلماء: «الغيرةُ مسامحٌ للنِّساء ما يقعُ فيها... لِما جُبِلنَ عليه منها، ولم يزجرِ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشةَ لِصِغَر سنّها، وأوَّلِ شبيبتها».

وقد اجتمعَ في عائشة الغيرةُ وصغرُ السِّنِّ والإدلالُ، ولم توردْ عائشة هذا القول موردَ التَّنقيص من مقام خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. واللهُ تعالى أعلم. المنهاج (ص١٧٧٠)، وفتح الباري (٧/ ١٧٣-١٧٥)، والآداب الشرعية (١/ ٢٦٥-٢٦٦) مع الجمع والتصرف.

(١) من الجدير بالذكر أنَّه لا يُوجد في الصَّحابيات من اسمها هالة غير هذه، وهالة بنت عوف الزُّهريَّة، أخت عبد الرحمن أحد العشرة، والله أعلم.

أُمُّ عبدِ الله بنِ جعفرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم

۞ إحدى الصَّحابيات المُنجبات النَّجيبات من أصحابِ الهجرتين.

۞ أولادُها نجباءُ أخيارُ، وسيرتُها معهم تملأُ روض الأقطار.

۞ من راوياتِ الحديثِ، لها ستُّون حديثًا، ماتت سنة (٣٨هـ).



أُمّ عبد الله بن جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم

السَّابقةُ زوجُ الجَواد:

❊ سارعَتْ إلى ساحةِ العزِّ والمغفرةِ قبل دخولِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّار الأرقمَّيةِ المباركةِ، وأُثرتْ عنها مواقفُ كريمةٌ مع رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع كبار الصَّحابة وأبنائهم وأعيانهم، ولها في ذلك قصصٌ نافعةٌ لِبَنَاتِ حوَّاء، ولكلِّ محبِّي هذا الدِّين الحنيف.

❊ تزوَّجَتْ هذه السَّابقةُ الجوادَ السَّخيَّ المطعامَ جعفرَ بنَ أبي طالب؛ أحدَ السَّابقين الأوَّلين، وأحدَ النُجُبِ الميامين.

❊ هذه الصَّحابيةُ هي: أسماءُ بنتُ عميس الخثعميَّةُ، إحدى أمهاتِ الصَّحابة النَّجيبات المُنجبات، أسلمتْ أسماءُ بمكَّةَ مع زوجها جعفر، ولم يسبقْها من النِّساء سوى عددٍ لا يتجاوزن في العَدِّ أصابعَ اليد، وهي من المهاجرات الأول من أصحاب الهجرتَين[1].

مَعَ المُهَاجـرات:

❊ نستجلي من سيرةِ أسماءَ بنتِ عُميس أنَّها كانت في عمرٍ مُبكِّرٍ لما تزوَّجَتْ سيِّدنا جعفرَ الطَّيار[2] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحينما أمعنَ فُجَّارُ قريش ومجرموهم في إيذاءِ المسلمين

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٦١-٦٣)، وأسد الغابة (٧/ ١٢)، والوافي بالوفيات (٩/ ٣٣و٣٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٠)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٥)، والبداية والنهاية (١٠/ ٦٧٢و٦٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٢-٢٨٧)، وحلية الأولياء (٢/ ٧٤-٧٦)، والدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص٣٥)، وغيرها كثير جدًا.

(٢) اقرأ سيرته في كتابنا: رجال مبشرون بالجنة، ففيه فائدة بإذن الله.

والمسلمات، أشارَ عليهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتَّوجُّهِ إلى بلادِ الحبشَة، وكانت أسماءُ من بين ثماني عشرة امرأة تركْنَ الدِّيار، وهاجرنَ إلى أرض الحبشة مع ذويهنَّ ومنهنَّ: سودةُ بنتُ زمعة، وأمُّ حبيبةَ بنتُ أبي سفيان، وأُمُّ سلمةَ المخزوميَّة وغيرُهُنَّ[١].

* ثبتَتْ أسماءُ بنتُ عميس[٢] على دنيها، وكذلك أثبتَ المسلمون وفاءهم لعقيدتهم، وصدقُوا ما عاهدوا اللهَ عليه، فدعا زوجُها جعفرُ النَّجاشيَّ ملكَ الحبشة إلى الإسلام، فأجابَ واستجابَ من خلالِ حوارٍ جميل روتْه السَّيِّدةُ أُمُّ سلمة أُمُّ المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

* كما روى الإمامُ أحمدُ بسنده عن ابنِ مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّجاشيَّ قال لجعفر بعد حوارٍ ومناقشةٍ بينهما: «مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهدُ أنَّه رسولُ الله، وأنَّه الذي نجدُ في الإنجيل، وأنَّه الرسولُ الذي بشَّرَ به عيسى ابنُ مريم»[٣].

أُمُّ أَوَّلِ مولودٍ في الحبشَة:

* وهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أسماءَ بنتَ عميس الذُّريَّةَ الطَّيِّبةَ، وصارتْ من أُمَّهات الصَّحابة، حيثُ ولدتْ عبدَ الله، ومحمدًا وعونًا أبناء جعفر، وكان ابنُها عبدُ الله أوَّلَ مولودٍ[٤] وُلدَ

---

(١) انظر: أسماء المهاجرات إلى الحبشة في السيرة النبوية (١/ ٣٢٣-٣٣٠)، والبداية والنهاية (٤/ ١٦٩-١٧٥)، وغيرهما. وانظر: المغازي لموسى بن عقبة (ص٧٥).

(٢) قال سبطُ ابن الجوزي: «ليس في الصَّحابيات من اسمُها أسماء بنت عميس غيرها. فأمَّا أسماءُ غير بنت عميس فاثنتا عشرة: أسماءُ بنتُ أبي بكر، أسماءُ بنتُ مخرمة بن جندل، أسماءُ بنتُ سلامة، أسماءُ بنتُ مرشدة، أسماءُ بنتُ قرظ بن خنساء، أسماءُ بنتُ النعمان الجونية، أسماءُ بنتُ زيد بن الخطاب، أسماءُ بنتُ سلامة الدارمية، أسماءُ بنتُ عمرو بن عدي أم منيع، أسماءُ بنتُ محرز بن عامر الأنصارية، أسماءُ بنتُ مرشد ابن جبر، أسماءُ بنتُ يزيد تكنى أم سلمة» الوافي بالوفيات (٩/ ٣٤) بتصرف يسير.

(٣) المسند (١/ ٤٦١).

(٤) قال النَّوويِّ رَحِمَهُ اللهُ: «وهو أوَّلُ مولود وُلد في الإسلام بأرضِ الحبشة باتِّفاق العلماء». تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٨و١/ ٢٦٣)، وقال أيضًا: «وكان لجعفر ثلاثة من أسماء: عبد الله، ومحمد، وعون، والعقب لعبدِ الله دون أخويه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين». تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٩).

في الإسلام بأرضِ الحبشة، وقدم المدينةَ مع أبيه، وحفظَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنه، وبايَعَه وعمرهُ سبعةُ أعوامٍ، وله أخبارٌ نفيسةٌ ذكرتُها في كتابي (أبناء الصَّحابة).

* وولدَتْ أسماءُ بالحبشَة ابنها محمدَ بنَ جعفر، وقد زوَّجَهُ سيدنا عليٌّ بابنتِهِ أُمِّ كلثوم بعْدَ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وكان محمدُ بنُ جعفر، ومحمدُ ابنُ الحنفية، ومحمد بنُ الأشعث، ومحمدُ بنُ أبي حذيفة كلُّهم يُكنى أبا القاسم.

* وكذلك ولدَتْ ابنَها عونَ بنَ جعفر بالحبشة، وقدمَ به أبواه في غزوة خيبر، واستُشهدَ عونٌ في تُسْتَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

منزلتُها عنْدَ النَّجاشيِّ:

* نتعرَّفُ بعضًا من أمومةِ أُمِّ عبد الله من محصَّلِ ما رواه أهلُ الأخبارِ والأنسابِ عنها، فقالوا: «لما هاجر جعفرُ إلى الحبشةِ، حَمَلَ امرأته أسماءَ بنتَ عميس، فولدَتْ له هناك: عبدَ الله، ومحمدًا، وعونًا. ثم وُلدَ للنَّجاشيِّ بعدما ولدَتْ أسماءُ ابنها عبدَ الله بأيام، فسمَّى ابنه عبد الله، وأخذتْهُ أسماءُ فأرضعَتْه حتَّى فطمَتْه بلبنِ ابنها عبدِ الله بن جعفر، وصار لأسماء عند النَّجاشيِّ منزلةٌ عظيمةٌ، فكان مَنْ أَسلَمَ بالحبشَةِ يأتي أسماء، يُخْبَرُ خبرهم، إلى أَنِ انصرفَ المسلمون من عندِ النَّجاشي إلى المدينةِ النَّبويَّة، والتقوا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد غيابٍ طويلٍ...»[٢].

* ونقرأُ روايةً أخرى أكثرَ بيانًا وتبيينًا تُظْهِرَ مكانةَ السَّيِّدة أسماءَ عند النَّجاشي، تقولُ الروايةُ: «ويومَ وُلدَ لجعفر عبدُ الله، وُلدَ فيهِ للنَّجاشيِّ وَلَدٌ، فسأَلَ جعفرًا: ماذا

---

(١) انظر المصادر الآتية مع الجمع بينها: الإصابة (٥/ ٤٤و٤٥)، وذخائر العقبى (ص٣٤٨و٣٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢١٦)، ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٧٤).

(٢) نسب قريش (ص٨١و٨٢) بتصرف واختصار، وقال مصعب الزبيري: «وإخوة بني جعفر لأمهم: محمد ابن أبي بكر الصديق، ويحيى بن علي بن أبي طالب» قلت: «سنطلع على هذا الأمر في ثنايا هذه السيرة بإذن الله».

سميتَ ابنَكَ يا جعفرُ لنسمي به ابنَنَا، فسمَّاه عبدَ الله، وأرضعَتْهُ أسماءُ بلبنِ ابنها عبدِ الله، فكانا يتواصلان لِتلْكَ الأُخوَّةِ»[١].

كُنَّا في أَرضِ البُعَداء:

* عادَ المهاجرون الحبشيُّون إلى المدينةِ المنوَّرة في سفينتَيْن وعلى رأسِهم جعفرُ بنُ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]، ومعه أسرتُه، وذلك في العام السَّابعِ من الهجرة في أعقابِ فتح خيبر[٣]، واختطَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجعفرَ وأسماءَ دارًا في المدينةِ إلى جنْبِ المسجد، فكانت أسماءُ من جاراتِ البيتِ النَّبويِّ الطَّاهر، ومن جاراتِ أُمَّهاتِ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

* لم تَخْلُ الهجرةُ الحبشيةُ من مشقَّة ومتاعب؛ أفصحت عنها أسماء حينما دار بينها وبين سيدنا عمر حوارٌ ونقاشٌ حول الهجرة وأحداثها.

* فَصَّلَتْ كتبُ الحديث: صحيحُها وسننُها ومسانيدُها وآثارُها حوارَ أسماءَ أُمِّ عبد الله مع عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجملُ الأقصوصةِ الأسمائيةِ وخلاصتُها؛ ما جادَتْ به قريحةُ أبي موسى الأشعريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخلَتْ أسماءُ بنتُ عميس على حفصةَ زوجِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائرةً... فدخلَ عمرُ على حفصةَ، فقال: مَنْ هذه؟ قالت: أسماءُ بنتُ عميس، قال عمرُ: الحبشيةُ هذه؟ البحريةُ هذه؟ فقالت أسماءُ: نعم، فقال عمرُ: سبقناكم بالهجرة، فنحنُ أحقُّ برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكم، فغضبتْ أسماءُ وقالت: كلا، والله كنتم مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْعِمُ جائعَكُم، ويعظُ جاهلَكم، وكُنَّا في أرض البعداء البُغضاء[٤] في الحبشة، وذلك في الله ورسوله. وسأذكرُ ذلك لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) إنارة الدجى في مغازي خير الورى (ص٥٨٠).

(٢) فتح الباري (٦/ ٢٣٧) و(٧/ ١٨٨و٤٨٤و٤٨٧).

(٣) البخاري برقم (٣٨٧٦).

(٤) **البعداء والبغضاء**: أي البعداء في النسب، البغضاء في الدين؛ لأنهم كفار إلا النجاشي، فقد كان يستخفي بإسلامه عن قومه.

وأسألهُ... فلما جاء النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: يا نبيَّ الله، إنَّ عمرَ قالَ كذا وكذا... فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ليسَ بأحقَّ بي منكم، ولهُ ولأصحابهِ هجرةٌ واحدةٌ، ولكم أنتم أهل السَّفينةِ هجرتان»**(١).

* يُستفادُ من نقاشِ أسماءَ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ المسلمين قد لاقوا المشاقَّ في الحبشة، وتحملوا آلامَ الغربة، وكانوا يتعرضون للخوفِ والإرهاب، وقد أنصفَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسماءَ ومهاجري الحبشة حينما أعلمهم بأنَّهم أصحابُ هجرتَيْن، وهذا مما أسعدهم، وأثلجَ صدورهم.

* عبَّرتْ أسماءُ عن شدَّة فرحِ المهاجرين وسرورهم بالمِنَح النَّبويَّة، فقالت: «... فقد رأيتُ أبا موسى وأصحابَ السَّفينة، يأتوني أرسالًا ليسألوني عن هذا الحديث، ما مِنَ الدُّنيا شيءٌ هم أفرحُ به، ولا أعظمُ في أنفسهم ممَّا قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم»(٢).

«يا أسماءُ لا تقُولي هجرًا»:

* مكثتْ أمُّ عبد الله مع زوجِها وأولادِها في المدنيةِ النَّبويَّةِ تنعُمُ بالجوار النَّبويِّ؛ وبالصُّحبة الشَّريفة، وأخذتْ تهتمُّ بتربيةِ أولادها ونظافتهم، وتقتبسُ كثيرًا من الأخلاقِ الفاضلة كالسَّخاء والجود والوفاء وتغرسُه في نفوس أبنائها، فقد كان زوجها جعفرُ من أسخى الصَّحابة حتى لُقِّبَ بالجوادِ، وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابُه يدعون جعفر أبا المساكين لكثرة جودِهِ عليهم، فقد كان سيِّدنا جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعو أبا هريرة إلى منزله، ويقولُ لامرأته: «يا أسماءُ أطعمينا» فتأتي بالطَّعام، وكان جعفرُ يحبُّ المساكين، ويجلسُ إليهم ويحدِّثُهم ويحدِّثُونه(٣).

---

(١) أصل الحديث عند البخاري برقم (٣١٣٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٣)، وأبو داود برقم (٢٧٤٥)، والترمذي برقم (١٥٥٩)، وانظر: مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ٢١٤) و(١٣/ ٢٣٥و٢٣٦) وغيرها كثير.
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٦٣)، وأصل الحديث في الصَّحيحين.
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٧٠و٧١)، وذخائر العقبى (ص٣٥٧).

* وفي سنة ثمان من الهجرة قُتِلَ جعفرُ شهيدًا في مؤتة، وههنا ظهرتْ أمومةُ أسماءَ ورعايتها لأولادِها، كما ظهرَ اهتمامُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببني جعفرَ الثَّلاثة.

* عن أسماءَ بنتِ عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما أُصيبَ جعفرُ[1] وأصحابُهُ، دخَلَ عليَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وقد عجنْتُ عجيني، وغَسَّلْتُ بنيَّ، ودهنتُهم، ونظَّفْتُهم، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ائتيني ببني جعفر**» فأتيتهُ بهم، فشمَّهم وذرفَتْ عيناهُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأُمِّي، ما يبكيكَ؟ أبلغَكَ عن جعفرَ وأصحابِه شيءٌ! قال: «**نعم، قُتِلَ اليوم هو وأصحابُه**»، قالت: فقمتُ أصيحُ، واجتمع إليَّ النِّساء، وخرجَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهله فقال: «**لا تغفُلُوا عن آل جعفر من أنْ تصنعوا لهم طعامًا، فإنَّهم شُغِلُوا بأمْرِ صاحبِهم**»[2].

* ولما جاء نعيُ جعفرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أتى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسماءَ بنتَ عميس، فعزَّاها في زوجِها، وجعلَ يقولُ لها: «**يا أسماءُ لا تقُولي هجرًا، ولا تضربي خدًّا**» وأمهلَ آلَ جعفر ثلاثة أيّام، ثمَّ أتاهم، فقال: «**لا تبكوا على أخي بعد اليوم**»، ثمَّ قال: «**ادعوا بَني أخي**» فجيءَ بعبدِ الله ومحمد وعون، فدعا الحلَّاق وحلَقَ رؤوسَهم[3].

* وما أجملَ أنْ نَسْرَحَ مع هذه الهمسات الأدبيةِ التي تترجمُ أقصوصةَ أسماء، وعناية رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببنيها:

---

(١) قال الذهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السَّيدُ الشَّهيدُ، الكبيرُ الشَّأن، عَلَم المجاهدين، هاجر الهجرتين، وهاجرَ منَ الحبشة إلى المدينة، ثمَّ أمَّره رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جيشِ مؤتةَ، فاستُشهد، وقد سُرَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدومه، وحَزنَ والله لوفاته» سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٦) بتصرف يسير.

(٢) ذخائر العقبى (ص٣٦١).

(٣) ذخائر العقبى (ص٢٦٢)، وللحديث أصلٌ عند أبي داود برقم (٤١٩٢)، وانظر: تهذيب الكمال (٥/ ٦٠و٦١)، وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن موضوع الحلْق ما مفاده: «لا خلافَ أنَّ حَلْق الرأس جائزٌ، فقد حلقَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤوسَ بني جعفر بعد أن أتاهُ قتله بثلاثة أيام، ولو لم يَجُزِ الحلق ما حلقهم» تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٩) بتحقيق د. عبد الله التركي.

أَسْماءُ بنتُ عُميس تحكي عن مُصَاب المسلمين

قالتْ توجَّهَ جيشُنا للرُّومِ كانوا مجرمين

قد كان زوجي بينَ قادتِهِ كما أمرَ الأمين

فأتى إلينا المُصْطفى في بيتنا كالزَّائرين

قالَ ائْتِني بِبَني جعفر هلْ أراهم سالمين

ناديتُهم فورًا وجئْنا للنَّبيِّ مُسَارعين

ذرفَتْ عيونُ المصطفى لما رآهم مُقْبلين

قد ضَمَّهم في صَدْرِه في العطف فاقَ العالمين

لما رأيتُ دموعَه فَسَألتهُ كي أَسْتَبين

بأبي وأُمِّي أنتَ يا خيرَ الورى والمُرسلين

أسمِعْتَ سُوءًا عن غُزَاتِكَ جَعْفَرٍ والآخرين

كان الجوابُ أُصِيْبَ جعفرُ فاصبري لا تجزعين

فبكيتُ واجتمعَ النِّساء بكينَ مثلي أجمعين

قال الرسولُ لصحبهِ كانوا لقولٍ سامعين

لا تغفُلوا عن آل جعفرَ من طعام الآكلين

«يا أسماءُ رُدِّي عليه السلام»:

* لهذه الأُمِّ قَدْرٌ مكينٌ عند الصَّادقِ المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ كان يهتمُّ بشأنِها، ويخبرها بمكانةِ زوجها جعفر.

* نقل ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جانبًا من الاهتمام النَّبويِّ بأُمِّ عبد الله قال: بينما رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسٌ؛ وأسماءُ بنتُ عميس قريبةٌ منه؛ إذ قال: «**يا أسماءُ هذا**

جعفر بن أبي طالب مع جبريلَ وميكائيلَ مرَّ فأخبرني أنَّه لقيَ المشركين يوم كذا وكذا... فَسَلَّمَ فردِّي عليه السَّلام»[١].

* كانت أمُّ عبد الله من أُمَّهات الصَّحابة المشهورات بالفصاحةِ واللسن، ونظمِ الشِّعر، وممَّا أُثر عنها في رثاء زوجِها جعفر بن أبي طالب هذه الحائية التي تنطقُ بالتفجُّع:

يا جعفرَ الطَّيَّار خَيْرَ مصرفٍ	**للخيلِ يومَ تَطَاعُنٍ وشياح**
قد كُنتَ لي جَبَلًا ألوذُ بظلِّهِ	**فتركْتَني أمشي بأَجْردَ ضَاحِ**
قد كنتُ ذاتَ حميّةٍ ما عشتَ لي	**أمشي البَرازَ وأنتَ كنْتَ جناحي**
وإذا دعَتْ قُمريَّةٌ شجنًا لها	**يومًا على فَنَنٍ بكيتُ صَباحي**
فاليومَ أخشعُ للذَّليل وأتَّقي	**منه وأدفعُ ظَالمي بالرَّاح**[٢]

«الخَالةُ بمنزلةِ الأُمّ»:

* منجمُ أمومةِ أسماء غنيٌّ بالحنانِ والعطفِ والمودَّة، وقد أنزلَها النَّبيُّ ﷺ بمنزلةِ الوالدةِ لابنةِ أختِها سلمى بنتِ عميس، وذلك في حديثٍ طويلٍ مشهورٍ أخرجه شيخُ أهلِ الحديث وأميرهُم أبو عبد الله البخاريُّ بسندٍ عن البراءِ بنِ عازب[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حينما تكلَّم عن عمرةِ القَضَاء وما جرى فيها، وكيف أكرمَ النَّبيُّ ﷺ أسماءَ، ورفعَ منزلتَها، فقال: «... فخرجَ النَّبيُّ ﷺ، فتبعتْهُ ابنةُ حمزةَ تنادي: يا عمُّ يا عمُّ، فتناولها عليٌّ، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ: دونَكِ ابنةَ عمِّك حمِّليها. فاختصمَ فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرُ، قال عليٌّ: أنا أخذتُها وهي بنتُ عمي، وقال جعفر: ابنةُ عمي

---

(١) تهذيب الكمال (٥/ ٥٩).

(٢) تهذيب الكمال (٥/ ٦٣)، وفي النفس شيءٌ، بل أشياء من هذه الأبيات!!

(٣) اقرأ سيرة البراء بن عازب في الباب الرابع من كتابنا: علماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ففي سيرته فوائد جمة بإذن الله.

وخالتُها تحتي، وقال زيدٌ: ابنةُ أخي. فقضى بها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالتِها وقال: الخالةُ بمنزلةِ الأُمِّ...»[(١)].

* وروى هذه القصَّة مختصرةً جعفرُ بنُ محمد عن أبيه: «أنَّ ابنةَ حمزةَ لتطوفُ بين الرِّجال، إذ أخذَ عليٌّ بيدها فألقاها إلى فاطمةَ في هودجِها، فاختصم فيها هو وجعفرُ، وزيدٌ، فقال عليٌّ: ابنةُ عمي وأنا أخرجتُها.

وقال جعفرُ: ابنةُ عمي وخالتُها تحتي.

فقضى بها لجعفرَ، وقال: الخالةُ والدةٌ، فقام جعفرُ، فحجلَ حولَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دار عليه، فقال: ما هذا؟ قال: شيءٌ رأيتُ الحبشة يصنعونه بملوكهم»[(٢)].

* فازتِ السَّيدةُ أسماءُ بحضانةِ ابنةِ حمزة بإشارةٍ نبويةٍ مباركة جعلتها بمنزلةِ الأُمِّ؛ لأنَّها تقربُ منها في الحنو والشَّفقة والاهتداء إلى ما يصلحُ الولد، وقد أمرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا وزيدًا بقوله: «**ادفعاها إلى جعفر فإنَّه أوسُع منكم**». ولكونِ جعفرَ ابنِ عمها، وخالتها عنده، فيترجَّحُ جانبُ جعفر باجتماع قرابةِ الرَّجل والمرأة منها دون الآخَرَيْن[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في المغازي برقم (٤٢٥١)، وأخرجه في الصلح أيضًا برقم (٢٦٩٩)، وهو حديث طويل، وأخرجه الترمذي مختصرًا برقم (١٩٠٤و٣٧١٦و٣٧٦٥)، وأبو داود برقم (٢٢٧٨و٢٢٧٩)، وانظر: إتحاف الورى (١/ ٤٨٠)، وتهذيب الكمال (٥/ ٥٤) وغيرها كثير جدًا. وقوله: «ابنة حمزة»: اسمها: عمارة، وقيل: فاطمة، أو أمامة، أو أمة الله، أو سلمى، والأول هو المشهور، و«يا عمُّ»: كأنها خاطبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك إجلالًا له، وإلا فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عمها، و«خالتها تحتي»: أي زوجتي أسماء بنت عميس. و«زيد»: هو زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويُستفاد من الحديث بأن الخالة في الحضانة مقدمة على العمة، ويؤخذ منه تقديم أقارب الأم على أقارب الأب، وتعظيم صلة الرحم.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢١٤)، وقال الذهبي عن ابنة حمزة: «أمها سلمى بنت عميس وخالتها أسماء». وعلَّق ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الحديث فقال: «ففي الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم بالحق، وأرضى كلًا من المتنازعين» تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٣٨).

(٣) فتح الباري (٧/ ٥٠٦).

أمُّ المُحَمَّدَيْن:

* علمنا أنَّ سيدنا جعفرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقيَ اللهَ شهيدًا يومَ مؤتة، فأمرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجَتَه أسماءَ بنت عميس، أن تَتَسَلَّبَ[1] ثلاثةَ أيّام، ثم تصنعُ ما شاءت.

* روتْ أُمُّ عبد الله قالت: «دخلَ عليَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليومَ الثَّالثَ من قَتْلِ جعفرَ، فقال: «لا تحُدِّي بعد يومكِ هذا»[2].

وذكَرَتْ له حالَ أولادِها، فأخبرَهَا بألا تخشى عليهم العيلةَ؛ لأنَّه وليُّهم في الدنيا والآخرة، ثمَّ دعا لها بالخلفِ، كما دعا لأولادِها.

* استُجِيبَ دعاءُ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحينما انقضَتْ عدَّتها، تزوَّجها شيخُ الصحابةِ وسيّدهُم وإمامُهم وصادقُهم وصدِّيقُهم سيدنا أبو بكر رضوانُ الله عليه، وقد زوَّجَها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر رضي الله عنه وعنها.

* صحبتْ أسماءُ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حجَّةِ الوداع -وكانت حاملًا- حتى إذا كانوا بمكان يُسمَّى ذا الحُلَيفة، نَفَسَتْ بمحمدِ بنِ أبي بكر، فأرادَ أبو بكر أنْ يردَّها إلى المدينةِ المنورة، لكنَّها أرسلت إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسألُه: «كيفَ أصنعُ؟» فقال: «**اغتسلي، ثمَّ استثفري بثوبٍ، ثم أَهِلِّي**»[3].

---

(١) **تتسلَّب**: تلبس ثوب الحداد، **والسَّلب**: ثوبٌ أسود تغطي به المرأة المُحِدّ رأسها. قالت أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما أصيب جعفر، أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**تسلبي ثلاثًا، ثم اصنعي ما شئت...**» طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٧و٢٦٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٨/ ٤٢١) برقم (٢٦٩٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٠)، وهو عند أبي داود برقم (١٩٠٥)، وأصل الحديث عند مسلم في كتاب الحج برقم (١٢١٨)، وانظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٨).

* سمَّى أبا بكر ابنَه محمدًا، فصارتْ أسماءُ أمَّ المُحمدَيْن: محمدُ بنُ جعفر، ومحمدُ ابنُ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ثم تابعتْ أسماءُ مناسكَ الحجِّ في المعيةِ النَّبويَّةِ، ولها روايةٌ في أسبابِ النزول في تلك الأيام(١).

* كانت أسماءُ تهتمُّ بزوجِها أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اهتمامًا بالغًا، ولما مرضَ كانت تذبُّ عنه ما يكرهُ، فعن قيسِ بنِ أبي حازم(٢) قال: «دخلتُ على أبي بكر في مرضهِ، وأسماءُ بنتُ عميس تُروِّحُهُ»(٣).

* ولما حضرتْ أبا بكر الوفاةُ، وجاءت سكرةُ الموتِ بالحقِّ؛ أوصى أنْ تغسِّلَه امرأتُه أسماءُ بنتُ عميس، فإنْ لم تستطعْ استعانَتْ بابنهِ عبد الرّحمن، قالت أُمُّنا عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إنَّ أبا بكر غسلتْهُ أسماءُ بنتُ عميس»(٤).

---

(١) قالت أسماءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «حججتُ مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الحَجَّة، فبينما نحنُ نسير، إذ تجلَّى له جبريلُ، فمالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الراحلةِ، فلم تُطِق الراحلةُ من ثِقَل ما عليها من القرآن، فبركتْ، فأتيتُه فسجَّيتُ عليه بُردًا كان عليَّ» تفسير الطبري (٨/ ٨٠و٨١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٣)، والدر المنثور (٥/ ١٨٧).

(٢) قيس بن أبي حازم البجلي الكوفي التابعي الجليل المخضرم، روى قيس عن العشرة المبشرين بالجنة، وليس في التابعين أحدٌ روى عن العشرة غيره، وهو أجود الناس إسنادًا، توفي سنة (٨٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٦١).

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١١٨) نقلًا عن طبقات ابن سعد.

(٤) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٢٦٨و٢٦٩)، وصفةُ الصفوة (٢/ ٦١)، ومختصر تاريخ دمشق (١٣/ ١٢٥)، والكامل في التاريخ (٢/ ٢٦٧)، وغيرها كثير.

وفي موضوع غسل المرأة زوجها أخرجَ أبو داود في سننه عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّها كانت تقولُ: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما غسلَهُ -أي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا نساؤه. وقد دلَّ هذا الحديث العائشيُّ المنيفُ على جواز أن تغسلَ المرأةُ زوجَها إذا مات، وعلى هذا إجماعُ أهلِ العلْم. قال ابنُ المنذر: «أجمعَ أهلُ العلْمِ على أنَّ المرأةَ تغسلُ زوجَها إذا مات». وأوصى أبو بكر أن تغسلَه امرأتُه أسماءُ بنتُ عميس، وأوصى جابرُ بنُ زيد أن تغسلَه امرأتُه... وقال الإمامُ أحمد: «ليس فيه اختلافٌ بين الناس». وقال الشَّوكانيُّ: «لم يقعْ إنكارٌ من الصَّحابة على أسماءَ في غسلها لزوجها أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان إجماعًا على جواز ذلك، =

أسماءُ في كَنَف عليٍّ:

* قضى سيِّدنا أبو بكر نحبَهُ، ومات عن أسماء، فتزوَّجها رابعُ الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشرة المبشَّرين بالجنَّة، سيِّدُنا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فولدَتْ له يحيى بنَ علي بن أبي طالب[(١)]، ويحيى هو أخو بني جعفر، وأخو محمد بن أبي بكر لأُمِّه.

* وللسَّيدةِ أسماء مواقفُ ومواضعُ مباركةٌ في حياتها مع سيدنا عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنها هذا الموقفُ المشرقُ الذي ينمُّ عن أمومتها الحانية؛ ورعايتها الودودة للحُسين بنِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما، حيثُ مرَّضَتْه قرابةَ عشرين ليلة.

* ذكر الطبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الحُسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتكى من مرضٍ ألَمَّ به، فَذُكِرَ ذلك لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجاء هو وأسماءُ فمرَّضُوه عشرين ليلة، وأشار الحسينُ إلى رأسه، فَحلَقَه، ونحرَ عنه جزورًا[(٢)].

* نَعِمَتْ أسماءُ في حياتها مع عليٍّ الذي كان ذا سيرةٍ عادلة، وطريقةٍ فاضلة، ومواعظَ فاصلة، وحِكَمًا إلى القلوب واصلة، وظلت أسماء في كنفه إلى أنْ لقي الله شهيدًا عام أربعين من الهجرة النَّبوية، حيثُ قُتِلَ بيدِ الغدر والحقدِ والخسَّةِ والنَّذالةِ، فرضي اللهُ عنه، وحشَرنا في زُمرتهِ.

=وبهذا صرَّحَ الفقهاءُ من مختلفِ المذاهب الإسلامية». المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم (١١/ ٥٢) بتصرف يسير جدًّا.

قلت: «كانت السيدة الجليلة، والصحابية النبيلة، أم عبد الله أسماء بنت عميس أول امرأة غسلت زوجها في الإسلام، فرضي الله عنها وعن زوجها».

(١) نهاية الأرب (١٩/ ٨٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٠٢و٤٠٣) بتصرف، وانظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٩٨و٣٩٩).

سَدَادُ رأْيها وبصيرتها:

❋ كشفَتْ كثيرٌ من المواقفِ عن سَدادِ رأْي أُمِّ عبد الله ونفاذِ بصيرتها، فهي أولُ مَنْ أشار على المسلمين في المدينة بالنَّعْشِ، وذلك أنَّه لما حَضَرَتْ فاطمةَ الزَّهراءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الوفاةُ، أوصتْ أنْ تُحْمَلَ على سريرٍ طاهرٍ، فقالت لها أسماءُ بنتُ عميس: «أصنعُ لَكِ نعشًا كما رأيتُ أَهْلَ الحبشَةِ يصنعون» فأرسلتْ إلى جريدِ رطْبٍ فقطعَتْهُ، ثمَّ جعلَتْ لها نعشًا، ولما قضَتْ نحبَها غسَّلها عليٌّ وأسماءُ وبذلك أوصتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها[1].

❋ برعَتْ أُمُّ عبدِ الله في تَأْويلِ الرُّؤى وإيضاحِها، وكانت ذاتَ بصيرةٍ ودرايةٍ بذلك، واستَقَتْ هذه المعارف من ينابيعَ صافيةٍ، ومن أهل التَّأْويل المُتخصِّصين بذلك، وكان بعضُ كبار الصَّحابةِ يسألونَها عن رؤياهم، وهذا ما أسفَرَتْ عنه وجوهُ الأوراق، وأخبرتْ به الثِّقات في الآفاق، وظهرتْ روايته بالحجاز ومصر والشَّام والعراق.

❋ أخرجَ الإمامُ أحمدُ في (مسنده) عن معدانَ بنِ أبي طلحةَ اليعمريِّ: أنَّ سيِّدنا عمرَ ابنَ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قامَ على المنبرِ يومَ الجمعة؛ فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم ذكرَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكرَ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ قال: «رأيتُ رؤيا لا أراها إلا لحضورِ أَجَلي، رأيتُ كأَنَّ ديكًا نَقَرني نقرتَيْن، قال: وذكر لي أنَّه ديكٌ أحمرُ، فقصصتُها على أسماءَ بنتِ عميس امرأةَ أبي بكر، فقالت: يقتلُكَ رجلٌ من العجم...»[2].

---

(١) أنسابُ الأشراف للبلاذريّ (١/ ٤٠٥) بتصرّف يسير، وانظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٤). مدَّ ابنُ قتيبة محبي المعارف بهذه المعلومة عن أسماء وقصة النعش فقال: «وأوَّلُ مَنْ عُمِلَ له النعش زينب بنت جحش زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت خليقة، فقالت أسماء بنت عميس: قد رأيت بالحبشة نعوشًا لموتاهم، فعملتْ نعشًا لزينب، فقال عمر لما رآه: نِعْمَ خباء الظعينة» المعارف (ص٥٥٥).

(٢) المسند (١/ ٢٠٣) برقم (٨٩).

* كان تأويلُ أسماء للرُّؤيا العمريَّة صحيحًا، فقد خطب عمرُ النَّاسَ يومَ الجمعة، وأُصيبَ يوم الأربعاء في أواخرِ شهر ذي الحجَّة سنة (٢٣هـ).

* تبوَّأَتْ أسماءُ مكانةً ساميةً بين المهاجرات، فقد فرضَ لها سيِّدنا عمرُ ألفَ درهم. عن مصعبِ بنِ سعد: «أنَّ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فرضَ الأُعطيةَ، ففرضَ لأسماءَ بنتِ عميس ألف درهم»[1].

* وأوضحتِ الأخبارُ والرِّواياتُ جوانبَ متألقةً من حياةِ أُمِّ عبد الله بنِ جعفر، وأشارتْ إلى سَعَة فهمِها وحسنِ بصيرتها بالأمور، وإلى حصافتها وإنصافِها وكمالِ إيمانها، وإعطاء كُلّ ذي حقٍّ حقَّه، وفي الخبرِ الآتي نجلو مصداقَ ما ذكرناه عن هذه الأُمِّ المُربيةِ الفاضلةِ.

* عن زكريا بنِ أبي زائدة قال: سمعتُ عامرًا يقولُ: «تزوَّجَ عليُّ بنُ أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أسماءَ بنتَ عميس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فتفاخرَ ابناها: محمدُ بنُ أبي بكر، ومحمدُ بنُ جعفر، فقال كلٌّ منهما: أنا أكرمُ منك، وأبي خيرٌ من أبيك، فقال لها علي: اقضي بينَهما يا أسماءُ، قالت: ما رأيتُ شابًا من العربِ خيرًا من جعفرَ، ولا رأيتُ كهلًا خيرًا من أبي بكر، فقال عليٌّ: ما تركْتِ لنا شيئًا، ولو قُلْتِ غيرَ الذي قُلْتِ لَمَقتُّكِ، قالت: إنَّ ثلاثةً أنتَ أخسُّهم خيار»[2]!!!

---

(١) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٧٠).

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٧٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٦و٢٨٧)، والبصائر والذخائر (١/ ١٦٩)، ونزهة الفضلاء (ص١٤٨) وغيرها كثير من مصادر متنوعة.

قلت: «إن الحصافة ولطف المقصد مما تحلت به أسماء، فلا يخفى إنصافها وفهمها على كل ذي بصر وبصيرة، فمن خلال جوابها لعليٍّ أعطت زوجيها الأولين: جعفر، والصديق حقهما ومنزلتهما أمام زوجها الثالث وهو عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ولم تمنع وفاة كلٍّ منهما أن يعطى حقه، وكان من إنصاف عليٍّ أيضًا أن أقرها على ما قالت، واعترف بما قالته؛ على الرغم من أن أسماء ما أبقت له من المديح إلا الشيء اليسير، كما أنه لم يغضب حينما أخبرته أنه أقل الثلاثة رتبة في هذا المضمار، وإن كانوا جميعًا من الأخيار الفضلاء النبلاء، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وحشرنا معهم».

«ارقيهم»:

استأذنتِ السَّيدةُ الحصيفةُ أُمُّ عبد الله رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاسترقاءِ لأولادها؛ لَمَّا خافَتْ عليهم من العينِ، وأتتْ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت: «يا رسولَ الله، إنَّ بني جعفر تصيبُهم العينُ، أَفَأَسْتَرقي لهم؟» قال: «**نعم، لو كان شيءٌ سابق القَدَرِ لسبقَتْه العينُ**»[1].

* وفي صحيحِ مسلم صورةٌ أكثرُ وضوحًا، وفيه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأسماءَ بنتِ عميس: «**ما لي أرى أجسامَ بني أخي ضارعة تُصيبُهم الحاجة؟**» قالت: لا، ولكنِ العينُ تسرعُ إليهم، قال: «**ارقيهم**»، قالت: فعرضتُ عليه، فقال: «**ارقيهم**»[2].

* وهناك روايةٌ عن حُميدِ بنِ قيس المكِّيِّ أنَّه قال: دُخِلَ على رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بابنَي جعفر بن أبي طالب، فقال لحاضِنَتِهما: «**ما لي أراهما ضارعَيْن؟!**» فقالت حاضنتُهما: يا رسولَ الله، إنَّه تسْرعُ إليهما العين، ولم يمنعْنَا أنْ نسترقيَ لهما إلا أنَّا لا ندري ما يوافقُكَ من ذلك، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**استرقوا لهما، فإنّه لو سبقَ شيءٌ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العينُ**»[3].

مُعلِّمَةُ العُلماء:

* أُمُّ عبدِ الله بن جعفر من أُمَّهات الصَّحابة اللواتي عُرِفْنَ بالعلمِ والفَهم، فقد رَّبت أولادَها على القيمِ الصَّالحة، والمكارمِ السَّامية، والمعاني الإسلامية، وكان ابنُها

---

(١) معرفة الصحابة برقم (٧٥٠٦)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في السلام برقم (٢١٩٨)، وقوله: «**ضارعة**»: الضارع: النحيف الضاوي الجسم الضعيف النحيل.

(٣) المستفاد من مبهمات المتن والإسناد (١/ ٧٢٤و٧٢٥) برقم (٢٧٩)، والغوامض والمبهمات (ص١٦٤و١٦٥) برقم (١٠٦)، والمقصود بالحاضنة ههنا أسماء بنت عميس.

عبدُ الله من كرام أهلِ العلْمِ والشَّهامةِ والمروءةِ والجودِ، وكان يقرُّ بفضِلها ويعترفُ بتعليمها له ولمن حولَه، فيقول: «علَّمتني أُمّي أسماءُ بنتُ عميس شيئًا أمرها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ تقولَه عند الكرب: اللهُ ربِّي، لا أشركُ بهِ شيئًا»[(١)].

* وقد صنَّف أهلُ الحديث أَمَّ عبد الله من الصَّحابيات أُولات العشَرات في الرِّواية، وذكروا أنَّها روت ستَّين حديثًا.

* روت أسماءُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنها ثلَّةٌ كريمةٌ من علماء الصَّحابة وكبرائهم، ومنهم: عمر بنُ الخطاب، أبو موسى الأشعريُّ، عبد الله بنُ عبَّاس، وابنُها عبدُ الله بنُ جعفر...

* روى عنها عددٌ من علماءِ التَّابعين وأكابرِهم، ومنهم: سعيدُ بنُ المسيب، عامرُ الشَّعبيُّ، عروةُ بنُ الزبير، وابنُ ابنها القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر الصديق... وروى عنها من النِّساء: فاطمةُ بنتُ عليّ بن أبي طالب، فاطمةُ بنتُ الحسين بن علي، وبنتُ ابنها أُمُّ عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، وآخرون[(٢)].

* روى لها الأربعةُ في سننهم، وذكرها ابنُ حبَّان في الثِّقات، ومرَّتْ معنا نماذجُ من مروياتها المباركةِ، فرضي الله عنها.

* توفيت أسماء سنة (٣٨هـ)[(٣)]، وقيل توفيت بعد السِّتين[(٤)].

---

(١) معرفة الصحابة برقم (٧٥٠٤)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٧/ ١٦٣)، والحديث عند أبي داود برقم (١٥٢٥)، وابن ماجه برقم (٣٨٨٢)، وانظر: الدر المنثور في التفسير المأثور (٩/ ٥٤٢)، والفرج بعد الشدة (١/ ١٣٣).

(٢) تهذيب الكمال (٣٥/ ١٢٦-١٢٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٠و٣٣١).

(٣) المنتظم (٥/ ١٥٤)، والبداية والنهاية (١٠/ ٦٧٢)، والوافي بالوفيات (٩/ ٣٤).

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي عهد معاوية بن أبي سفيان، (ص١٧٨و١٧٩).

* وفي الختام نتذكَّر ما افتتحَ به أبو نُعيم ترجمتها قال: «ومنهنَّ: مهاجرةُ الهجرتَين[1]، ومصلية القبلتَيْن، أسماءُ بنتُ عميس الخثعميّةُ، المعروفةُ بالبحرية الحبشية، أليفةُ النَّجائب، وكريمةُ الحبائب، عقدَ عليها جعفر الطَّيار، وخلفَ عليها بعد الصديق سابق الأخيار، ومات عنها علي سيّدُ الأبرار...»[2].



(١) أي كانت من المهاجرات ممن لها هجرتان: هجرة الحبشة، وهجرة المدينة.
(٢) حلية الأولياء (٢/ ٧٤).

أُمُّ عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم

۞ هذه الأُمُّ حماةُ سيدنا رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ أولادُها غُرَّةُ الدهر: حفصةُ، وعبدُ الله، وعبدُ الرحمن.

۞ أخبارُها لطيفةٌ مع زوجها عمر، وكانت مربيةً فاضلةً.



أُمُّ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أُمُّ خَالِنَا:

* إذا أحصَيْنا أُمَّهاتِ الصَّحابة اللائي تبوَّأْن سُدَّةَ الفضائل، فإنَّ هذه الأُمَّ منهنَّ، وتأتي في مقدمتهنَّ، ولا يضارعُها في هذا المضمار سوى نسوةٍ يمكنُ أنْ يحصيهنَّ العَادُّون.

* فصهرُ[1] هذه الأُمِّ: مَنْ أرسلَهُ اللهُ بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَهُ على الدِّين كُلِّه، وقد فُضِّلَ على الأَنبياء، وهو المُقدَّمُ عليهم يومَ الشَّفاعة، بل هو أوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ، سيِّدُنا وحبيبُنا محمدٌ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* وزوجُها: عَلَمُ الأَعلام، ممَّن سبقَتْ له الحُسنى، كان مُقدَّمًا في الجاهليةِ والإسلام، وكان من أشرافِ قريشٍ ونبلائِهم، فهو ممن تبوَّأَ من السِّيادة أسنى الغُرف، ومناقُبُه وفضائله كثيرةٌ جدًّا؛ ومشهورةٌ في الكتب... هذا الزَّوجُ الذي تطيبُ بذكرِهِ مجالسُ الأحبابِ والأصحابِ؛ هو عمرُ بنُ الخطَّابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه:

تحــدَّثْ ولا تَحْــرجْ بـكُـلِّ عجيبةٍ عن البَحْرِ أو تلكَ الخلالِ الزَّواهرِ
ولا عَـيْـبَ في أخـلاقِـهِ غـيرَ أنَّها فـرائـدُ دُرٍّ مـالَهـا مـن نَـظَـائـرِ
يـقـرُّ لهـا بـالـفَـضْـل كُـلُّ مُـنَـازعٍ إذا قَيلَ يومَ الجمع هلْ من مُفاخر

* وابنُها: هو خالُنا، خالُ المؤمنين، الهمامُ ابنُ الهمام، الإمامُ القدوةُ، شيخُ الإسلام، الصَّالحُ الفالحُ النَّاجحُ، أبو عبد الرحمن عبدُ الله بنُ عمر القرشيُّ العدويُّ الفتى النَّبيهُ النَّبيلُ النَّجيبُ:

(١) اقرأ كتابنا: هل تحبين حماتك؟ حيث عقدنا فصلًا عن بعض حموات وأحماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَـتًـى إنْ عُــدَّتِ الأَعْـيــانُ قَـالـتْ ... لَــهُ الأَعْــيــانُ إنَّــكَ أنــتَ عيني

* وابنها الآخرُ: خالُ المؤمنين أيضًا عبدُ الرحمن بنُ عمر أخو عبد الله، أدركَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يَحْفَظْ عنه.

* أما ابنتُها: فهي أُمُّنا؛ أمُّ المؤمنين حفصةُ بنتُ عمر؛ كانت تُسامي أُمَّنا عائشةَ في المنزلة، وحفصةُ أكبرُ من أخيها عبدِ الله ببضعِ سنين.

* وأخوها: أحد سادةِ المهاجرين، ومن أولياءِ الله المتَّقين، ومن أوائلِ مَنْ دُفِنَ بالبقيع، وصلى عليه المشفَّعُ الشَّفيع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كان عابدًا مجتهدًا، وكان من عقلاءِ الصَّحابة وخيارهم؛ إنَّه عثمانُ بنُ مظعون الجمحيُّ.

* وأخَوَاها الآخران: قدامةُ، وعبدُ الله ابنا مظعون، كلاهما من أهلِ بَدْرٍ، ومن كرام الصَّحابة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* بدأَتْ تتوضَّحُ معالمُ بطاقةِ هذه الأُمِّ الميمومةِ التي جمعَتْ هاتِهِ الفضائل الحميدة، وفازتْ بمرتبةٍ عظمى، فهي من حَمَواتِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنَّها السَّيِّدةُ زينبُ بنتُ مظعون ابنِ حبيبِ القُرشيَّةُ الجمحيَّةُ[1]، زوجُ عمرَ، وأُمُّ ولدِهِ عبدِ الله، وعبدِ الرحمن، وحفصةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين[2]، وجمعنا معهم تحتَ رايةِ خيرِ الأنبياء والمرسلين.

في رحابِ الأمومةِ والصُّحبَةِ:

* السَّيدةُ النَّجيبةُ زينبُ بنتُ مظعون رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أمٌّ ذاتُ عبادةٍ وصيانةٍ، وطاعةٍ وقيام، وعفَّةٍ وديانةٍ، وكانت من أسرةٍ متوَّجَةٍ بالمجدِ، مشهورةٍ في قريش.

(١) نسب قريش (ص٣٤٨و٣٤٩)، ومعجم الصحابة للبغوي (٣/ ٤٦٨)، وأسد الغابة (٧/ ١٣٥)، والإصابة (٨/ ٩٨)، وأنساب الأشراف (٤/ ١٣١)، والمنتظم (٤/ ١٢١)، والمعارف (ص١٨٤)، والمحبر (ص٨٣)، ونهاية الأرب (١٩/ ٢٤٧)، ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ص٨٨٤) وغيرها كثير.

(٢) الإصابة (٨/ ٢٦٤) ترجمة رقم (١٤٣٣).

* تزوَّجَ عمرُ زينبَ في زَمَنِ الجاهلية؛ وقُبيل مطلَعِ فجرِ الإسلامِ ببضعةِ أعوام، فولدَتْ له أُمَّنا حفْصَةَ قَبْلَ أنْ ينزلَ الوحيُ بقرابةِ خمس سنين، ثم ولدت له عبدَ الله صاحبَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابنَ وزيره، وكان مولدُهُ في السَّنة الثانيةِ أو الثَّالثة من المَبْعث، ثم ولدَتْ له عبد الرحمن الأكبرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين[1].

* فتحَ عبدُ الله عينَيه على أبوَيْن مُسلمَيْن، فقد أسلمَ أبواه في أوائل الإسلام، وكانا من السَّابقين، فأسلمَ مع إسلامهما بمكَّة؛ وهو غلامٌ صغيرٌ ابن عشْرٍ، وكذلك أسلمَ أخوهُ وأختهُ.

* أفلحتِ السَّيدةُ زينبُ في تربيةِ أولادها، وغرسَتْ في قلوبهم محبَّةَ اللهِ ورسوله، وكان زوجُها خيرَ مِعْوانٍ لها في التَّوجيهِ والتَّعليم لأولادهما، فكانت الأسرةُ العمريةُ الزَّينبيَّةُ ممن حظي بالصُّحبةِ النَّبويَّةِ، فجميعُهم صَحَابة، ومن خيارِ المسلمين.

* ولما أزفتِ الهجرةُ إلى المدينةِ المنورةِ، هاجرتِ الأسرةُ العمريةُ الزَّينبيَّةُ، وهاجرَ عبدُ الله مع أَبَويْه قبلَ أنْ يحتلمَ، واستُصْغِرَ يومَ أُحُدٍ، لكنَّه شَهِدَ الخندقَ وما بعدها من المشاهدِ والمغَازي النَّبويَّة.

زينبُ وابنُها عبدُ الله:

* تُصَنَّفُ أمُّ عبدِ الله من المهاجراتِ الأُوَلِ إلى المدينةِ، وكذلك زوجُها وأولادُها، بيَّنَ ذلك صاحب (نَسَب قريش) لما تكلَّم عن الأسرةِ العُمريَّةِ الزَّينبيَّةِ فقال عن عبدِ الله ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وهاجرَ مع أبيه وأُمِّه إلى المدينةِ، وهو ابنُ عشر سنين، وبقيَ حتَّى ماتَ

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٩٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين (ص٢٧٤)، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (٣/ ١١٤)، والرياض النضرة (١/ ٤٢٣)، وغيرها.

في سنةِ ثلاث وسبعين، وأختُهُ لأبيهِ وأُمِّه: حفصةُ زوجُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعبدُ الرحمن الأكبرُ، وأُمُّهم: زينبُ بنتُ مظعون بنِ حبيب... كانت من المُهاجرات...»[(١)].

* ولما استقرَّتْ زينبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في المدينةِ، قرَّتْ عيناها بأولادِها، وكان لها كبيرُ الأثَرِ فيهم، وبخاصَّة عبد الله، فكانت تحثُّهُ على لزومِ المجالسِ النَّبويَّة؛ لِيَنْهَلَ من العِلْم، وكان عبدُ الله غلامًا شابًا عزبًا، ينامُ في المسجدِ النَّبويِّ أحيانًا، وقد حَبَاهُ اللهُ أثوابَ الصَّلاح والبرِّ بأُمِّه، حتَّى شهدَ له النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنَّجاح، فقال لأخْتِهِ حفْصَةَ: «**إنَّ عبد الله رجلٌ صالحٌ**»[(٢)].

* وقد أكرمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عبدَ الله بالعلْمِ والعملِ، وكَسَاهُ بالسَّنا أسنى الحُلل، فكان من أصحابِ الفُتيا المكثرين، ومن أصحابِ الرِّواية الأوائل الذين نقلُوا ألوفَ الأحاديث عن الصَّادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعدُّ ابن عمر الرَّاوي الثَّاني للحديثِ النَّبويّ بعْدَ سيِّدنا أبي هريرة، بل هو الراوي الأوَّلُ في قريشٍ، وفي عُلماء العَبَادلة، وهو كذلك أحدُ فُقهاء الصَّحابة وفصحائهم، وهذه المكارمُ استقَاها من أُمِّه زينبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كما كانت ابنتُها حفصةُ صوَّامةً قوامةً صالحةً من أهل الجنَّة، وكذلك زوجُها عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

عَجَبًا لَكِ!!

* كان القرشيّون لا يسمحون لنسائهم بمشاركتهم في بعضِ أمورِ الحياة والشُّؤون الاجتماعية، وكانوا شديدي الوطأةِ على النِّساء وهم بمكَّة، وكان سيدنا عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ منهم، فلم يكن يسمحُ لأُمِّ عبد الله بهذا الأمر.

* ولما هاجرَ المكِّيون إلى المدينةِ، بدأتْ هذه الظَّاهرةُ تتلاشى، ثم تغيَّرتْ أحوالُ النِّساء، فَصِرنَ يراجعْنَ الرِّجال، ويناقشْنَ ويقُلْنَ رأيهنَّ، وقد قصَّ هذا الأمرُ سيِّدُنا عمرُ

(١) نسب قريش (ص٣٤٨و٣٤٩)، وانظر: معجم الصحابة للبغوي (٣/ ٤٦٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٤٠و٣٧٤١).

نفسُه فقال ما خلاصتُه ومفادهُ: «... كُنَّا معشرَ قريش نغلبُ النساءَ، ونحكمُ عليهنَّ، ولا يحكمْنَ علينا. وكُنَّا ونحنُ بمكَّة لا يكلِّمُ أحدٌ امرأته إلا إذا كانت له حاجةٌ، وكُنَّا لا نُدخلهنَّ في أمورنا، فلما قدمنا المدينة؛ طفقَ نساؤنا يتعلمْنَ من نساء الأنصار، فجعلنَ يكلِّمْنَنَا ويراجعْنَنَا، فبينما أنا في أمرٍ أتفكَّرُ فيه وأُقدِّرُه، قالت لي امرأتي زينبُ: لو صنعتَ كذا وكذا، فأنكرتُ أنْ تراجعَني وتناظرني فيه، وغضبتُ عليها، فقلتُ لها: وما تكلُّفك في أَمْرٍ أريدُهُ؟ فقالت لي: عجبًا لكَ يا بنَ الخطَّاب، تنكرُ أنْ أراجعَكَ؟! فوالله إنَّ أزواجَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليراجعْنَه، وإنَّ ابنتَك لتراجعُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يظلَّ يومه غضْبَان...»(١).

* والخلاصةُ: كانت زينبُ أمُّ عبد الله من خيارِ أُمَّهات الصَّحابة المنجبات، ولا تزال آثار تربيتهنَّ ذات أريج معْطار إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرض ومَنْ عليها... تلكم شذراتٌ من سيرةِ هذه الأُمِّ الصَّحابية التي سكَتَ التَّاريخ عن سَنَة وفاتها، فرضي الله عنها وأرضاها.



(١) فتح الباري (٩/ ٢٨١ و٢٨٢) بتصرف، والحديث له أصل عند البخاري برقم (٤٩١٣ و٥١٩١)، وانظر: هدي الساري (ص٢١٨ و٣٢٣).

أُمُّ عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم

﴾ أمُّ أحدِ علماء الصحابة، وهو من العبادلة الأربعةِ.

﴾ زوجُها فاتحُ مصرَ، ورجُلُ العالَمِ، مشهودٌ له بالإيمان.

﴾ مواقفُها تزدانُ بالعطاء في مضمار السيرةِ النبويةِ.



أُمّ عبد اللهِ بن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

صَرْحُ النُّور والهداية:

* أتى على هذهِ الأُمِّ حيْنٌ منَ الدَّهر وهي تعيشُ في ظلمات الشِّرْك، وتتخبَّطُ في أوحالِ الوثنيَّةِ العمياء، وتسعى في الصَّدِّ عن نورِ الهداية، حينما رافقَتْ زوجهَا لتساعدَهُ في الكيدِ للمسلمين المهاجرين بالحبشة.

* يعدُّ أبوها من كبارِ الكَفَرةِ الفَجَرة، قُتِلَ في بدر كافرًا، وكان ذو الفَقَار[1] بحوزته، ثم صار لعَليٍّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* ما كانت هذه الأمُّ بعيدةً عن أخبارِ الرِّسالةِ المحمَّديةِ وأحوالها، فقد أرسلَ اللهُ رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليهدمَ أطوَادَ الشِّرك، ويقوِّضَ معالمَ الفَسَاد، ويقيمَ مناراتِ التَّوحيد، فاستجابَ بعضُ أعيانِ قومها وذويها، لكنَّها ظلَّتْ تهيمُ في أوحالِ الظلمات، إلى أنْ أكرمَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالإسلام بعد عشرين سنة، وحلَّتِ الهدايةُ في قلبِها، ودخلتْ صَرْحَ الصَّحابيات العامر بأنوار الإسلام، وصارت زوجَ صحابي، وأمَّ صحابيٍّ من كبار عُلماء الصَّحابة.

(١) «ذو الفَقَار»: أحدُ الأسيافِ المشهورة، قيل: إنَّه سيفٌ لِنَبيِّ الله سُليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أهدتْهُ بلقيسُ مع ستَّةِ أسيافِ لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم وصلَ إلى العاص بنِ منبِّه بنِ الحجَّاج السَّهميّ، وقد قُتِل يومَ بَدْرٍ كافرًا، قَتَلَه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكان ذو الفَقَار من أحسنِ السُّيوف، وسمّي ذا الفَقَار لأنَّه كانت فيه حفرٌ صغارٌ تشبهُ فقَار الظَّهر، وعددها (١٨ فقرة)... جاء عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّهما قالا: «تنفَّلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذا الفَقَار يوم بدر، وكان لمنبّه بنِ الحجاج، وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غزا إلى بدرٍ بسيفٍ وَهَبَه له سعدُ بنُ عبادة يُقال له: العضب، ودرعه ذات الفضول»، وقال صالح بن كيسان: «خرجَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ بدر وما معه سيفٌ، وكان أوّلَ سيفٍ تلّقده سيف منبّه بن الحجّاج، غنمه يوم بدر». المغازي (ص١٠٣)، والأعلام (٧/ ٢٨٩و٢٩٠) مع الجمع والتصرف.

* ضبط الزَّبيديُّ اسمَها فقال: «رَيْطَةُ بنت مُنَبِّه بن الحجاج السَّهمِّيَةُ»[١]. أمَّا صلاحُ الدِّين الصَّفديُّ فسمَّاها هندًا، فقال: «هندُ بنتُ منبِّه[٢] بنِ الحجَّاج، أسلمتْ يومَ الفتح، وهي أمُّ عبدِ الله بنِ عمرو بن العاص...»[٣].

* كان زوجُها كبيرَ القَدْر، من رجالِ قريشٍ رأيًا، ورجل العالم، ومَنْ يُضْرَبُ به المَثَلُ في الفطنَةِ والدَّهَاء والحزم، وكان ذا بَصَرٍ بالحروب، ومن أشراف مُلوكِ العرب، ومن أعيانِ المهاجرين، هاجرَ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسلمًا في أوائلِ سنة ثمان من الهجرة، وفرحَ بإسلامه وقدومه، وقد تأمرَّ على أبي بكرٍ وعمرَ؛ لِبَصَره بالأمور ودهائِهِ، وشهدَ له ولأخيه بأنَّهما مؤمنان، فقال: «ابنا العاصِ مؤمنان، عمرو وهشَام»[٤].

* قال ابنُ سعد: «ريطةُ بنتُ منبِّه بنِ الحجَّاج، تزوَّجَها عمرو بنُ العاص بن وائل السَّهميُّ، فولَدَتْ له عبدَ الله بنَ عمرو...»[٥]. وينبغي أنْ نعرفَ أنَّ عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو القائلُ في امرأتهِ: «لا أَمَلُّ زوجتي ما أحسَنَتْ عشرتي، إنَّ الملالَ من سيئ الأخلاق».

(١) تاج العروس (١٩/ ٣١٨)، وانظر ترجمتها في الإصابة (٨/ ٨٩)، وأسد الغابة (٧/ ٣٥٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨١)، والمستفاد (٣/ ١٤٥٤)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٢٥٥)، وتهذيب الكمال (١٥/ ٣٥٨)، وغيرها كثير. وقال موسى بن عقبة اسمها: هند، وذكرها فيمن أسلم يوم الفتح في قوله: «وأسلمت هند بنت منبه بن الحجاج، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص في عشر نسوةٍ من قريش، فأتين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأبطح، فبايَعْنَه، فدخلْنَ عليه وعنده زوجته وابنته فاطمة، ونساء من نساء بني عبد المطلب...» المغازي (ص٢٧٩).

(٢) منبِّهُ بنُ الحجاج السَّهميُّ القرشيُّ، نديمٌ جاهليٌّ، من أشرافِ قريش في الجاهليَّة، ومنْ زنادقتِها المعروفين، ذكر ابنُ حبيب في المحبَّر: أنَّهم تعلَّمُوا الزَّندقةَ من نصارى الحيرة، حضَرَ منبِّهُ وقعةَ بدر، ونحرَ يومَها عشرًا من الإبل، وكان له أخٌ اسمه نَبيهٌ، حضَر بدرًا معه، وقُتِلا يومها كافرَيْن.

(٣) الوافي بالوفيات (٢٩/ ٢٣١)، وسمّاها الحاكمُ في المستدرك: أمّ نبيه بنت الحجاج، والله تعالى أجلُّ وأعلم.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٠٤و٣٢٧و٣٥٣) وغيره، وإسناده حسن.

(٥) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٥٥).

* أمَّا ابنُ ريطةَ فهو: الإمامُ الحبْرُ العابدُ، صاحبُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وابنُ صاحبِه: عبدُ الله بنُ عمرو... أسلمَ قبلَ أبوَيْهِ، وله مناقبُ وفضائلُ ومقامٌ راسخٌ في العِلْم والعمل، وكان غزيرَ العِلْم، مُجتهدًا في العبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* دخلتْ ريطة[١] أمّ عبد الله في الإسلام، يومَ دخلَ النّاسُ في دين الله أفواجًا، يومَ الفتح. فعن عبدِ اللهِ بنِ الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لما كان يوم الفتح، أسلمتْ ريطةُ بنتُ منبّه، وهي أمُّ عبد الله بن عمرو، وأتَتْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايعتْهُ»[٢].

أُمومَةٌ مُبكِّرةٌ:

* من يتتبَّعْ أخبارَ نساءِ العرب قديمًا يَجِدْ مكارمَ جميلةً تداعبُ الأذهان، وتوقظُ الوسْنَان؛ ومنها أنَّ ريطة بنتَ منبِّه قد تزوَّجَتْ في سنٍّ صغيرة، وعُمْرٍ طريٍّ مُزهرٍ، قد لا يتجاوزُ بضعةَ عشَر ربيعًا، وكذلك زوجُها العبقريُّ الألمعيُّ عمرو بنُ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* عرَّفَ ابنُ قتيبة في (المعارف)، وبيَّنَ ابنُ قدامة في (التَّبيين) أنَّه كان بين عبدِ الله ابنِ عمرو وبين أبيه اثنتا عشْرةَ سنةً في السِّنِّ[٣]!!

* إنَّ هذه الأمومةَ المبكرةَ ذاتُ أثرٍ عظيمٍ في الابن عبدِ الله، حيث شرعَتْ أمُّه تغرسُ في نفسِه معالي الأمور من جودٍ وسخاءٍ، ومحبَّةِ المعرفةِ والسِّيادة والرِّيادة، مع أنَّها

---

(١) **ريطةُ**: معنى ريطة: كلُّ ملاءة غير ذات لِفْقَتين، كلّها نسجٌ واحدٌ، وقطعةٌ واحدةٌ، أو كلُّ ثوبٍ ليِّنٍ رقيقٍ، وقال الأزهريُّ: لا تكونُ الريطةُ إلا بيضاء... وريطةُ تُجمعُ على ريطات. ويوجد عددٌ من الصَّحابيات اسمهنَّ ريطة، منهنَّ: ريطةُ بنتُ منبه، وريطةُ بنتُ الحارث التيمية... والله أعلم. تاج العروس (١٩/ ٣١٧-٣٢٠) بتصرف.

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٥٥).

(٣) المعارفُ (ص٢٨٦)، والتَّبيينُ (ص٤١٤)، وذيَّلَ ابنُ قتيبة قوله بخبر عجيب وطريفٍ سَاقَهُ عن الحسنِ ابنِ صالح أنَّه قال: «كانت لنا جاريةٌ بنت إحدى وعشرين سنة، وهي جدَّةٌ». المعارف (ص٢٨٧)، لكنَّ أبا نُعيم الأصبهانيّ قال عن ولادة ريطة لابنها عبد الله بن عمرو، فقال: «كان بينه وبين أبيه في السِّن عشرون سنة، وقيل: اثنتي عشرة سنة». معرفة الصحابة (٣/ ١٩٧).

لم تُسْلِمْ بَعْدُ، فقد ولَدتْ عبدَ الله بعد نزولِ الوحي على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبلَ الهجرة بحوالي سبعة أعوامٍ حسبما ذكرتْ مصادرُ ترجمته(١).

* ولعلَّ زواجَ ريطة في سنِّ الصِّبا والفُتون ذو أثرٍ واضحٍ في حياتِها، فقد جعلَها شديدةَ التَّعلُّق بزوجها وابنها، فلا تكادُ تفارقُ زوجَها في حِلِّهِ وترحالهِ، وتجارتهِ ورحلاتهِ، وسلْمِهِ وحَرْبِهِ، وكانت لها أخبارٌ جميلةٌ جعلتْها في الصَّحائف النِّسويةِ الأولى في تاريخِ العربِ والمُسلمين.

غَرَامٌ وانتقَامٌ:

* لريطةَ قصَّةٌ عجيبةٌ مع زوجِها عمرو وبعضِ رجال قومها، دارت أحداثُها وحوادثُها على متْنِ سفينةٍ في البحرِ الأحمرِ، في تجارة لعمرو أو سَفَارةٍ لقريش، وكادت تزهقُ روحُه لولا أنَّه كان يحسِنُ السِّباحةَ والعَومَ، ولولا أنَّه كان منَ الأبطالِ الأشداء.

* خرجتْ ريطةُ مع زوجها إلى الحبشة، وخرجَ معهما عمارةُ بنُ الوليد بنِ المغيرة المخزوميّ(٢)، لِيَشْغبوا على المسلمين عند النَّجاشيِّ، لكنَّهم لم يفلحوا، وكانت ريطةُ من أسبابِ فَشَلِهم.

* تبسطُ قصَّةُ ريطةَ ذِرَاعَيْها بوصيدِ المصادرِ ومحصّلُها: «كانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قد ألقى العداوةَ بين عمرو بنِ العاص، وعمارةَ بنِ الوليد في سيرهما، قبل أنْ يقدما على النَّجاشي، وذلك أنَّ عمرًا كان رجلًا قصيرًا ومعه امرأته، وكان عمارةُ رجلًا جميلا(٣)، فَهوِيَ امرأةَ

(١) انظر مثلًا: معرفة الصحابة (٣/ ١٩٧)، والأعلام (٤/ ١١١) وغيرهما.

(٢) كان لعمارةَ بنِ الوليد وَلَدان مُسلمان، هما: الوليدُ، وأبو عبيدةَ، وقد قُتِلا مع عمِّهما خالد بنِ الوليد بالبُطاح -في حروب الردّة- وأبوهما عمارةُ هو صاحبُ عمرو بنِ العاص إلى النجاشي وقصّتُه مشهورةٌ. البداية والنهاية (٩/ ٥٠٢).

(٣) لفَّقَ الأصبهانيُّ قصةً مفادها أنَّ جمالَ عمارة بن الوليد المخزوميّ، قد تجاوزَ حدودَ مكةَ، وتفشَّى إلى المدينةِ، وغدا حديثُ الحرائر مضغةً في الأفواهِ المريضةِ. قال الأصبهانيُّ: «إنَّ خولةَ بنتَ ثابت أخت حسَّان بن ثابت، أنشدتْ متعشِّقةً عمارة بن الوليد، ووصفته بقولها من أبيات: =

عمرو وهويته!! فعَزَما على دفع عمرو في البحر!! فدفع عمارةُ عمرًا في البحر، فسبحَ عمرو ونادى أصحابَ السَّفينة، فرفعوه، وأضمرها عمرو في نفسِه ولم يبدْها لعُمارةَ، فقال عمارةُ لعمرو: قُلْ لامرأتِكَ فَلْتُقبلْني!! فقال لها: قبِّليه لِتَطيبَ نفسُه بذلك!! فلمَّا أتيا أرضَ الحبشة، وردَّهما اللهُ خائبَيْن، مَكَرَ عمرو بعمارة، فقال له: أنتَ امرؤٌ جميلٌ؛ والنِّساءُ يحببْنَ الجمال، فتعرَّضْ لامرأةِ النَّجاشي فَلَعلَّها تشفعُ لنا عند المَلِكَ في قضاءِ حاجتنا، ففعلَ عمارةُ، وتكرَّرَ تردُّدُهُ إلى امرأةِ النَّجاشيِّ، وأخذ عِطْرًا من عطرها، فلمَّا رأى عمرو ذلك أتى المَلكَ فذكرَ أمْرَ عمارة، فأدركتِ المَلكُ عزَّةَ المُلك!! وقال: لولا أنَّه جاري لقتلتُه، ولكنْ سأفعلُ له ما هو شرٌّ من القَتْل، فدعا بالسَّواحر، فأمرهنَّ أنْ يسحرنَه، فنفخْنَ في إحليله نفخةً طار منها هائمًا على وجههِ حتى لحق بالوحوش والجبال[1].

* ساق الأصبهانيُّ القصَّة مطوَّلةً، وذكر: «أنَّ عمارةَ وعمرًا كانا تاجرَيْن، وكلاهما شاعرٌ فاتكٌ مُشْرِكٌ، وهما في جاهليتهما، وأنَّ عمارةَ كان مُعجبًا بالنِّساء، صاحبَ محادثةٍ ومُخَادنةٍ، وركبَا في السَّفينة ليالي، فأَصَابا من خَمْرٍ معهما، فلمَّا انتشى عمارةُ قال لامرأةِ عمر: قبِّليني!! فقال لها عمرو: قبِّلي ابنَ عمِّك، فقبَّلَتْهُ، وحَذِر عمرو على زوجتِهِ، فَرصَدها ورَصَدَتْه، وجَعَلَ عمارةُ إذا شربَ وغلبه السُّكْرُ يراودُها عن نفسِها، فامتنعَتْ منه... ثم

= كيفَ تلحونني على رجُلٍ — آنِس تلتذُّه كَبِدي
من بني آلِ المغيرةِ لا — خاملٍ نِكْسٍ ولا جَحِدَ
نَظَرتْ يومًا فلا نَظَرتْ — بعده عيني على أحدِ

فعارضَها عمارةُ متغزِّلًا فيها على الوزنِ والقافيةِ ذاتها:

تناهى فيكم وجدي — وصدّعَ حبُّكم كبدي
فما لاقى أخو عشْقٍ — عُشَير العشْر من جهدي

ورثتْهُ خولةُ بقصيدة بعد أنْ نكبَ بالحبشة ثبَّتْ من خلالها شجونها وتفجّعها...»؟!! الأغاني (٢/ ١٦٨) بتصرف واختصار!! وانظر: شاعرات العرب (ص١١١).

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد (٢/ ٥٢٢)، والسيرة الحلبية (١/ ٤٥٥و٤٥٦) مع الجمع والتصرف، وانظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٨٣)، ومجمع الزوائد (٦/ ٣١و٣٢)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني مرسلًا، وفيه محمد بن كثير الثقفي، وهو ضعيف»، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٩٦)، وغيرها كثير جدًا.

ذكرَ ما صنعتْه سَواحرُ النَّجاشيِّ بعمارةَ، وجاء في نهايةِ القصَّة شعرٌ لعمرو يذكرُ فيه عمارة، وما صنعَ به، ومن شعره قوله:

تَعَلَّمْ عُمَارُ أنَّ مِنْ شَرِّ شيمةٍ	**لمثلكَ أنْ يُدعى ابنَ عمٍّ له ابنما**
وإنْ كنتَ ذا بُردَين أحوى مُرَجَّلا	**فَلَسْتَ بِراعٍ لابنِ عمِّك مَحرما**
إذا المرءُ لم يتركْ طعامًا يحبُّه	**ولم يَعْصِ قلبًا غاويًا حيثُ يمَّما**
قضَى وطَرًا منه يسيرًا وأصبحتْ	**إذا ذُكِرتْ أمثالُه تملأُ الفما»[(١)]**

* اختصرَ ابنُ كثير القصَّة فقال: «والمقصودُ أنَّهما حين خَرجَا من مكَّةَ كانت زوجةُ عمرو معه، وعمارةُ كان شابًّا حَسَنًا، فاصطحَبا في السَّفينة، وكان عمارةُ طمِعَ في امرأةِ عمرو، فألقاهُ في البحر ليهلكَه، فسبحَ حتى رجعَ إليها، فقال له عمارةُ: لو أعلمُ أنَّك تُحسِنُ السِّباحة لما ألقيتُك، فحقدَ عمرو عليهِ، فلمَّا لم يُقْضَ لهما حاجةٌ في المهاجرين من النَّجاشيِّ -وكان عمارةُ قد توصَّلَ إلى بعضِ أهلِ النَّجاشي- فوشَى به عمرو، فأمرَ به النَّجاشيُّ، فَسُحِر[(٢)] حتى ذهبَ عقلُه، وساحَ في البرية مع الوحوش»[(٣)].

---

(١) الأغاني (٢/ ٥٥-٥٩)، وانظر: تجريد الأغاني (ص١٠٢٥-١٠٢٨)، وانظر كتاب السلطان لابن قتيبة، دراسة وتحقيق أيمن بحيري، المكتبة الأزهرية، القاهرة دون ذكر تاريخ أو رقم الطبعة.

(٢) حرَّر ابنُ عاشور موضوع السِّحر، ونوَّرَ الأفهامَ بكنهِهِ، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق:٤]: «فالمرادُ بالنفَّاثات في العُقد: النِّساء السَّاحرات، وإنَّما جيءَ بصفةِ المؤنَّث؛ لأنَّ الغالبَ عندَ العرب أنَّ يتعاطى السَّحرَ النِّساءُ؛ لأنَّ نساءهم لا شغْلَ لهنَّ بعد تهيئةِ الطعام والماء والنَّظافة، فلذلك يكثر انكبابهنَّ على مثلِ هاتهِ السَّفاسف من السِّحر والتكهُّن ونحو ذلك، فالأوهامُ الباطلةُ تتفشى بينهنَّ، وكان العربُ يزعمون أنَّ الغُولَ ساحرةٌ من الجنّ، وورَدَ في خبر هجرةِ الحبشة أنَّ عمارةَ بنَ الوليد بن المغيرة اتُّهِمَ بزوجة النَّجاشيِّ، وأنَّ النَّجاشيَّ دعا له السَّواحر، فَنفَخْنَ في إحليلِهِ، فصار مَسْلُوبَ العقلِ، هائمًا على وجهه، ولحقَ بالوحوش» تفسير التَّحرير والتَّنوير (٣٠/ ٦٢٨).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ١٨٩).

* تلك قصَّةُ ريطةَ وغرامُ عمارة المزعُوم، وانتقامُ عمرو الذي أودى بعمارةَ إلى المتاهات، لكنْ هل نُسلِّم بهذه القصَّة؟ يقول الدكتور عبد الرحيم علي: «إذا سلَّمنا بصحَّة هذه القصَّة، فنرجِّح روايةَ ابنِ كثير للأسباب الآتية:

١- إنَّ الرِّواياتِ السَّابقةَ لا تتلاءَمُ مع أخلاقِ عمرو بنِ العاص، ولا مع ذكائِهِ وقدرتهِ على التَّخلُّص من طلبِ عمارة.

٢- كانت زوجةُ عمرو وهي ريطةُ بنتُ منبه، وهو من بني سهم، ومن بني عمومةِ عمارة، وهذا ينافي الشَّرفَ العربيَّ في الاعتداءِ على العرض.

وإنْ صدقَتْ هذه الرّواياتُ، فقد تمكَّنَ عمرو من الأخذِ بثأره مستخدمًا قوَّةَ بيانِهِ، وحسْنَ تعبيره أوّلًا، وقوَّة نفوذِهِ عند النَّجاشيِّ ثانيًا، وحصوله على الدَّليل المادي ثالثًا، فحصل على ما أرادَ، وقضى على الرّجل، وأبعد العَار عن نفسِهِ وأهلِهِ نتيجة لِحُسْن تَصرُّفه، واتِّخاذه الأسباب النَّاجحة للوصول إلى هدفه»[(١)].

* ومما يُسَجَّلُ لريطةَ وعمروٍ في هذه القصة معرفتهُما حقيقة الإسلام، وصدقَ نبوَّةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ذكروا أنَّ عمروَ بنَ العاص قد أسلمَ على يدِ النَّجاشيِّ، ورجعَ إلى مكَّة، ثمَّ هاجرَ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلمَ وبايعَ، وغدا من كبراءِ الدُّنيا وأعيانِ العَالَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه[(٢)].

---

(١) عمرو بن العاص القائد والسياسي (ص١٤٨و١٤٩) باختصار!!

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٩-٦٣)، والبداية والنهاية (٦/ ٤٠١و٤٠٢) وقع الإسلام في نفسِ سيدنا عمرو بنِ العاص أمامَ النَّجاشيّ، وذكرَ له النَّجاشيُّ أنَّ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينزلُ عليه جبريل كما نزلَ على موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وههنا قال عمرو: «فغيَّر اللهُ قلبي عمَّا كنتُ عليه، وقلتُ في نفسي: عرفَ هذا الحقَّ العربُ والعجمُ، وتخالفُ أنتَ؟!» ثم قال النَّجاشيُّ لعمرو: «أطعني واتَّبعْهُ فواللهِ إنَّه لعلى الحقِّ، وليظهرنَّ على مَنْ خالفه، كما ظهرَ موسى على فرعون وجنوده» فقال عمرو: «أتبايعني له على الإسلام؟» قال: «نعم» فبسطَ النجاشيُّ يده، وبايع عمرًا على الإسلام، ثم خرجَ من عنده، وقصد المدينة المنورة مع خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة وأسلموا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ريطَةُ وعمرو في أُحُد:

* ذاقَ المشركون يومَ بدرٍ مرارةَ الهزيمةِ، فقُتِلَ أكابرهُم، وأُسِرَ سَراتُهم، وكان والدُ ريطةَ وذووها ممَّن جندلَتْهم سيوفُ المسلمين، وجعلوهم كأمسِ الدَّابر.

* لم يَطبْ عيشُ المشركين، فجعلُوا يجمعون ويُوعبون لحربِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرجتْ ريطةُ مع جماعةٍ من نساء قريش مع أزواجهنَّ وذويهنَّ لأَخْذِ الثَّأْر، «وكان النِّساءُ اللاتي خرجْنَ مع المشركين يوم أحد خمسَ عشْرة امرأة»[١].

* التقى الناسُ في سفحِ جبل أُحُدٍ، ودنا بعضُهم من بعض، وقامت نسوةُ قريش فأخذن الدّفوفَ يضربْنَ بها خَلْفَ الجيش، ويحرضْنَ على القتال، وينشدنَ الأشعارَ والأراجيزَ الحماسيَّةَ، حتى يَثْبتوا ويقاتلُوا، و:

هـذي قـريشٌ جـهَّـزَتْ جيشًـا قـويًّـا بالنِّصَال

أمَّا النِّساء فقد خرجْنَ لأجلِ تشجيعِ الرِّجال

يُـبـديـنَ ودًّا لـلـرّجـالِ لِيَـثْـبـتُـوا عـنـد الـنِّـزال

كـي لا يـفـرُّوا عـنـدمـا تـشـتـدُّ أهـوالُ القتال

يـنـشـدْنَ أشـعـارَ الـحَـمـاس ولـلأغـانـي في دلال

* أمَّا نساءُ المسلمين، فقد خرجْنَ ليسقينَ الجرحى ويداوينَهم، ومنهنَّ أمُّ سليط، التي كانت تَزْفرُ القربَ للمجاهدين يومَ أحد، لذلك خصَّها سيِّدُنا عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمِرْطٍ جيِّدٍ، وعرفَ مكانتَها، وأكرمها، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها[٢].

---

(١) انظر أسماءهن في فتح الباري (٧/ ٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٢/ ٤٤)، والمغازي (ص٣٠٣)، والسيرة النبوية (٢/ ٦٢)، وغيرها. واقرأ سيرة هند بنت عتبة في هذا الكتاب... وقال كحالة عن ريطة: «من ربَّات الحرب والغزو، خرجت إلى غزوة أحدٍ بجيش كفار قريش، ثم أسلمت يوم الفتح» أعلام النساء (١/ ٤٨١).

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٦٧) حديث رقم (٤٠٧١و٢٨٨١)، والإصابة (٨/ ٢٤٢).

استغفارُ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

* فارقَتْ أمُّ عبد الله الأصنامَ يومَ فتح مكَّةَ، وهجرتِ الشِّركَ إلى غيرِ رجعةٍ، ويومَها جاءتِ النِّسوةُ القرشيَّاتُ فأسلمْنَ وبايعْنَ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* وثَّقَ عبدُ الله بنُ الزُّبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ذلك فقال: «لما كان يوم الفتح، أسلمتْ هندُ بنتُ عتبةَ، وأمُّ حكيم بنتُ الحارث بنِ هشام امرأةُ عكرمة، والبغومُ بنتُ المُعذَّل امرأةُ صفوانَ بن أمية، وفاطمةُ بنتُ الوليد، وهند -ريطةُ- بنتُ منبِّه، أمُّ عبد الله بن عمرو. في عشْر نسوةٍ من قريش، فأتينَ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأبطح، فبايَعْنَه»[١].

* كانت البيعةُ النَّبويَّةُ للنِّساء بالقول، وليس بالمصافحة كالرِّجال، فالنَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صافحَ امرأةً أجنبيةً قط[٢]، وربَّى أصحابَه على ذلك، وعن البيعةِ النِّسويَّةِ نمتعُ الأسماع بهذه التَّغريدة المُنعشة:

جاءَ الرِّجالُ جميعُهم قد بايعوا حتَّى البنين
ونساءُ مكَّة قد أتينَ لكي يبايعْنَ الأمين
بايَعْنَه أنْ لا إلهَ سواهُ خيرُ الخالقين
ومحمدٌ خيرُ الخليقةِ خاتمٌ للمُرسَلين
هي بيعةٌ تفصيلُها في محكمِ الذِّكْرِ المبين
بالقولِ بايعَهُنَّ ليسوا كالرِّجال مُصَافحين
ما صافحَ الهادي النِّساءَ مُبايعًا هذا يقين

---

(١) إمتاع الأسماع (١/ ٣٩٨) بتصرف يسير.

(٢) البخاري برقم (٢٧١٣و٤٨٦١، ٥٢٨٨و٧٢١٤)، والترمذي برقم (٣٣٠٦)، وابن ماجه برقم (٢٨٧٥).

* تمَّتْ بيعةُ أمِّ عبدِ الله وصُويحباتها أمامَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستغفرَ لهنَّ اللهَ فيما فرطَ منهنَّ في الجاهليَّة.

* نَعِمَتْ أمُّ عبدِ الله بالاستغفار النَّبويِّ لها، ولا ريبَ في أنَّ الاستغفارَ للمُبايعات أمرٌ إلهيٌّ، نصَّ عليه الذِّكْرُ الحكيمُ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة:١٢]. حرَّر ابنُ عطية وأوجزَ معنى الآية فقال: «ثمَّ أمره تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالاستغفارِ لهنَّ، ورجَّاهُنَّ في غُفْرانه ورحمتِهِ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢]»(١).

«نِعْمَ أهلُ البَيْتِ»:

* صدقَتْ أمُّ عبد الله في بيعتِها، واتَّجهتْ بجوارحِها وقلبِها إلى عبادةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، ونهضَتْ بأعباءِ الوفاءِ لله ورسوله، وكانت مع زوجها وابنها في عبادةٍ واجتهاد، فصار بيتُها من البيوت المباركة، وأثنى عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثرَ من مرّة.

* قال سيّدنا طلحةُ بنُ عُبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**نِعْمَ أهلُ البيتِ: عبدُ الله، وأبو عبد الله، وأمُّ عبد الله**»(٢). وأمُّ عبدِ الله بنِ عمرو هي ريطة بنتُ منبّه بن الحجّاج(٣).

* وفي روايةٍ أخرى: «إنَّ عمروَ بنَ العاص من صالحِ قريش؛ نِعْمَ أهلُ البيت عبد الله، وأبو عبد الله، وأمُّ عبد الله»(٤).

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ص١٨٥١)، وانظر: الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي (١٤/ ٤٢٤-٤٣٧).

(٢) المستفاد (٣/ ٣٨٣)، ورواه أحمد.

(٣) المستفاد (٣/ ٣٨٣).

(٤) فضائلُ الصَّحابة (ص٩١١)، برقم (١٧٤٢و١٧٤٣) و(ص٩١٢) برقم (١٧٤٦و١٧٤٧)، واقرأ تعليق محقق الكتاب على هذه الأحاديث، فقد ذكر أشياء نافعة ومفيدة.
وانظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨١)، ومختصر تاريخ دمشق (١٣/ ١٩٥) و(١٩/ ١٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٨٣)، والحديث في مسند أحمد وغيره.

* ومما ينبغي التَّنويهُ إليهِ أنَّ أمَّ سيِّدنا عمرو بن العاص اسمُها: سلمى، وتلقّب بالنَّابغة، قال ابنُ عبد البر: «... عمرو بنُ العاص القرشيُّ السَّهميَّ... وأمُّه: النَّابغةُ بنتُ حرملة، سُبِيتْ من بني جَلّان بن عنزة... وأخوهُ لأمِّه: عمرو بنُ أثاثة العدويّ، كان من مهاجرةِ الحبشَة، وعقبةُ بنُ نافع بن عبد قيس... وزينبُ بنتُ عفيف بن أبي العاص، أمُّ هؤلاء، وأمُّ عمرو واحدةٌ، وهي بنتُ حرملةَ، سُبيت من عَنزةَ، وذكروا أنَّه جُعِلَ لرجلٍ ألفَ درهم على أنْ يسألَ عمروَ بنَ العاص عن أمِّه وهو على المنبر، فسألَه، فقال: أُمّي سلمى بنتُ حرملةَ، تلقّب النَّابغة من بني عنزة، ثمّ أحد بني جَلّان، أصابتها رماحُ العرب، فبيعَتْ بعُكاظ، فاشتراها الفاكهُ بنُ المغيرة، ثمَّ اشتراها منه عبدُ الله بنُ جُدْعان، ثم صارت إلى العاصِ بنِ وائل، فولدَتْ له، فأنجبَتْ، فإنْ كان جُعِلَ لك شيءٌ، فخذْهُ!!»(١).

«كيفَ أنتِ يا أمَّ عبدِ الله؟»:

* ارتقى الإسلامُ بأُمَّهات الصَّحابةِ إلى ذُرا الفَضَائل، وانتشلهنَّ من وهْدة الضَّلال، فَصِرنَ يعملْنَ لمرضاةِ الله ورسوله، ويبارينَ الرِّجالَ في ميدان المكارم.

* كانت أمُّ عبد الله بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ترى محاسن الإسلام ببصيرتها، فكانت تهتمُّ بِنَبيِّ الإسلامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتهدي له، وتلطفُ به، كما كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزورُها، ويتفقَّدُ أحوالَها، ويرشدُها لما فيه الخير والصَّلاح، والنُّور والفَلاح.

* ومن صورِ الهدايا النَّبوية هذه الهديَّة التي قدَّمَتْها ريطةُ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورواها عمرُ بن شُعيب -وهو أخو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص المتوفى سنة ١١٨هـ- قال: «كانت أمُّ نبيه بنتُ الحجاج أمُّ عبدِ الله بن عمرو تهدي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتلطفُه، فأتاها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا زائرًا، فقال:

(١) الاستيعاب (ص٤٩٦) برقم (١٧٦٧).

«**كيف أنتِ يا أمَّ عبد الله؟**» قالت: بخيرٍ، بأبي أنتَ وأُمي يا رسولَ الله، قال: «**وكيفَ عبدُ الله؟**» قالت: بخيرٍ بأبي أنتَ وأمّي، وعبدُ الله رجلٌ قد تخلَّى من الدُّنيا، قال: «**كيفَ؟**» قالت: حرَّمَ النَّوم فلا ينامُ، ولا يفطرُ، وحرَّمَ اللحمَ فلا يطعمُ اللحم، ولا يؤدِّي إلى أهله حقَّهم، قال: «**أينَ هو؟**» قالت: خرجَ آنفًا يوشك أنْ يرجعَ يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فإذا جاءكِ فاحبسيهِ عليَّ**» فلم يلبثْ عبدُ الله أنْ جاء، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ لنفسِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لأهلِكَ عليكَ حقًا**»[(١)].

* وكانت أمُّ عبد الله تقومُ بمساعدة ابنها في بعضِ الأعمال، ففي حديثِ ابنها عبد الله قال: مرَّ بي رسولُ الله ﷺ، أنا وأمّي نصلحُ خصًّا لنا، فقال: «**الأمرُ أسرعُ من ذلك**»[(٢)].

* أخرجَ هذا الحديث أبو داود في الأدبِ عن عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: مرَّ بي رسولُ الله ﷺ، وأنا أُطيِّنُ حائطًا لي، أنا وأمّي، فقال: «**ما هذا يا عبدَ الله؟**» فقلتُ: يا رسولَ الله، شيء أصلحُه، فقال: «**الأمرُ أسرعُ من ذلك**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٦٩٠٠)، وقال الذهبي في التلخيص: «يروى عنها حديث من رواية ابنها عبد الله، وساقه الحاكم» وذكر ابن الأثير أن أم عبد الله كانت من راويات الحديث، وقال: «روى عنها ابنها عبد الله بن عمرو» أسد الغابة (٧/ ٣٥٠)، وهذا الحديث ذكره أبو نعيم في معرفة الصحابة برقم (٨٠٢٠و٨٠٢١)، وانظر: طبقات ابن سعد القسم المتمم (ص١٢٢)، ومصادر كثيرة.

(٢) المستفاد (٣/ ١٠٢) برقم (٥٧٩)، ومعنى الخصّ: بيت يعمل من الخشب والقصب، وجمعه: خصاص وأخصاص، سمّي به لما فيه من الخصاص، وهي الفروج والأنقاب.

وقال الزبيدي: الخُصُّ: بالضَّم: البيت من القصب، قال الشاعر:

الخُصُّ فيه تقرُّ أعيننا ... خيرٌ من الآجُرِّ والكمد

تاج العروس (١٧/ ٥٥٣و٥٥٤) بتصرف.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٥٢٣٥).

قصَّتُها معَ جاريتِها:

* في حياةِ هؤلاءِ الأمّهات عِظَاتٌ بالغاتٌ، ومواقفُ باهراتٌ، تدلُّ على صفائهنَّ وحسنِ تربيتهنَّ، وكانت أمُّ عبدِ الله بنِ عمرو من الصَّحابيات الفاضلات، فإذا مازلَّ لسانُها فإنها ترجعُ إلى الحقِّ والصَّواب، وتعملُ ما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ.

* روى أبو عمران الفلسطينيّ قصّةَ أمِّ عبدِ الله مع جاريتها فقال: «بينا امرأةُ عمرو ابنِ العاص تَفْلِي رأسَه، إذا نادت جاريةً لها، فأبطأت عنها، فقالت: يا زانية! فقال عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيتها تزني؟ فقالت: لا، قال: والله لتُضرَبِنَّ لها يوم القيامة ثمانين سوطًا، فقالت لجاريتها وسألَتْها العفو، فعَفَتْ عنها، فقالت: هل يجزئُ عنّي؟ فقال لها: وما لها ألا تعفو وهي تحت يدكِ؟ فأعتقيها، فقالت: هل يجزئُ عنّي ذلك؟ قال: فَلَعَلّ»[(١)].

* ويظهرُ من حياةِ أمِّ عبد الله حبّها للعلْم، فكانت تقتبسُ بعضَ الأحكام من زوجِها وابنها، وتسعى لمعرفةِ ما يصلحُ دِينها ودنياها.

* وتابعت ريطةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حياةَ العبادةِ والصَّفاء، وعُمِّرتْ زمنًا حتى أتاها اليقين، ولم تفصحِ المصادرُ عن زمن وفاتها، بينما ذكرت وفاة زوجِها وابنِها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وحشَرنا في معيتهم، وغفرَ لنا ما سلف، وجعلنا في الجنة من ساكني الغُرف.



---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٥٠)، وشرح حياة الصحابة (٣/ ٢٧٢)، ومعنى «تفلي رأسه»: تنظف رأسه وشعره وتخرج ما علق به.

أُمُّ الفَضْل بن العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ

ﮒ من السَّابقات الأُوَل، لم يتقدَّمْها سوى خديجة.

ﮒ لها ثلاثون حديثًا، وروى لها الجماعةُ في كتبهم.

ﮒ أولادُها نجومٌ زواهرُ وصحابةٌ فضلاءُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.



أُمُّ الفَضْلِ بنُ العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

النَّجيبَةُ المُنجبَةُ:

* سيِّدةُ برَّةٌ تقيَّةٌ، صالحةٌ نقيةٌ، ذاتُ سريرةٍ صافيةٍ، ومكانةٍ وافرةٍ وافيةٍ، أنجبَتْ ستَّةَ رجالٍ لم تَلِدِ امرأةٌ مثلهم(١)، فهل أتاكَ خبرُ هذه النَّجيبة المُنجبة؟!

* هي زوجُ العبَّاس، وأُمُّ أكثر بَنيه، اسمُها: لُبابةُ بنتُ الحارث بنِ حزن الهلاليَّة، وتكنى أُمّ الفَضْل(٢)؛ وأولادُها من صغارِ الصَّحابة، وكلُّهم نُجباء نُبلاء، وهم: الفضلُ؛ وبه تكنى، وعبدُ الله فقيهُ الأمة وحبرُها، وعبيدُ الله الجوادُ السَّخي، وقُثمُ، ومعبدُ، وعبدُ الرحمن، ولها ابنةُ اسمها: أمُّ حبيب وهي سابعةُ أولادها(٣).

* ونجابةُ هذه النَّجيبة لُبابة(٤) لم تغِبْ عن خيالِ الشُّعراء، فهذا عبدُ الله بنُ يزيد بنِ عبد الله، أبو ليلى الهلاليُّ(٥)، يشيدُ ويشدو بنجابة أُمِّ الفضل ومكارمها بهذا الرَّجز:

ما ولَدَتْ نجيبةٌ منْ فَحْلِ ... بجَبَلٍ نَعْلَمُه أو سَهلِ
كستَّةٍ منْ بطنِ أمِّ الفضل ... أكْرِمْ بها من كَهْلةٍ وكَهْلِ
عمّ النَّبيِّ المُصطفى ذي الفضل ... وخاتم الرَّسل وخَير الرُّسل(٦)

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٤).

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٢و٢٦٣)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ٢٩٧و٢٩٨)، والمعجم الكبير (٢٥/ ١٧و١٨)، والاستيعاب (ص٩٣٥) ترجمة رقم (٣٤٤٥)، والإصابة (٨/ ٢٦٦)، والوافي بالوفيات (٢٤/ ٢٩٧و٢٩٨)، والعقد الثمين (٨/ ٣١٤و٣١٥)، والأعلام (٥/ ٢٣٩)، وغيرها كثير لا يُستقصى.

(٣) المعارف (ص١٢١)، وذخائر العقبى (ص٣٤٤)، والعقد الثمين (٨/ ٣١٥)، وغيرها.

(٤) **لبابةُ:** يقال: امرأةٌ لبةٌ: محبة، عاطفة لزوجها، ويقال: أمٌّ لَبَّةٌ. **واللبَّةُ:** المرأةُ اللطيفةُ الحسنةُ العشرةُ مع زوجها. ولبابةُ: شجرة يعمل منها العِلْك. والحسب اللباب: الخالص، ومنه سميت المرأة لبابة. واللباب: الخالص من كل شيء. تاج العروس (٤/ ١٨٤-١٩٧) بتصرف واختصار.

(٥) انظر ترجمته في تاريخ مدينة دمشق (٣٣/ ٣٨٤و٣٨٥) ترجمة رقم (٣٦٣٢).

(٦) تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٩٨)، وإمتاع الأسماع (٦/ ٢٧١)، وغيرهما كثير جدًّا.

ثَانِيَةُ اثنتَيْن:

* أمُّنا السَّيِّدةُ خديجةُ بنتُ خويلد رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أوَّلُ خَلْقِ الله أسلمَ بإجماع المسلمين، لم يتقدَّمْها في هذه المنقبة الفريدة رجلٌ ولا امرأةٌ؛ ولكنْ مَنْ التي تَلَتْها في هذه المكرمة العظيمة؟

* قال بعضُ أهلِ العلْم: «إنَّ أمَّ الفَضْل بنتَ الحارث أوَّلُ امرأةٍ أسلمتْ بعد خديجةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا»[1].

* استجابتْ أُمُّ الفضل لله والرَّسولِ، فآمنَتْ وصدَّقَتْ، وشهد لها الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالإيمانِ مع أخواتها فقال: «**إنَّ الأخواتِ لمؤمناتٌ**»[2].

* كانت أُمُّ الفضل رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا امرأةَ عمِّ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن صدائقِ أُمِّ المؤمنين سيِّدتنا خديجةَ رضوان الله عليها، وكانت تجلُّها وتحترمُها. وحينما ماتتْ خديجةُ كانت أُمُّ الفضل هي التي غسَّلتها، ومعها السَّيِّدةُ أمُّ أيمن بركةُ بنتُ ثعلبةَ، ودفُنِتْ خديجة بالحجون بمكَّة، ونزلَ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حفرتها، ثم إنَّ سيدنا معاويةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اشترى -فيما بعد- منزلَ خديجة، فجعله مسجدًا[3].

«لعلَّ اللهَ أنْ يقرَّ أعينَكم»:

* نَعِمَتْ أُمُّ الفضل بمكارمَ نبويةٍ عديدةٍ رفَعَتْ مكانتها بين غيرِها من الصَّحابيَّات رَضِيَٱللَّهُعَنْهُنَّ أجمعين، وقد سُجِّلَتْ هذه المكارمُ في تواريخِ الصَّحابة، ومصادرِ السِّيرة وغيرِها.

---

(١) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٣)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٢٧٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٤)، وإمتاع الأسماع (٦/ ٢٧١)، والعقد الثمين (٨/ ٣١٤)، وغيرها. قال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ عن التي أسلمت بعد أمنا خديجة: «ويقال إنها -أي: أم الفضل- أول امرأة أسلمت بعد خديجة، والصحيح أخت عمر زوج سعيد بن زيد... واسمها فاطمة». فتح الباري (٢/ ٢٤٦).

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٣)، وغيرها كثير جدًا، والحديث مشهور معروف.

(٣) انظر: إمتاع الأسماع (٦/ ٣٠) بشيء من التصرف.

* أرَّخَ ابنُها عبدُ الله بشارةً نبويةً تخصُّه وتخصُّ أمَّه وأباهُ في هذه الهمسةِ الماتعةِ، فقال: «لما كان النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأهلُ بيته بالشِّعب -أي: الحصار الذي دامَ ثلاث سنين بِشِعْبِ أبي طالب بمكة- أتى أبي النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: يا محمّد، أرى أمَّ الفضل قد اشتملَتْ على حَمْلٍ، فقال: «**لعَلَّ اللهَ أنْ يقرَّ أعينكم**» فأتى بي النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنا في خِرقةٍ يُحنّكني بريقه». قال مجاهد[1] رَحِمَهُٱللَّهُ: «فلا نعلمُ أحدًا حُنِّكَ بِريقِ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غيره»[2]. وكان ابنُ عبَّاس قد وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهم في الشِّعْب محاصرون.

* كادت أُمُّ الفضل تطيرُ فرحًا بوليدِها عبدِ الله، وراحت تنشدُ الأراجيزَ فيه، وتبذرُ السِّيادة في عبد الله، ومن هذه النَّفحات ما أنبأَ به الصِّقِلِّيُّ قال: «بلغني أنَّ لبابةَ بنتَ الحارث الهلاليَّةَ، وهي أُمُّ عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، قالت وهي تُرقِّصُهُ:

ثكلْتُ نفسي وثكلْتُ بكْري إنْ لم يَسُدْ فِهرًا وغيرَ فِهْر

بالحسَبِ الزَّاكي وبذْلِ الوفر حتى يُوارى في ضريحِ القبر»[3]

---

(١) اقرأ سيرة التابعي الجليل مجاهد بن جبر في كتابنا: علماء التابعين، حيث تجد الفائدة والمعرفة بإذن الله.

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٢٩/ ٢٨٨).

(٣) أنباء نجباء الأبناء (ص٧٩)، وشاعرات العرب (ص٣٢٠) مع الجمع والتصرف.

وقولها «بكري»: ابنها الفَضْل. وكان عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يدعو ابن عباس ويقرّبه وهو حديثُ السِّنِّ، ويشاورُه ويدنيه من مجلسه، ويقول: إنِّي رأيتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعاك يومًا؛ فمسَحَ رأسَكَ، وتَفَلَ في فِيْكَ، وقال: «**اللهمَّ فقِّههُ في الدين، وعلّمه التَّأويل**» أنباء نجباء الأبناء (ص٧٩-٨٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٨١). وقال ابن كثير عن ابن عباس: «... صحب النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولزمه، وأخذَ عنه، وحفظَ، وضبطَ الأقوالَ والأفعالَ والأحوالَ، وأخذ عن الصَّحابة علمًا عظيمًا مع الفَهْمِ الثَّاقبِ، والبلاغةِ، والفصاحةِ، والجمالِ، والملاحةِ، والأصالة، والبيان، ودعا له رسولُ الرحمان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذلك كما ورَدَتْ به الأحاديثُ لثابتة الأركان عند الأئمةِ الحفاظ المرضيين؛ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا له بأنْ يعلّمه الله التأويل، وأنْ يفقهه في الدِّين» البداية والنهاية (١١/ ٨١).

تحرِّيها العبادة:

* قُلنا: «إنَّ السَّيدةَ النَّجيبةَ أُمَّ الفضل قديمةُ الإسلام» وكان ابنُها الحبرُ عبدُ الله يؤكِّد ذلك بقولِهِ: «... كنْتُ أنا وأُمّي من المُستضعفين من النِّساء والولدان»(١). وفي هذا دليلٌ واضحٌ على أنهما أَسلما قَبلَ العبَّاس، لكنَّهما عجزا عن الهجرة مع السَّابقين الأوَّلين، ثمَّ إنَّ العبَّاسَ تحوَّل بأُمِّ الفضلِ قبلَ الفتح إلى المدينةِ النَّبويَّةِ.

* عقدتْ أُمُّ الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِلْفًا مع العبادةِ، وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرمُها ويقدِّرُ زُهْدهَا، كما كان يزورُها، ويأتي بيتَها كثيرًا(٢).

* لزمت أُمُّ الفضل الطَّاعاتِ قولًا وعملًا، فكانت صوَّامةً قوامةً، تثابرُ على صومِ التَّطوُّع، لِيُعْرَضَ عملُها وهي صائمةٌ، قال ابنُها عبدُ الله عنها: «عقلتُ أمي وهي تصومُ الاثنين والخميس(٣) ولا ريبَ في أنَّ أُمَّ الفَضْل اقتسبتِ الصَّومَ من الهدي النَّبويّ، فعن أُمِّنا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كانت النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرَّى صَوْمَ الاثنين والخميس»(٤).

نصيبُها من روايةِ الحَديث:

* لأُمِّ الفَضْل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نصيبٌ في روايةِ الحديثِ النَّبويّ، وتُصنَّفُ من النِّساء العالمات، وذكروها من أصحابِ العشرات، فقد قال الذَّهبيُّ: «لها في مسندِ بَقيِّ بن مخلد ثلاثون حديثًا، واتَّفق البخاريُّ ومسلمٌ لها على حديثٍ واحدٍ، وآخر عند البخاري، وثالث عند مسلم»(٥)، وقال: «خرَّجُوا لها في الكتُب السِّتَّة»، وقال المِزِّيُّ: «روى لها الجماعةُ»(٦).

---

(١) أخرجهُ البخاريّ برقم (٤٥٨٧)، وقال ابنُ عباس أيضًا: «كنتُ أنا وأمي من المستضعفين: أنا منَ الولدان، وأمي من النِّساء»، وقال: «كنتُ أنا وأمي ممن عذَرَ الله» فتح الباري (٨/ ٢٥٥) برقم (٤٥٨٨).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٤).

(٣) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٣).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٧٤٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣١٥).

(٦) تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٩٨).

* وقال أبو المحاسن محمّدُ بنُ عليّ العلويُّ الحسينيُّ: «لها صحبةٌ، وروايةٌ، وعنها ابنها عبدُ الله بن عبَّاس...»[١]، كما أنَّه روى عنها عددٌ من عُلماء الصَّحابة والتَّابعين.

* وممَّا أخرجَهُ أميرا أهلِ الحديث البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهُما بسندٍ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إنَّ أمَّ الفَضْل سمعته وهو يقرأُ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، فقالت: يا بنيّ، والله لقد ذكَّرتني بقراءتك هذه السُّورة، إنَّها لآخر ما سمعتُ من رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأُ بها في المغرب»[٢].

* وروتْ أمُّ الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حكمَ استحبابِ الفِطْر للحاج، وذكرت: «أنَّ ناسًا تماروا عندها يومَ عرفة في صيامِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال بعضُهم: هو صائمٌ، وقال بعضُهم: ليس بصائمٍ، فأرسلتُ إليه بقدحِ لبنٍ وهو واقفٌ على بعيرِهِ بعرفةَ فَشَرِبَه»[٣].

أُمُّ الفَضْل وأَسْرُ العبَّاس:

* لهذه الأُمِّ المنجبة النجيبة مواقفُ عطرةٌ، في السِّيرة النَّبويَّةِ العطرة، ومنها قصَّةُ أَسْرِ زوجها العبَّاس[٤] في غزوة بدر، فقد خرجَ العباسُ إلى بدرٍ مُسْتكرهًا مع قومِهِ،

---

(١) التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة (ص٢٣٥٤) رقم (٩٩٧١)، ومن رجال كتب الحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الذي روى عن أمه أم الفضل شطرًا من أحاديثها، وقد وصفه ابن عساكر بقلمه فقال: «... وكان عبد الله أبيض طويلًا، مشربًا صفرة، جسيمًا، وسيمًا، صبيح الوجه، له وفرة، يخضب بالحناء، وكان يسمى الحبر والبحر لكثرة علمه، وحدَّة فهمه، حبر الأمة وفقيهها، ولسان العشيرة ومنطيقها، محنَّك بريق النبوة، ومدعو له بلسان الرسالة، فَقَّهه في الدين، وعلمه التأويل، ترجمان القرآن، سمع نجوى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للرسول وعاينَهُ...» مختصر تاريخ مدينة دمشق (١٢/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأذان برقم (٧٦٣و٤٤٢٩)، ومسلم برقم (٤٦٢)، وأحمد برقم (٦٧٤٦و٦٧٦٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٢٠) برقم (٢٦١٠)، وانظر: إمتاع الأسماع (١٤/ ٤٥٩و٤٦٠و٤٦٢)، وهذا الحديث في الكتب الستة.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١١٢٣) واللفظ له، وأخرجه البخاري برقم (١٦٥٨و١٦٦١، ١٩٨٨و٥٦٠٤، ٥٦١٨و٥٦٣٦)، وأحمد في مواضع برقم (٢٦٧٤٧و٢٦٧٥٠، ٢٦٧٦٠، ٢٦٧٦١و٢٦٧٦٢و٢٦٧٦٤)، ومالك في الموطأ (١/ ٣٧٥)، وانظر: إمتاع الأسماع (٧/ ٣٥٨).

(٤) اقرأ سيرته في الباب الأول من موسوعتنا: رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث.

وترك مالًا وذهبًا عند زوجهِ أُمِّ الفضل، وقال لها: «إنْ أُصبتُ في سَفَري فللفضلِ كذا، ولقُثم كذا، ولعبدِ الله كذا...» وصادفَ أنْ وقعَ العبَّاسُ أسيرًا بأيدي المسلمين، فجعل النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مئةَ أوقية فداءً، فقال العبَّاس: «لِمَ أللقرابةِ صنَعْتَ هذا؟! فوالذي يحلفُ به العباس، لقد تركتني فقيرَ قريش ما بقيتُ» فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**كيفَ تكونُ فقيرَ قريش وقد استودعْتَ بنادقَ الذَّهب أُمَّ الفَضْل، ثمَّ أقبلتَ إليها فقلتَ لها: إنْ قُتلتُ فقد تركتُك غنيةً ما بقيتِ، وإنْ رجعتُ فلا يهمنَّك شيءٌ؟**» فقال: «إنِّي أشهدُ أنَّ الذي تقولُ قد كان، وما اطَّلعَ عليه إلا الله»[١].

* وأمتعَ المقريزيُّ الأسماعَ بدلائلِ النَّبوةِ من خلالِ كلامهِ عن أُمِّ الفضل والعبَّاس، فقال: «... وإخْبَارُهُ عمَّه العبَّاسَ بما استودعَ أُمَّ الفَضْل من الذَّهب، فزالت عن العبَّاس الشُّبهةُ في صدقهِ وحقيقةِ نبوَّتهِ، فازدادَ بصيرةً ويقينًا في أمرهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢].

قِصَّتُها معَ المتْبُوب:

* تجودُ علينا السِّيرةُ النَّبويَّةُ بالأَنْداءِ العَطِرةِ المنعشة من أخبارِ هؤلاءِ الأمَّهات اللواتي ضَرَبْنَ أصدقَ الأمثلةِ في ثباتهنَّ على الحقِّ؛ من دون أنْ ينظرنَ إلى الإعاقاتِ الاجتماعيةِ كالقرابات ونحوها. وكانت السَّيِّدةُ أُمُّ الفَضْل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ممنْ سلكْنَ طريقَ الرَّشاد، ونَصَرْنَ الدِّينَ، ولم تأخذْها في الله لومةُ لائمٍ، أو تحسب حسابَ قرابةٍ على حسابِ الدِّين، وفيما يأتي من سطورٍ مصداقٌ لما نقولُ، ودليلٌ واضحٌ شافٍ كافٍ بإذن الله...

* أنذرَ الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشيرته الأقربين، فانبعثَ أبو لهبٍ قائلًا: «تَبًّا لك، أَمَا جمعْتَنا إلا لهذا؟»[٣]، وطفقَ أبو لهب وامرأتُه أُمُّ جميل يكيدان رسولَ الله

---

(١) المعارف (ص١٥٦)، وإمتاع الأسماع (١٢/ ١٦٩)، ونهاية الأرب (١٧و١٨/ ٤٢)، وإتحاف الورى (١/ ٤٢١و٤٢٢)، وغيرها.

(٢) إمتاع الأسماع (١/ ٨٠) وأيضًا (١٢/ ١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٩٧١)، ومسلم برقم (٢٠٨)، وانظر كتب التفسير معظمها لسورة المسد.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلاهما كان شديدَ العداوة للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات هذا الشَّقيَّان على الكفر[١].

* فأمَّا امرأةُ[٢] أبي لهب فقد خَنَقَها اللهُ بحبلها، وأمَّا أبو لهب[٣] فإنَّ اللهَ رماهُ بالعَدَسَةِ -مرضٌ من جنْس الطَّاعون- بعد غزوةِ بدرٍ بسبعِ ليال، بعد أنْ شجَّتْه أُمُّ الفضل شجَّةً منكرةً فصَّلَتْها قصَّةٌ شائقةٌ رواها أبو رافع غلامُ العبَّاسِ بن عبد المطلب، حيثُ شهد أبو رافع شجاعةَ أُمِّ الفضل.

* قال أبو رافع: «جاءَ أهلَ مكَّة مَنْ أخبرهُم بانتصار المسلمين في غزوة بدر، وتأْييد الله لهم، وكنتُ قُرْبَ زمزم، وعندي أُمُّ الفضل جالسةً، فسَرَّنا خبرُ النَّصر، وقلتُ: تلكَ والله الملائكةُ أيَّدَ بها المسلمين، فرفَعَ أبو لهبٍ يده، وضربَ وجهي ضربةً منكرةً، وثاورتُه، فضربَ بي الأرض، وجعلَ يضربُني... فقامَتْ أُمُّ الفضل إلى عمودٍ من عُمُدِ الحجرة، فأخذتْهُ وقالت له: استضعفْتَه أنْ غابَ عنه سيِّده؟! وجعلَتْ تضربُهُ بالعمودِ على رأسِهِ حتَّى شجَّتْهُ شجّةً منكرةً، فقامَ يجرُّ رجلَيهِ ذليلًا، ورماهُ اللهُ بالعدسةِ، فماتَ، ودُفِنَ بأعلى مكّة، ورضموا عليه الحجارةَ حتَّى واروه»[٤].

* أثبتَتْ أُمُّ الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حزْمَها وشجاعتَها، ورسمتْ مشهدًا من أعظمِ المشاهدِ النِّسويَّة في عصر النبوة في مكَّة المكرمة، فأعظمْ بشمائِلها ونبلها!

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... والحكم ببقاء أبي لهب وامرأته في النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى الموافاة، فلما ماتا على الكفر، صدق الإخبار عنهما، ففيه معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» تفسير القرطبي (٢٢/ ٥٥٦).

(٢) اقرأ سيرة هذه الشقية الخبيثة في كتابنا: المبشرون بالنار (ص٢٩٤-٣٠٣).

(٣) اقرأ سيرة هذا الشقي المتبوب في كتابنا: المبشرون بالنار (ص١٩١-٢٢١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٢٣و٢٤)، وتفسير القرطبي (٢٢/ ٥٥٥و٥٥٦)، والسيرة النبوية (١/ ٦٤٦و٦٤٧)، والمستدرك (٣/ ٣٢١و٣٢٢)، والمعجم الكبير (١/ ٣٠٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي المغازي (ص٦٦و٦٧)، وإتحاف الورى بأخبار أم القرى (١/ ٤١٩و٤٢٠)، والأغاني (٤/ ٢٠٥)، وضعيف تاريخ الطبري (٧/ ٨٩و٩٠)، وانظر تعليق المحقق على القصة.

لِمَ انْتَصرَ النَّبيُّ ﷺ لها؟

❋ لأُمَّهات الصَّحابةِ فضلٌ كريمٌ في نُصرةِ دينِ الله تعالى، ونُـصرةِ رسولهِ ﷺ، وتنشئَةِ أولادهنَّ على حبِّ الله ورسولهِ والإسلام، وكانت أمُّ الفَضْل من هؤلاءِ النِّسوة الفاضلاتِ، فقد كان سيدنا رسولُ الله ﷺ يزورُها ويحترمُها، ويداعبُ أولادَها، ولما تغزَّل كعبُ بنُ الأشرف اليهودي[1] بها، وشبَّبَ بنساءِ المسلمين أمرَ النَّبيُّ ﷺ بقتلِ هذا الخبيث المُفتري الأفَّاكِ المُحرِّضِ الشِّرِّيرِ، وكان لِقصَّةِ مقتله حديثٌ صحيحٌ شائقٌ جاء في الصَّحيحَيْن وغيرهما، ونحنُ واردو منْهَلَ البخاريِّ ومسلمٍ لنرتويَ من معينهما ما نَبُلُّ به الصَّدى إنْ شاءَ اللهُ...

❋ كان كعبُ بنُ الأشرف أحدَ الذين آذَوا رسولَ الله ﷺ وصحبَه، وكانت أمُّه من بني النَّضير، واسمُها: عقيلةُ بنتُ أبي الحقيق، ولما انتصرَ المسلمون في بدرٍ، وكفى اللهُ رسولَه المستهزئين، تأجَّجَتْ نارُ الحقدِ في جوفِ هذا الخبيثِ الحاقدِ، وقال: «والله لئنْ أصابَ محمدٌ هؤلاء القوم لَبطنُ الأرضِ خيرٌ لنا من ظهرها».

❋ وطارتِ الأخبارُ لتؤكِّدَ مقْتَلَ كبار الفَجرة ومجرميهم في بدر، فخرجَ كعبٌ وقدم مكَّة، ثم نزلَ على المطَّلبِ بنِ أبي وداعةَ بنِ ضبيرة السَّهميِّ، وعنده عاتكةُ بنتُ أسيدِ ابنِ أبي العيص بن أميةَ بن عبد شمس، فأنزلتْهُ وأكرمتْهُ، وجعلَ يُحرِّضُ على رسولِ الله ﷺ، وينشد الأشعار، ويبكي قتلى المشركين ويتباكى على المستهزئين.

❋ سمعَ حسَّانُ بنُ ثابت بهذا جميعِهِ، فشرعَ يهجو المطلبَ وامرأته عاتكةَ، فطردتْ عاتكةُ كعبًا، فرجعَ إلى المدينةِ، وأخذَ يتغزَّلُ بنساءِ المسلمين وأُمَّهات الصَّحابة حتى آذاهم، ثم شبَّبَ بالسَّيِّدة أُمّ الفضل بقصيدةٍ، ومنها قوله:

---

(١) اقرأ سيرة هذا الفاجر الأفاك الأثيم في كتابنا: المبشرون بالنار (١٧١-١٩٠).

أراحِــلٌ أنــتَ لم تَحـلُـلْ بمنقبةٍ وتَــارِكٌ أنــتَ أُمَّ الـفَـضْـل بـالحَـرمِ

إحـدى بـني عـامـرٍ جُـنَّ الـفُـؤادُ بها ولـو تشاء شَـفَـتْ كعبًا مـن السَّقمِ

❊ استطار شرُّ كعبٍ، وههنا انتدبَ له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمدَ بنَ مسلمةَ الأنصاريَّ[(١)] في رهطٍ من شُجعان الأنصار وفتيانهم، فجعلوا كعبًا كأمسِ الدَّابر، وذلك في روايةٍ متألِّقةٍ في صحيحي الإمامَيْن الجليلين: البخاريّ ومُسلم[(٢)]، وقد أوضحت انتصارَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمِّ الفَضْل، ولأُمَّهات الصَّحابة ونساء المسلمين.

❊ وبمقتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ طُويتْ صفحةٌ من صحائفِ الغَدْرِ، مُمثَّلةً في هذا اليهوديِّ الطَّاغوتِ المتطاولِ، وارتاحَ المسلمون من عدوٍّ لئيمٍ، عُتُلٍّ زنيمٍ، شديدةِ العداوةِ لله ورسولِهِ وللإسلامِ وأهلِهِ.

❊ وما أجملَ أنْ نفيءَ إلى الأدبِ قليلًا نستجمُّ في رياضهِ بعضَ الوقْت! ثم نطالعَ هذه التَّغريدة التي ترسمُ وتجملُ ما ذكرناه في السُّطور السَّالفة:

كعبُ بنُ أشرف كان خَصْمًا من خُصُوم المسلمين

أخـوالُـه كـانـوا يـهـودًا هـم رؤوسُ الحاقدين

لمَّــا أَتَــتْ أخـبـارُ بَــدْرٍ بـانـتـصـارِ المُسلمين

كعبُ بنُ أشرفَ كان من بين الرِّجالِ الكارهين

فـورًا تـوجَّـه نحـوَ مـكَّـة كـي يُـواسـي المُشركين

قد صـارَ كعبٌ ينظمُ الأشعـارَ يهجو المُسلمين

(١) اقرأ سيرة محمد بن مسلمة الأنصاري في الباب الثاني من كتابنا: فرسان من عصر النبوة.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي في باب: قتل كعب بن الأشرف برقم (٤٠٣٧)، وبرقم (٢٥١٠ و٣٠٣١ و٣٠٣٢)، ومسلم في الجهاد والسير، باب: قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود برقم (١٨٠١). وانظر: السيرة النبوية (٢/ ٥١)، والبداية والنهاية (٥/ ٣٢٦-٣٣٤)، والمنتظم (٣/ ١٥٨ و١٥٩)، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٢/ ٣٦٧-٣٧٨)، وصحيح السيرة النبوية (ص١٩٩-٢٠١)، وصحيح وضعيف تاريخ الطبري (٢/ ١١٩-١٢٣).

في مكَّةَ البلدِ الحرامِ مُحرِّضًا للمُشْركين

عادَ اللعينُ إلى المدينةِ بعد نعي الرَّاحلين

قد نالَ بالتَّشبيب جَهْرًا من نساءِ المسلمين

قال النَّبيُّ مخاطبًا كلَّ الرِّجالِ السَّامعين

مَنْ لي بابنِ الأَشْرفِ الملعونِ شرِّ الفَاسقين

قال ابنُ مسلمةَ وكان من الرِّجال الجازمين

إنِّي سأقتلُه بإذنِ اللهِ ربِّ العالمين

رُؤْيَاهَا المُبَاركة:

* أمومةُ السِّيدةِ أُمِّ الفضل أمومةٌ متميزةٌ، ولها منقبةٌ جليلةٌ إذا أرضعتْ طفلًا حبيبًا إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك من خلالِ رؤيا مباركةٍ، قَصَّتْها على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: «رأيتُ كأنَّ في بيتي عضوًا من أعضاءِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرتُ ذلك له، فقال: «**خيرًا تلِدُ فاطمةُ غلامًا فتكْفُلينَه بلبنِ ابنك قُثَم**» فَولَدتْ حَسَنًا، فأُعطِيْتُهُ فأرضعتُه حتَّى تحرَّك، أو فطمتْه، ثم جئتُ به إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجلسْتُه في حجرِهِ، فَبَالَ، فضربتُه بين كتفَيه، فقال: «**ارفقي بابني رحمَكِ اللهُ** -أو: **أصلَحَكِ اللهُ**- **أوجعتِ ابني**» قلتُ: يا رسولَ الله، اخلعْ إزاركَ، والبسْ ثوبًا غيره حتَّى أغسِلَه، قال: «**إنما يُغْسَلُ بولُ الجارية، ويُنْضَحُ بولُ الغُلام**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨/ ٣٥١و٣٥٢) برقم (٢٦٧٥٣و٢٦٧٥٧)، والطبراني في الكبير (٢٥/ ٢٥و٢٦) برقم (٣٨و٣٩و٤٠و٤١)، وأيضًا (٣/ ٥) برقم (٢٥٢٦و٢٥٤١)، وانظر: المستدرك (٣/ ١٩٤)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٢٦٤)، والإصابة (٨/ ٢٦٧)، وإمتاع الأسماع (١٢/ ٢٣٧)، وغيرها.

نَجابةُ أَولادِهَا:

* قال أحدُ الشُّعراء:

نِعَمُ الإلهِ على العبادِ كثيرةٌ ... وأتمهنَّ نجابةُ الأولاد

* حبَّرَ ابنُ حبيب في (مُحَبَّره) أسماءَ بعضِ المُنْجِبات العربيَّات، فقال: «ولم تكنِ العربُ تعدُّ منجبةً لها أقلَّ من ثلاثةِ بنين أشراف»، ثم افتتح بذكرِ المُنجبة فاطمةَ بنتِ عمرو بن عائذ المخزوميَّة، وثنَّى بالسَّيِّدةِ النَّجيبةِ أُمِّ الفضلِ فقال: «ولبابةُ بنتُ الحارث الهلاليَّةُ...» وذكر أسماءَ أولادها النُّجباء جميعهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين»[1].

* وبيَّن ابنُ حبيب شرفَ أولادِها ونجابتهم، ونوَّه إلى مكانتهم ووَفَياتهم فقال: «ولم يكنْ إخوةٌ بِعِدَّتِهم أشرفَ منهم، ولا أبعدَ قُبورًا، ماتَ معبدُ بأفريقية، وعبدُ الرحمن بالشَّام، وعبدُ الله بالطَّائف، وعبيدُ الله بالمدينة، وقُثَمُ بسمرقند، والفضلُ بالشَّام»[2].

* عنيتْ أُمُّ الفضل بأولادِها عنايةً واضحةً، وربَّتْهم تربيةً خالدةً، فأضحوا الأنجمَ الزَّواهرَ في دُنيا الرِّجال، فقد غرستْ فيهم أكرمَ الخصال، فَزانوا جبينَ الأيّام، وكانوا تاجًا على رؤوسِ الأنام، فكان منهم العلماءُ والقادةُ والشُّهداء والفاتحون والأُمراء...

* فأمَّا ابنُها الفضلُ، فيكنى أبا عبد الله، كان من أجملِ النَّاس وجهًا، وكان شجاعًا، غزا مع ابنِ عمِّهِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكَّة وحُنينًا، وثبتَ يومئذٍ، وشهدَ حجَّةَ الوداع، وأردفَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلْفَه يومَها، وشهد وفاةَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يصبُّ الماءَ في غسْلِهِ، وعليٌّ يغسِّلُه، توفي الفضلُ إبَّان الخلافةِ الصِّدِّيقيَّةِ البكريَّةِ الرَّاشدةِ سنة (١٣هـ) في الشَّام، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أَبويه وإخوته.

---

(١) المحبر (ص٤٥٥و٤٥٦).

(٢) المحبر (ص١٠٧)، وانظر: المعارف لابن قتيبة (ص١٢٢).

* وابنها عبدُ الله[١]، ويكنى أبا العبَّاس، من عُلماء العبادلةِ المشهورين[٢]، دعا له النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنْ يباركَ اللهُ فيه، ويعلِّمَه الحكمة، وسمَّاه ترجمانَ القُرآن، وله أخبارٌ جميلةٌ تُسْتَحلى مع أُمِّه[٣] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكان أجملَ النَّاس وأفصحَهم وأعلمَهم وأحلمَهم، ماتَ بالطَّائف سنة (٦٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* وأمَّا ابنُها عُبيدُ الله[٤]، فهو أحدُ أسخياءِ الدُّنيا وأجوادهم، وكان يُقال: «مَنْ أراد الجمالَ، والفقْهَ، والسَّخاء، فَلْيأتِ دارَ العباس: الجَمالُ للفضل، والفقهُ لعبد الله، والسَّخاء لعُبيد الله».

مات عُبيدُ الله في المدينةِ المنوَّرة سنة (٥٨هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.

* أمَّا ابنُها قُثَم، فهو رضيعُ الحسنِ بنِ عليٍّ، وكان يُشَبَّه بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستُشْهِد بسمرقند في زمنِ سيِّدنا معاويةَ بنِ أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

---

(١) اقرأ سيرة عبد الله بن عباس في الباب الأول من موسوعتنا: علماء الصحابة (ص٢١-٧٨) حيث افتتحت بسيرته العطرة الكتاب.

(٢) إنَّ المعتمدَ المشهورَ بين المُحدّثين، وأعيانِ أهلِ العلْم، وغيرهم، أنَّ مَنْ يُطْلَق عليهم العبادلة هم أربعةٌ من الصَّحابة: عبدُ الله بن عبَّاس، ابنُ عمر، ابنُ الزُّبير، ابنُ عمرو بن العاص، وقد نظمهم بعضهم فقال:

إنَّ العَبَادلةَ الأخيارِ أربعةٌ ... مناهجُ العِلْم في الإسلامِ للنَّاس

ابنُ الزُّبير مع ابنِ العاص وابنِ أبي ... حفْصِ الخليفة والبحر ابنِ عبّاس

طبقات الشافعية (٩/ ١٦٦)، وهذا النظم لمحمد بن عبد المحسن الأرمنتي المتوفى سنة ٧٣٠هـ.

(٣) من أخباره المُنعشة مع أمِّه، ما رواهُ عنها قالت: «بينا أنا مارّةٌ؛ والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحِجْرِ، فقال: «يا أُمَّ الفَضْل» قُلْتُ: لبَّيكَ يا رسولَ الله، قال: «إنَّكِ حاملٌ بغلام»، قالت: كيف وقد تحالفت قريشٌ لا تولدون النِّساء؟ قال: «هو ما أقولُ لكِ، فإذا وضعتيه فائتيني به»، فلما وضَعَتْهُ أتتْ به النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمَّاه عبدَ الله وألْباهُ من ريقهِ، ثم قال: «اذهبي به فلتجدنِه كيِّسًا» أخرجه الطبرانيُّ في الكبير (١٠/ ٢٩٠)، وقال الهيثميُّ في المجمع: «وإسنادهُ حسَنٌ» مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦)، وانظر: سُبُل الهدى والرَّشاد (١/ ٥٩٩و٦٠٠).

قلتُ: «كان أصحابُ ابنِ عباس يسمّونه البحرَ، أو: الحبْر» ولله درُّ مَنْ قال:

هُمامٌ عَلا في الورى قَدْرُهُ ... إلى غايةٍ جَلَّ أنْ تُوضعا

فتًى قد تأثَّلَ من دوحةٍ ... سمَتْ في سَمَا المجد والاصطفا

(٤) اقرأ سيرته في الباب الثالث من كتابنا: أبناء الصحابة (ص٤٩٧-٥١٨).

* وأمَّا ابنُها عبدُ الرَّحمن، فقد وُلدَ على عَهْدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقُتِلَ هو وأخوهُ معبدُ بإفريقية شهيدَيْن في خلافةِ سيِّدنا عثمانَ ذي النُّورين، سنة (٣٥هـ).

* وابنها معبدُ، وُلدَ على عهدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكنى أبا عبَّاس؛ استعمله سيِّدنا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مكَّة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين وحشَرنا في معيتهم.

* وفي (ذخائرِه) قال المحبُّ الطبريُّ منوهًا إلى أولادِ أُمِّ الفضل: «وكان للعبَّاس عشرةُ بنين: ستَّةٌ من أُمِّ الفضل لبابةَ بنتِ الحارث الهلاليَّةِ: الفَضْلُ، وعبدُ الله، وعبيدُ الله، وقُثمُ، ومعبدُ، وعبدُ الرحمن، وسابعتُهم أُمُّ حبيب شقيقتُهم. وعونُ بن العباس، وتمامُ، وكثيرُ، والحارثُ، وكان تمَّامُ أصغرهم، وكان العباس يحملُه ويقول:

تمُّوا بتمَّامٍ فصاروا عشَرة ... ياربِّ فاجعلْهم كرامًا بَرَره

واجعلْ لهم ذِكرًا وانْمِ الشَّجرة»[1]

* ولأُمِّ حبيب ابنةِ أُمِّ الفضل خَبَرٌ جميلٌ روتْه أُمُّها وذكرت أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى أُمَّ حبيب بنتَ عبَّاس وهي فوقَ الفطيم، فقال: «**لئن بَلَغَتْ بُنيَّةُ العبَّاس هذه وأنا حيٌّ لأَتزوَّجَنَّها**»[2].

* أزفَ وداعُ أُمِّ الفَضْل، فقد عاشتْ زمنًا منَ الخلافةِ الرَّاشدةِ في المدينة النَّبويَّة، وفي أيَّام خلافةِ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبَّتْ نداء ربِّها، وماتَتْ قبل زوجِها، تاركةً أجملَ المآثر التَّربويةِ في عالَمِ الأمومةِ والمكارمِ النِّسوية. فهل تتعلَّمُ بناتُ حواء أصولَ التَّربية من هؤلاءِ الأُمَّهات؟ وهل يقتفين أثرَ أُمِّ الفَضْل في استجلابِ الفضل؟! رضي الله عن أُمِّ الفضل وزوجها وأولادها، ونسألُه جلَّ وعزَّ أنْ يرضى عنَّا، وأنْ يرحمنا، وأنْ يغفرَ لنا، إنَّه سميعٌ مجيب.

---

(١) ذخائر العقبى (ص٣٩٩) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٦٧٤٨)، والطبراني (٢٥/ ٩٢)، وانظر: ذخائر العقبى (ص٤٠٠).

أُمُّ مسْطح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

۞ كانت من صدائقِ أمِّنا عائشةَ، وكانت صافية وفية.

۞ قصَّتُها في كتب الحديث تُظْهرُ إنصافَها وصدْقَها.

۞ اسمُها سلمى، وأخبارُها تفيدُ بنات جنسها.



أُمُّ مِسْطَح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

مِنْ قُدوات المُنصفَات:

* رزقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الوالدةَ علوَّ الهمَّةِ، وحبَاهَا كثيرًا من الفضائلِ، وفي مقدمتها: الصَّفاءُ، والإنصافُ، والعدلُ، والصِّدقُ، وقولُ الحقِّ على أي جنْبِ كان، فالغايةُ هي مرضاةُ الرحمن، وكَبْتُ الشَّيطان.

* مكثتْ هذه السَّيِّدةُ ساعاتٍ وأيامًا في بيتِ النُّبوّة، فتخلَّقَتْ بآدابِ أهلِ البيت، وسلكَتْ سُبُل الهدى والرَّشاد قولًا وعملًا، ولم تعصفْ بها الأمومةُ لِتَصُدَّهَا عن النُّطقِ بما يُرضي العليم الخبير، وكان لها موقفُ جليلٌ مع أُمِّنا الصِّدِّيقة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا آخَذَتْ به ابنَها، ولم تأخُذْها في الله لومةُ اللائمين ممَّن حولَها؛ ولو كانوا أولي قُربى.

* كنتُ منذُ أزمان خَلَتْ أبحثُ عن أخبارِ هذه الوالدةِ التي كَتَبَتْ بمدادِ الإنصافِ أجملَ المآثرِ، وحظيتْ بشرفِ الصُّحبةِ وبركتها، ولكنِّي لمْ أَظْفَرْ -في حدودِ بضاعتي المُزجاة، واطلاعاتي المُتواضعة- بِمَنْ تناوَلَ سيرتَها مفصَّلَةً، أو تعرَّضَ لموضوعِ أمومتها المُنصفةِ النَّادرةِ بين أُمَّهات الدُّنيا، وإذ ذاك توكَّلْتُ على العزيزِ الرحيمِ، وشددتُ رحالَ البحثِ إلى واحاتِ المصادر، حتى توصَّلْتُ إلى هذه السِّيرة التي تَظْهَرُ بين يدي القُراء الذين أحببتُهم في الله عَزَّوَجَلَّ، وأرجو منهم أنْ يخصّوني بالدُّعاء في ظَهْرِ الغيب.

* اشتُهرت هذه الصَّحابيةُ الأمُّ بكُنيتها، وغابَ عن بعضِ الأذهان اسمها، إنَّها: أمُّ مِسْطَح بنتُ أبي رُهْم -واسم أبي رهم: أنيس- بن المطّلب بنِ عبد مناف القرشيّةُ

التَّيميَّةُ بنتُ خالةِ أبي بكر الصِّدِّيق، واسمُ أُمِّ مِسْطح: سَلْمى، مثل اسم خالتها: سلمى بنتُ صخر أُمُّ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين(١).

إضاءاتٌ على أُسرتها:

* من خلال الزِّياراتِ المتكررة لحدائقِ المعرفةِ، رحتُ أداعبُ أغصانَها؛ لتجودَ علينا بأزاهرِ المعلوماتِ عن الصَّحابية أُمِّ مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فعلمتُ أنَّه لابدَّ لي من مصافحةِ أوراقِ الوردِ لأشعرَ بوخزِ شَوكِهِ، لأحصلَ على الرائحةِ الزَّكية، فشمرتُ عن ساعدِ الجدِّ، وجعلتُ استقرئُ أخبارَ أُمَّ مسطح وأحوالها من خلال الكتبِ التي توفَّرت لديَّ، وأنا أرجو اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يوفِّقني لإبراز صورةِ هذه الأم، وغيرها من أُمّهات الصَّحابة بما يليق بمكانتهنَّ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

* وَلدتْ أُمُّ مِسْطح وَلَدًا وبنتًا من زوجِها وابنِ عمِّها أثاثةَ بنِ عباد بن المطّلب ابن عبد مناف، فأمَّا الولدُ فهو مِسْطحٌ(٢) من أهل بدرٍ، وكان فقيرًا ينفقُ عليه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأمَّا البنْتُ فاسمُها: هندُ بنتُ أثاثة(٣) المطلبيَّةُ القرشيَّةُ أختُ مِسْطح، أسلمتْ هندٌ بمكَّةَ، ولها أخبارٌ في ثنايا السِّيرة النَّبوية(٤).

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤٦٥و٤٦٦) بتصرف يسير، وانظر: أسد الغابة (٧/ ٣٨٣)، والإصابة (٨/ ١١٠) و(٨/ ٢٧٩و٢٨٠)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٢١٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨٩)، والمنتظم (٣/ ٢٢٢)، ونسب قريش (ص٩٥) وغيرها كثير.

(٢) مسطحُ بنُ أثاثة بنِ عباد بنِ المطلب، فهو مُطّلبيٌّ من جهةِ أبيه وأمّه، والمسطحُ: عودٌ من أعوادِ الخباء، وهو لقبٌ له، واسمُه عوفٌ. قال الزَّبيديُّ: «مِسْطحُ بنُ أثاثةَ بنِ عباد الصَّحابيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمُّه أمُّ مسطح: مطَّلبية» تاج العروس (٦/ ٤٧٥).

(٣) هندُ بنتُ أثاثة بن عبّادِ بنِ المطّلب بن عبد مناف بن قصي، وأمُّها أمُّ مِسْطح بن أبي رُهْم بن المطلب... أسلمتْ هندُ، وبايعتْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأطعمها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أخيها مِسْطح بن أثاثة بخيبرَ ثلاثينَ وسقًا، واغتربتْ هندُ عند أبي جُنْدب فولدَتْ له ريطة. طبقات ابن سعد (١٠/ ٢١٧).
وجاء عند الواقدي أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى لِمِسْطَح وأختِهِ هندٍ ثلاثين وسقًا. المغازي (ص٦٩٤). بينما ذكر مصعبُ الزُّبيريُّ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطعم مِسْطحًا خمسين وسقًا بخيبر. نسب قريش (ص٩٥).

(٤) أسد الغابة (٧/ ٢٧٧).

* أسلمتْ سلمى أمُّ مسطح، وبايَعَتْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت حسنة الإسلام صادقة، وكانت من أشد الناس على مؤاخذة ابنها مسطح حينما تكلَّم مع أهل الإفك في أمنا الصديقة الطاهرة عائشة[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها، وعن سائر أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمُّ مِسْطَح والبيتُ البكْريُّ:

* تعدُّ أمُّ مسطح وابنُها وابنتُها من ثُلَّة المهاجرين الأوَّلين الذين استجابوا لله ورسولِه، وهاجروا إلى المدينةِ المنوَّرة.

* كان أثاثةُ زوج أُمِّ مسطح قد ماتَ ومسْطحُ صغيرٌ، فكفِلَهُ سيّدنا أبو بكر الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقرابةِ أُمِّ مِسْطح منه، وكان يَصِلُ مِسْطحًا بهذه القرابةِ والرَّحم، وكانت أمُّ مسطح وابنها يكونان مع سيِّدنا أبي بكر ومع أهلِه، وكان ينفقُ عليهما.

* كانت أمُّنا عائشةُ تُنادي أمَّ مسطح في بعض الأحيان فتقولُ: «يا أُمّ» لِما تَراهُ من إخلاصِها ووفائِها، وصلاحِها ودينها، وكانت تستصحبُها حينما تخرجُ من بيتها لقضاءِ بعض أمورها[2]، فتؤنسُها أمُّ مسطح، وتخدمُها، وتقومُ ببعض شؤونها.

* وحينما افترى المنافقون حديثَ الإفك[3]، ظهرتْ أمُّ مِسْطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لتؤديَ النُّصحَ لله، ولرسولِه، وللبيتِ البكْريِّ، ولم تَفْتلْ عاطفةُ الأمومةِ لسانَها ولا موقفَها،

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٢١٧) بتصرف.

(٢) جاء هذا الأمر بأكثر من موضع في الصحيحين، فقد قالت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر؛ خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي...» البخاري برقم (٤١٤١)، ومسلم برقم (٢٧٧) واللفظ له.

وهناك مصادر أخرى كثيرة ذكرت مصاحبة عائشة لأم مسطح في خروجها من بيتها.

(٣) **الإفْكُ**: هو أبلغُ ما يكونُ من الكذب والافتراء، وأصلُ الإفْكِ القَلْب، ومنه ﴿ **وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ** ﴾ [النجم:٥٣]، وهي قُرى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، سمّيت بذلك لانقلابِ موازينها، حيث صار فيها الشَّرُّ خيرًا، والخيرُ شرًّا، =

ولم تصفحْ عن ابنها الذي استنزلَه الشَّيطانُ، فتحدَّثَ مع غيرِهِ عن أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

أتَسُبِّينَ رجُلًا شَهِدَ بدرًا؟!

* إنَّ حديثَ الإفكِ مسطورٌ في الكتابِ والسُّنَّةِ والسِّيرةِ والتَّراجمِ والتَّواريخِ وغيرِها، وسأقتطفُ ما يتعلَّقُ بحياةِ الصَّحابيةِ أُمِّ مِسْطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ودفاعها عن أُمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإدانة ابنها مسطح دون مواربةٍ أو مواراة.

* يُستخلَصُ من الرِّوايات والأحاديثِ المتعددةِ، ويُسْتَجْلَى ما روتْهُ أُمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «خرجتُ مع أُمِّ مِسْطح، فقلتُ: يا أُمَّ مِسْطح، خُذي الإداوةَ، فاملئيها ماءً، فاذهبي بنا إلى المَناصع[1]، فعثَرتْ أُمُّ مِسْطح في مرطها، فقالت: تعسَ مِسْطحٌ، فتعجَّبتُ، وقلتُ لها: بئسَ ما قلتِ، أتسُبِّينَ رجلًا شهدَ بدرًا؟!! أيْ أُمُّ، أَتَسُبِّين ابنك[2]،

=والمنكرُ معروفًا، والمعروفُ منكرًا، فأهلكَ اللهُ أهلها، ونجَّى لُوطًا ومَنْ آمنَ معه، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم:٥٣-٥٤]، وقال أيضًا: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود:٨٢]، قلبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تلكَ القرى الظَّالمة، فجعلَ عاليها سافلَها، فسمّيتْ بالمؤتكفة من الإفك: وهو القَلْبُ، وصرفُ الشَّيءِ عن وجهه، والحديثُ الإفكُ من الحديثِ المقلوبِ، ووصفَ الله عَزَّوَجَلَّ الكلامَ الكذبَ الذي رُميَتْ به أُمُّنا عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالإفْك؛ لأنَّ المشهورَ عنها خلافَ ذلك، فهي الطاهرةُ العفيفةُ، الحَصَانُ الرَّزانُ التَّقيةُ النَّقيةُ، وفي لفظ المجيء ما يدلُّ على أنَّهم اختلقوهُ وأظهروهُ من عند أنفسهم من غير أنْ يكونَ له أصلٌ. واللام في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور:١١]. لام العهد الذِّهني، أي: الإفْكُ المعهودُ في الأذهانِ، ويجوزُ كون اللام للجنس، فيفيدُ القصر، كأنَّه لا إفك إلا ذلك الإفك، وفي هذا إشارة إلى بشاعتهِ وشناعتهِ، وفظاعته وكذبه، وبطلانه.

(١) **المناصعُ**: أماكنُ معروفةٌ من ناحية البقيع لقضاء الحاجة. فتح الباري (١/ ٤٢٩).

(٢) جاء في روايةٍ أخرى عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّها لما أرادتْ أنْ تخرجَ إلى الخلاء رافقَتْها أمُّ مسطح، ومعها السَّطلُ، وفيه ماءٌ، قالت عائشة: «... فوقع السَّطلُ منها، فقالت: تعسَ مسطح، قالت لها عائشة: سبحانَ الله، تسبّين رجلًا من أهل بدر وهو ابنُك؟!! قالت لها أمُّ مسطح: إنَّه سالَ بك السَّيل وأنتِ لا تدرين! وأخبرتها بالخبر...» الدُّر المنثور للسّيوطي (١٠/ ٦٧٧و٦٧٨) بتصرف يسير.

وهو من المهاجرين[١] الأوَّلين، وهو صاحبُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فكرَّرتْ أُمُّ مِسْطح ذلك، فانتهَرتْها عائشةُ، فقالتْ أُمُّ مسْطح: والله ما أسبُّه إلا فيكِ، ومن أجْلِكِ، وإنَّكِ لغافلةٌ عمَّا يقولُ النَّاسُ فيكِ، أشهدُ أنَّكِ من الغَافلاتِ المُؤمناتِ. فقلتُ: وما قال يا أُمُّ؟ قالت: إنَّ مِسْطحًا وفلانًا وفلانةً يجتمعون في بيتِ عبدِ الله بنِ أُبيّ يتحدَّثُون عنكِ، وعن صفوانَ يرمونَك به، وبَقَرَتْ -فتحَتْ وكشَفَتْ- لي الحديث، وأخبرتْني بما خاضَ فيه النَّاس، فأخذتني الحُمّى، وازددتُ مرضًا على مرض»[٢].

* بلغَ الخبرُ أمّنا عائشةَ من أُمِّ مسطح أوَّلًا، ثم ذهبتْ إلى أمها لتستبينَ الأمرَ منها، فأخبرتْها فيه مجملًا، ثم دخلتْ عليها امرأةٌ من الأنصار فأخبرتها بمثل ذلك في حضرة أمِّها، فسألَتْ: هل سمعه أبوها، أو زوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ترجيًا منها ألا يكونا سمعا ذلك ليكون أسهل عليها[٣]، فغشي عليها. ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ أنزل براءتها من فوق

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مسطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مسطح بن أثاثة... المطلبي، المهاجري، البدري، المذكور في قصة الإفك...» سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٨).

(٢) انظر المصادر الآتية مع الجمع بينها: فتح الباري في مواضع متعددة ومنها حديث رقم (٤٧٥٠)، ومعجم الطبراني (٢٣/ ٤٩-١٣٦) حيث أفاض الطبراني في ذكر روايات عديدة، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أنَّ بعض هذا يخالف ما في الصحيح» مجمع الزوائد (٩/ ٢٣٦)، وانظر: تاريخ الإسلام للذهبي المغازي (ص٢٦٩-٢٨)، والبداية والنهاية (٦/ ١٩٢-١٩٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٧و١٨)، وعشرة النساء (ص٧٠-٨٨).

(٣) أرغى أهلُ الأهواءِ في حديثِ الإفك، وجاءَ المستشرقون منَ اليهودِ والنَّصارى، وأَزْبَدوا فيهِ، وفعلُوا مثلما فعلَ المنافقون الأوَّلون، بل إنَّ مَن اتَّهموها به، وهو صفوانُ بنُ المعطل كان حَصُورًا لم ينكشفْ قطُّ على النِّساء، وكلُّ ذلك هو منْ بابِ الحربِ النَّفسيَّةِ، والإشاعاتِ التي حملَ رايتها المنافقون ومن ورائهم اليهودُ، ليكيدوا الإسلامَ، ونبيَّ الإسلام، وأهلَ بيتِ النُّبوة، وجعلوا يروّجون الإشاعاتِ السَّامَّةَ الهدّامةَ ليفتِّتوا المجتمعَ المدنيَّ في عَصْر النُّبوة، وكان مصنعُ الإشاعات في بيتِ ابنِ سلول المنافق الذي كان يُغَذِّيه يهودُ المدينة.

ومن الواضح أنَّ مجتمعَ المدينة الإسلاميَّ لم يتقبّلْ هذه الإشاعات بدون تمحيص، وبخاصّةٍ إذا تناولَتْ بيتَ النُّبوة ونساءَه الطَّاهرات، ويمكنُ أنْ نقولَ بأنَّ هذه الإشاعاتِ امتحانٌ للمجتمع، وقد رفضَ هذه الإشاعات الكبراءُ، والخدمُ، والعبيدُ، وكافَّةُ الأفراد الذين عَمَرَ الإيمانُ قلوبَهم، وخسرَ المنافقون =

سبع سماوات، وذلك في سورة النور، وهذه الآيات تتلى في المحاريب إلى ما يشاء الله عَزَّوَجَلَّ.

* وسنعيشُ مع هذه الهمسَات الأدبيةِ التي تصوِّرُ حالة أُمِّنا عائشة، وأُمِّ مِسْطحٍ، وبعضِ مَنْ خاضَ في الإفْك:

هَـذي البَريئـةُ لا نَــزَالُ لِقَولها مُتَسمِّعين
قالتْ ظللتُ مريضةً في بيتِ أهلي الصَّامتين
قَـدْ أَخبرتني أُمُّ مِسْطح عن مقال الآفكين
فصُعقْتُ ممّا قد سمعْتُ وصِـرْتُ أبكي في أنين
فسألتُ أمّـي كيفَ هذا كُنْتِ عنّي تكتمين
عُـرِفَ الذين تَـقَـوَّلُوا تلكَ المقالةِ عامدين
رأسُ النِّفاق هو قد كـانَ رأْسَ المُفترين
مع بنتِ جحشٍ ثم مِسْطح بعده كمردِّدين
حسَّان أيضًا كان معهم ردَّدَ القولَ المُشين[1]

أَلا تحبُّون أنْ يغفرَ اللهُ لكم:

* برهنَتْ أُمُّ مِسْطح على صدقها مع الله عَزَّوَجَلَّ، ومع البيتِ النَّبويِّ، والبيتِ البكريِّ، وكان موقفُها واضحًا جليًّا من أهل الإفكِ الذين رموا أُمِّنا عائشةَ بالبُهتان.

=ومَنْ وراءهم خُسرانًا مبينًا، وربحَ المسلمون، وصنعَتْ هذه الأحداثُ العجائبَ، وكشفتْ عن مَعدنِ أُمِّنا عائشةَ، ومعدن كثير من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

(١) تغريدة السيرة النبوية (٣/ ٢٥٦)، وقوله: «رموا»: اتهموا . و«بنت جحش»: هي حمنة بنت جحش الأسدية. و«حسان»: هو حسان بن ثابت.

* أمَّا ابنُها مِسْطح، فكان سيِّدنا أبو بكر ينفقُ عليه(١)، ولما نزلتْ براءةُ عائشة، قطعَ عنه النَّفقَة بعد أنْ تحقَّقَ فيما وقعَ منه، وحلفَ ألا ينفعَ مِسْطحًا بنافعةٍ أبدًا، وقالَ له في رميه عائشة -وكان مسطحٌ يُدعى عوفًا-:

يا عَوفُ ويحكَ هلَّا قُلْتَ عارِفةً ... مِنَ الكلامِ ولمْ تَتبعْ به طَبِعَا

أَوْ أدركَتْكَ حُميّا مَعْشَرٍ أُنفٍ ... ولم تكُنْ قَاطِعًا يا عوفُ مُنْقطعا

أَمَا حزنْتَ مِنَ الأَقْوامِ إذْ حَسَدُوا ... مِنْ أنْ تَقُولَ وقد عاينْتَه قَرَعا

لمَّا رميْتَ حَصَانًا غيرَ مُقْرفةٍ ... أمينةَ الجيبِ لم تَعْلَمْ بهِ خَضَعا

فيمن رمَاها وكُنتم معشرًا أُفُكًا ... من سيئ القَول في اللفظِ الخنا سُرُعا

فأنزلَ اللهُ قرآنًا يُبرِّئُها ... وبين عوفٍ وبين اللهِ ما صنَعَا

فإنْ أَعِشْ أَجزِ عوفًا عن مقالتِهِ ... شرَّ الجزاءِ بما ألفيته طَبَعا!!(٢)

---

(١) ذُكِرَ في السِّيرةِ النبويةِ أنَّه: «لما نزلَ القرآنُ في براءةِ عائشةَ، وفيمن قالَ لها ما قال، قالَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان ينفقُ على مِسْطح لقرابتهِ وحاجتهِ-: والله لا أنفقُ على مِسْطح شيئًا أبدًا، ولا أنفعُهُ بنفع أبدًا، بعد الذي قالَ لعائشة، وأدخلَ علينا، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢]، فقالَ أبو بكر عليه سحائبُ الرضوان: بلى والله، إنِّي لأحبُّ أنْ يغفرَ اللهُ لي، فَرجَّعَ إلى مسطح نفقَتَه التي كان ينفقُ عليه، وقال: والله لا أنزعُها منه أبدًا» السيرة النبوية (٢/ ٣٠٣و٣٠٤) بتصرف يسير. وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ هذه الآية نزلتْ في قصَّةِ أبي بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسطحِ بنِ أثاثة، وذلك أنَّه كان ابن خالته، وكان من المهاجرين البدريين المساكين... وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفق عليه لمسكنتِهِ وقرابتِهِ، فلما وقع أمْرُ الإفك، وقال فيه مسطح ما قال، حلفَ أبو بكر ألا ينفق عليه، ولا ينفعَه بنافعةٍ أبدًا، فجاء مسطحُ فاعتذرَ، وقال: إنّما كنتُ أغشى مجلس حسَّان، فأسمعُ ولا أقول، فقال لها أبو بكر: لقد ضحكتَ وشاركتَ فيما قيل، ومرَّ على يمينهِ، فنزلت الآية...» تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٩) بتحقيق د. عبد الله التركي.

(٢) انظر: ديوان أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٥٩و٦٠) حقَّقه وشرحَه محمد شفيق البيطار، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٣م، وانظر: المعجم الكبير (٢٣/ ١١٥و١١٦)، وانظر: فتح الباري (٢/ ٤٣٨و٤٣٩)، ومعنى قوله: «عارفة»: المعروف. و«طبعا»: الدّنيءُ الخلقُ، وأراد به ابنَ سلول رأسَ المنافقين. و«حميّا»: شدة الغضب. و«أنف»: الذي يأنف أن يُضام، و«الحَصَان»: العفيفة، =

* منَ المؤكَّدِ أنَّ هذه الأبياتِ العينيَّةَ ركيلةً مبتذلةً مصنوعةً على لسانِ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِتُوافقَ قصَّةَ مِسْطحٍ وما شابه ذلك، فأبو بكر ليسَ شاعرًا، قال الزِّياديُّ: «ولا يُحفَظُ لأبي بكْرٍ شعرٌ، ولا لِعُمرَ شعْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[1].

* نَعَمْ أقسمَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألَّا ينفقَ على مسْطحٍ، ولكنَّه عفا وصفحَ، وأحبَّ أنْ يغفرَ اللهُ له، لكنَّه لم ينظِمْ شِعرًا في ذلك، ولنقرأ الآن هذه اللمحةَ الأدبيةَ التي ترسمُ ما ذكرناه:

فأَقْسَمَ الصِّدِّيقُ ألَّا ينفقا ... عليهِ لما مَالأَ المُنَافِقَا

فأَنْزلَ اللهُ العَليْ «لا يأْتَلِ» ... أصحاب بذلِ المالِ والتَّفضُّل

أنْ ينفقُوا على قرابةٍ لهم ... عفوًا وصَفْحًا ذاكَ غُفرانًا لهم

قالَ بلى إنِّي أحبُّ المغْفِرة ... وعادَ يعطيهِ الهِبَاتْ الوافرة[2]

* انجلتْ هذه المحنةُ عن منحةٍ ربَّانيةٍ لأمِّنا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي جَلَتْ عن معدنها النَّفيس، وكانت أوَّل امرأةٍ أُنْزِلَ عُذْرها من السَّماء، فرضي الله عنها وأرضاها، ورضي اللهُ عن نساء أهل البيت أجمعين.

=و«مقرفة»: أصيلة، و«أمينة الجيب»: عفيفة طاهرة. و«خضعا»: الحديث الليّن. و«الخَنَا»: اللفظ الفاحش. و«طبعا»: دنَّس وشان.

قلت: «هذا الشِّعرُ المنسوب لسيدناُ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شعرٌ ركيكٌ ليس فيه رائحة الشَّاعرية، وسيدنا أبو بكر لم يقُلْ شعرًا. وذكرتْ أمنا عائشة بأنَّ أباها لا يقرضُ الشِّعر. ولعلَّه كان يحفظُ بعضَ الأشعار ويتذوقها، ومن الملاحظ أنَّ الأسرةَ البكريةَ المباركة أسرةٌ تتسمُ بالأدب، فأمُّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تروي كثيرًا من الشّعر، وشقيقُها عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر له أشعارٌ جميلة، وكذلك أخوها عبدُ الله بنُ أبي بكر كان يقول الشِّعر، والله تعالى أجلُّ وأعلمُ».

(١) المُجالسةُ وجواهرُ العِلْم برقم (٢٨٥٢).

(٢) الروضة الأنيقة في نصرة العفيفة الصديقة (ص٧٥و٧٦) ليحيى بن عطية الصامولي الأزهري، دار التقوى، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

حصَافَةُ أُمِّ مِسْطح ونُبْلُها:

* أسفرتْ حادثةُ الإفكِ عن صفاء أُمِّ مِسْطح، وفضيلتِها، فهي لَمْ تُحابِ ولدَهَا، ولم تَغُضَّ عنه الطَّرْفَ، ولمْ تَعْبَثْ بها عاطفةُ الأمومةِ، وإنَّما تعمَّدَتْ سَبَّه أمامَ عائشةَ وانتقادَهُ.

* كانتْ أمُّ مسطح ترافقُ أُمَّ المؤمنين عائشةَ، وتؤنسُها، وتخدمُها وتدفعُ عنها الأَذَى، وقد ربَّتِ ابنتَها هندًا على مكارمِ الأعمالِ، فكانت هندٌ ممَّنْ نافحَ عن الإسلامِ وأهلِهِ بالقولِ والفعل[١].

* ولما اشتدَّتْ شوكةُ الإفكِ، برزتْ أُمُّ مِسْطح لتضعَ النّقاطَ على الحروفِ؛ واهتبلتِ الفرصةَ المناسبةَ لإبلاغِ أُمِّنا عائشةَ، ويبدو لي -والله أعلم- أنَّ أُمَّ مِسْطح كانت ذكيةً نبيهةً، فقد تعمَّدَتْ أنْ تتعثَّر[٢] في مِرطها كي تسبَّ ابنَها، ومن ثم تتوصَّلَ إلى إعلامِ عائشة بما قيلَ فيها، وهي غافلةٌ عما يجري حولَها، ويُحْتَملُ أنْ يكونَ ذلك الأمرُ اتِّفاقًا؛ قد أجراهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ على لسانِ أُمِّ مِسْطح، لتستيقظَ عائشةُ من غفْلِتها عمَّا قيل فيها.

* وممَّا يُسَطَّرُ في صحائفِ الفضلِ والنُّبل لأُمِّ مِسْطح؛ أنَّها كانت تعلمُ أنَّ أبا بكر يحسنُ إلى ابنها، ويكرمُه، وربما يقطعُ عنه معروفَه[٣]، ولكنَّ مرضاةَ الله فوقَ كُلِّ شيءٍ، وفوقَ كلِّ عاطفة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٢٨٩) بتصرف يسير جدًّا.

(٢) قال أحمد محرم في حادثة تعثُّر أُمِّ مِسْطح ونبلها وحصافتها وعدم محاباة ابنها:

فَضَحَتْه عَثْرةٌ مِنْ أُمِّهِ ... فانْظُري كيدَ ذَويكِ الأَقْربين

لا تلُوميها إذا ما غَضِبَتْ ... إنَّها تَعْلَمُ ما لا تعلمين

ديوان مجد الإسلام (ص١٤٣).

(٣) من نفحاتِ الأدبِ وما نظمه أحمد محرم في قصيدةٍ تزيدُ عن (٨٠ بيتًا) فصَّل خلالها قصَّة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومطلعها:

سيِّد الرُّسل وأُمّ المؤمنين ... بشَّر الأبطالَ بالنَّصر المُبين =

* وتظهرُ كثيرٌ من فضائلِ أُمِّ مِسْطح من خلالِ سيرتها، فقد كانت تلزمُ السُّنَّة في موضوعِ اللباس، فقد اتَّضح لنا أنَّها تلبسُ الطَّويلَ من الثِّياب؛ لأنَّها عثَرتْ في مِرطها، فلو كان ثوبُها قصيرًا لم تكنْ لِتعثرَ فيه أكثرَ من مرَّة في خروجِها مع أُمِّنا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وبالجملةِ فقد كان هدفُ أُمِّ مِسْطح مرضاةَ الله عَزَّوَجَلَّ قبل كُلِّ شيء، ثم مرضاة رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهلِ بيتِهِ الأطهار.

* وما أجملَ أنْ نسمعَ ونستمتعَ بهذه الرِّياض الأدبيةِ المونقة التي تعبِّرُ بالكلماتِ عن حالِ أُمِّ مِسْطح مع أمِّنا عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذه النَّفحةُ الأنيقةُ أُجريت على لسانِ أُمِّنا عائشة:

خَرجَتُ لَيلةً وأمّ مِسْطح	إلى الخَلاء في صَعيدٍ أَفْيَح
لكنَّها تعثَّرَتْ في مِرْطِها	ثلاثةُ وهي تُتْعِسُ ابنَها
فقُلْتُ أيْ أمِّ تسبِّينَ ابنَك	قالتْ أسبُّه لما في شَأْنِكِ
فأَخْبَرتْ بما جَرى من إفْكِهم	فجاءَني الدَّاء لهذهِ التُّهمِ
وسَالَ دمعي لا يجفُّ أبدا	ولا نعاسٌ قطُّ في عَيني بدا
تقولُ لا واللهِ ما ظَننْتُ	أنْ ينزلَ القُرآن بَلْ رجَوتُ
حتَّى أتاهُ الوحيُ والإفكُ انْخَرقْ	وعمَّه مثل الجُمان منْ عَرق
هذي براءةٌ منَ اللهِ العلي	تُتْلى مِرَارًا في الكتابِ المنزل[1]

= ومنها ما يتعلَّق بأبي بكر ومسْطح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أَمْسَكَ الصِّديقُ من معروفِهِ	ينكرُ الغَدْرَ وينهى الغَادرين
وطوى عن مسْطح نعمَتَهُ	ليرى حقَّ الكرامِ المُنعمين
عالَهُ الدَّهرُ فلمَّا خانَه	راحَ يجزيهِ جزاءَ الخائنين
سنَّة العدلِ قَضَاها مَنْ قضى	سنة الرّحمة بينَ الرَّاحمين
نزلَ الذّكْرُ بها قدسيّة	فعفا النَّاقم وارتاحَ الضَّنين

ديوان مجد الإسلام (ص١٤٠-١٤٦) بانتقاء واختيار.

(١) الروضة الأنيقة في نصرة العفيفة الصديقة (ص٦٧-٧٢) بانتقاء واختصار.

مِنْ نَفَحَاتِ أَهْلِ بَدْرٍ:

* ينبغي علينا تأويلُ موقفِ مسْطح، وتبرئتُه من الإفصاح بالإفكِ، فهذا صحابيٌّ بدريٌّ جليلُ القَدْر، وقد ذُكِرَ مع مَنْ سُمِّي من أهل الإفْك، لكنْ لم يثبُتْ عنه التَّصريحُ أو الإفصاحُ الموجبُ لحدِّ الفِريةِ والقذفِ، ولعلَّ مِسْطحًا كان يسمعُ، ويشاركُ في الكلام من غيرِ تصريح، ويغشى مجالسَ حسَّان بنِ ثابت، فيسمعُ ولا يقولُ شيئًا.

* نقلَ القرطبيُّ عن القُشيريِّ قوله: «فأمَّا مسطحُ فلم يثبتْ عنه قَذْفٌ صريحٌ، ولكنَّه كان يسمعُ ويشيعُ من غيرِ تصريح». والذي كان يُقالُ في مجالسِ حسَّان إنَّما هو نوعٌ من السَّمَر والتَّضاحُكِ والتَّغامز بالأحداث التي تشغلُ المجتمعَ، ويشهدُ لذلك شعْرُ حسَّانَ أنْ يكونَ قد قالَ شيئًا، وقد برّأته عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الإفصاح والتَّصريح[1]. ولم يثبُتْ أنَّ أحدًا من خُلَّصِ المؤمنين قد صرَّحَ بالإفْكِ.

* ومسطحٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منْ أهل بدرٍ، وللبدريين فضيلةٌ ناصعةٌ في قولِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم: «**إنَّ الله قال لهم: اعملُوا ما شئتم فقد غفَرْتُ لكم**» والرَّاجحُ أنَّ المرادَ بذلك أنَّ الذُّنوبَ تقعُ منهم، لكنَّها مقرونةٌ بالمغفرةِ تفضيلًا لهم على غيرهم، بسببِ ذلك المشهدِ العظيم[2].

* قال ابنُ أبي جمرةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ أهلَ بدرٍ لم تكنْ عصمتُهم بألَّا يقعُوا في المخالفَةِ خلافًا لمن ذَهبَ لذلك، فحملَ قولَه عَلَيْهِ السَّلَامُ إخبارًا عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ أنَّه قال: يا أهلَ بدرٍ اعملُوا ما شئْتُم مغفورٌ لكم، أنَّهم محفوظون من الوقُوع في الذُّنوب، وإنْ أرادوها لا يقدرون عليها للحْفظِ لهم، وما نحنُ بسبيله يَرُدُّ ذلك عليه؛ لأنَّ مِسْطحًا من أهلِ بدر، وها هو قد وقعَ، فعلى هذا قد وقع، فلم يبقَ أنْ يكونَ قوله اعملوا ما شئتم مغفورًا لكم

(١) محمد رسول الله (٤/ ١٣٢و١٣٣) بتصرف.

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٨٠) بتصرف.

إلَّا على العُموم لا على الخصوص، فيكون معنى ذلك أنَّهم منَ المغفورِ لهم ما داموا على الحالِ المُرضي، وإنْ وقعَ بعضُهم في الذُّنوب؛ فيجعلُ له سببًا للمغفرة من إيقاعِ حدود، أو غيرها، مثل التَّوبة التي تجبُّ ما قبلَها، والحدودُ كفَّارةٌ للذّنوب»[١].

* وأفاد الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله عن سادتنا أهل بدر: «إياك يا جريُّ -يا جريءُ- أن تنظر إلى هذا البدري شزرًا لهفوة بدت منه، فإنها قد غُفِرَتْ، وهو من أهل الجنة، وإيَّاكَ يا رافضيُّ أن تُلوِّحَ بقَذْفِ أم المؤمنين بعد نزولِ النَّصِّ في براءتها، فَتَجِبُ لك النَّار»[٢].

مَعَ الذين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

* ينبغي على المُسلمِ الصَّادقِ أنْ يطالعَ سِيَرَ الصَّحابةِ -نساءً ورجالًا- وأنْ يترضَّى عنهم، ويدعو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يحشرَهُ معهم، وأنْ يوفِّقَه لاتِّباعِ نهجِهم ومنهاجِهم.

* وأُمُّ مِسْطح وابنُها من هؤلاءِ المرضيين، فأُمُّ مِسْطح صحابيةٌ ثبَتَ ذكرُهَا في الصَّحيحَيْن، وجاءَ الثَّناءُ عليها في مواضعَ من حديثِ أُمِّنا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

* ويظهرُ أنَّ أمَّ مسطح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ظلتْ قريبةً من البيتِ النَّبويِّ، والبيتِ البكري، إلى أنْ دَعَاها داعي المنون، إلى مَنْ أمرهُ بينَ الكافِ والنُّون، وأغلبُ الظَّنِّ أنَّها تُوفيت في المدينةِ النَّبويَّةِ في عصرِ الخلافة الرَّاشدة، والله تعالى أعلم. أمَّا ابنُها مسطحٌ، فقد وافتْهُ المنيةُ سنة (٣٤هـ) في خلافةِ سيِّدنا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. فرضيَ الله عن أُمِّ مسطح وابنها، وعن أُمَّهات الصَّحابة أجمعين.

* وتعالوا أيُّها الأحباب نُردِّدُ هذا الدُّعاءَ الجميلَ، وهذه المناجاة المُنعشة ونحنُ نودِّعُ سيرةَ أُمِّ مسطح: «اللهمَّ اجعلنا ممَّن رزقتَهم حُبَّ نبيِّكَ، الصَّفوةِ من خلقِكَ، محمّدٍ

---

(١) بهجة النفوس (٣/ ٧٤) بتصرف يسير جدًا، لابن جمرة الأندلسي، مطبعة الصدق، القاهرة، ط١، ١٣٥٣هـ.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٨)، واقرأ مكانة أهل بدر في فتح الباري (٧/ ٣٠٥و٣٠٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحبَّ آلِهِ، وأزواجِهِ، وأصحابِهِ، وأنصارِهِ، وعرَّفْتَهم قَدْرَ فضلهم، وما من المآثر مَنْحَتهم، واعصمْنَا من أنْ ننسبَ إليهم، أو إلى أحدٍ منهم ما لا يليقُ بهم عصمةً باطنةً وظاهرةً، واهْدِنا طريقَ الرَّشاد بفضلكَ، واحملنا على مركبِ السَّلامة في الدِّين والدُّنيا والآخرة بكرمكَ، وعافِنَا منَ الفِتَن والمِحَنِ برحمتك، وامنعْنَا بعزِّك أنْ يُجهلَ علينا، أو نجهلَ على أحدٍ منْ خلقِك، واجعلنا ممَّن رحمته في الدَّارَيْن بلا محنة، إنَّكَ المفضالُ الجوادُ، وصلى الله على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وسلِّم تسليمًا»[1].



(١) بهجة النفوس (٣/ ٧٥).

أُمُّ معاوية مَلك الإسلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

- صحابيةٌ حصيفةٌ محبّةٌ لمعالي الأمور، وابنُها مَلِكُ الإسلام.
- كانت من أحسن نساءِ قريش وأعقلهنَّ.
- أخبارُها كثيرةٌ، وبعضُها غيرُ صحيح، ماتَتْ سنة (١٤هـ).



أُمُّ معاويــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

والدةُ مَلِكِ الإسلام:

* إذا ذُكِرَتْ شهيراتُ النِّساء في الدُّنيا، فإنَّ هذه المرأةَ من أشهرهنَّ في دُنيا الأمومةِ والأنوثةِ والصِّيانة، فهي ممن شَرُفَ بالصُّحبةِ النَّبويَّة، وممَّن وَعَدَ اللهُ الحسنى.

* زِدْ على ذلك أنَّها أمٌّ عظيمةُ المنزلةِ سَهِرَ الخَلْقُ جرَّاها واختصموا، وشرَّقُوا وغرَّبوا، ومدحُوا وذمُّوا، وطاروا وقعدوا، وأصحروا وأنجدوا، وهي مع هذا وذلك: «من أحسنِ نساء قريش وأعقلهنَّ»[١].

* بلغتْ هذه الأمُّ الجوزاءَ في الشُّهرة وعلوِّ الهمَّةِ، وحسْنِ الأحدوثةِ، إنَّها السَّيِّدةُ هند[٢] بنتُ شيخ الجاهلية عتبةَ بنِ عبد شمس بن عبد منافِ بن قُصي بن كلاب القرشيَّةُ العبشميَّةُ المكَّيةُ أمُّ ملك الإسلام معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وقد سردَ ابنُ حبيب أُمَّهات هند[٣] إلى الأمِّ الثَّامنة وتُدعى: قيلةُ بنتُ حذافةَ بن جمح بن عمرو[٤].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين (ص٣٩٨).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٧)، وأسد الغابة (٧/ ٢٨١)، والإصابة (٨/ ٢٠٥و٢٠٦)، والمصباح المضي (ص١١٨و١١٩)، وعشرات بل مئات المصادر...

(٣) **هند**: اسمٌ للمئة من الإبل خاصة، وهند: اسم امرأة يصرف ولا يصرف، يجمع جمع تكسير على هنود، وعلى جمع السلامة: هندات، وقيل: أهند، وأهناد، وهنود. وهند أيضًا اسم رجل، وهند: من أسماء الرجال والنساء، وهند: اسم بلاد، والنسبة هندي، وذكر ابن الأثير أن (١٦ صحابية) اسمهنَّ هند، والله أعلم. تاج العروس (٩/ ٣٤٨-٣٥٢)، ولسان العرب مادة: هند، مع الجمع والتصرف. وانظر: الاشتقاق (ص٤٠).

(٤) المحبر لابن حبيب (ص١٩).

* إنَّ الكلامَ عن هذه الأمِّ نديُّ النَّسَمات، شجيُّ الهمسَات، فهي إحدى عقائل قريش أدبًا وعلمًا، ورأيًا وعقلًا، ولها روايةٌ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وروى عنها معاويةُ ابنُها، وأمُّ المؤمنين عائشة[1] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

لَتَلِدِنَّ مَلِكًا:

* رزقَ اللهُ هندًا فهمًا وحصافةً، وحسنَ درايةٍ للأمور، فكانت منَ اللاتي تركْنَ آثارًا خالدةً في حياةِ ابنها في خير القرون.

* جرَّرَ الآجريُّ أذيالَ حصافةِ هند ونباهتها وأنفتها من خلالِ ما رواهُ بسندٍ رفعه إلى حميد بنِ مُنْهِب، حيث قال ما تحريرُهُ وفائدتهُ: «كانت هندُ عند الفاكهِ بنِ المغيرة المخزوميّ، وكان من فتيان قريش، وله بيتٌ للضِّيافة يغشاهُ النَّاسُ من غير إذْنٍ، فخلا ذلك البيتُ يومًا، فاضطجعَ فيه وهند وقتَ القائلةِ!!! ثم خرجَ لبعضِ حاجاته، فأقبلَ رجلٌ ودخلَ البيت، فلمَّا رأى هندًا ولّى خارجًا، وأبصرَهُ الفاكهُ، فأقبلَ إلى هند، وضربَها برجلِهِ، وقال لها: مَنْ هذا الذي كان عندكِ؟ قالت: ما رأيتُ أحدًا، ولا انتبهتُ حتى أنبهتني، فقال لها: الحقي بأبيكِ، وتكلَّمَ فيها النَّاسُ، فقال لها أبوها: يا بُنيةُ، إنَّ النَّاس قد أكثروا فيكِ، فأنبئيني نبأَكِ حتى أعرفَ، فحلفتْ له: إنَّه لكاذبٌ عليها، فقال عتبةُ للفاكه: يا هذا؛ إنَّك رميتَ هندًا بأمرٍ عظيم، فحاكمني إلى بعضِ كهَّان اليمن، فأجابَهُ، وخرجَ الفاكهُ في جماعةٍ من بني مخزوم، وخرجَ عتبةُ في جماعةٍ من بني عبد مناف، وخرجُوا بهندٍ ونسوةٍ معها، فلمَّا شارفوا اليمنَ، تغيَّرَ حالُ هند، وقالت لأبيها: أعرفُ أنَّكم تأتونَ بشَرًا يخطئُ ويصيبُ، ولا آمنُهُ أنْ يتَّهمني، فقال لها: سوف أختبرهُ، فلما وردوا على الكاهنِ اختَبرهُ، فوجَدَهُ صادقًا، فقال: أيُّها الكاهنُ، انظرْ في أمرِ هؤلاء النِّسوة، فجعلَ يدنو من إحداهنَّ، فيضربُ كتفَها ويقولُ: انهضي، حتَّى دنا من هندٍ، فضربَ كتفها، وقال لها:

(١) تاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٦٦و١٦٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٧) وغيرهما كثير.

انهضي غيرَ رسحاء ولا زانية، ولتلدنَّ ملكًا يُقال له معاوية!!! فوثبَ إليها الفاكه[(١)] فأخذَ بيدها، فنترتْ يدها من يده، وقالت: إليكَ عنّي، فوالله لأحرصنَّ على أنْ يكونَ ذلك من غيرك!!! فتزوَّجها أبو سفيان، فجاءت بمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»[(٢)]!!!

* قال ابنُ بدرون عن هند ومعاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «... وكان معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمَّى بالنَّاصر لحقِّ الله على روايةِ مَنْ روى أنَّ بني أميَّةَ كان لهم ألقابٌ سلطانيةٌ كَبني العبَّاس، وذُكِرَ أنَّ هندًا أنذرتْ به قبل مولدِهِ بمدَّةٍ، وقيل لها: إنَّك تلدين ملكًا يُقالُ له معاوية»[(٣)]!!!

---

(١) ذكر ابن حبيب بعض المعلومات عن السيدة هند رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال: «تزوجت هند الفاكه بن المغيرة، قتل عنها بالغميصاء، ثم حفص بن المغيرة، مات، ثم أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية» المحبر (ص٤٣٧) بتصرف يسير.

(٢) الشريعة للآجري (ص٢٤٧١-٢٤٧٣) بتصرف يسير، وانظر: المعجم الكبير (٢٥/ ٦٩و٧٠) وفيه مجهول وفيه أوهام، ومجمع الزوائد (٩/ ٢٦٥)، والمصباح المضي (ص١٢٦-١٢٨)، وتاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٦٨و١٦٩)، وغيرها كثير.

(٣) انظر: شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (ص١٦٩). وينبغي أنْ نتذكَّرَ أنَّ هندًا أمُّ ملك الإسلام، وجدّةُ خليفة الإسلام يزيد بن معاوية، وليزيد بعض الأخبار التي تجلو عن سيرته الضَّباب، ومنها ما جاء عند أبي الطَّيِّب الوشَّاء قال: «نظرَ معاويةُ إلى ابنه يزيد وقد ضربَ غلامًا له، فقال: كيفَ طاوعك قلبُك أنْ تبسطَ يدك إلى مَنْ لا يقدرُ على رفعها عنه؟ فما رُؤي يزيدُ بعدها ضاربًا غلامًا»... «ولما ماتَ معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووليَ الخلافةَ ابنُه يزيد، أظهرَ تيقظًا وتفقّدًا... فأعجبَ النَّاس ما رأوا فيه، وظهرَ على ألسنِ النَّاس فَضْلُه، فقال عبدُ الملك بنُ مروان لبعض مَنْ حضَره: ما رأيتَ منه؟ قال: رأيتُ منه ما أنساني أباه من أمر تفقّد الرعية ما أغفله معاوية، فقال عبدُ الملك: إنَّ معاوية لم يكن ليغْفِلْ مُهمًّا، فهل تفقَّد هذا خسيسًا؟ قال: نعم، قال: أزرى واللهِ بالمهمّ؛ لأنَّه إذا استكفى الخسيس، وتفرَّغ للمهم أشغل، وإنْ تشاغلَ بالخسيس ضيَّع المهم» الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشَّاء المتوفى سنة ٣٢٥هـ، (ص١١٦) بتصرف يسير، تحقيق د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما أخرجه البخاري عنه برقم (٢٩٢٤) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ أوَّل جيش يغزو القسطنطينية مغفورٌ لهم**». وكان في الجيش أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقائد الجيش يزيد بن معاوية. الآداب الشرعية (١/ ٢٨٧).

حصافتُها وحبُّها معَالي المكرمات:

* انصرمتْ بضعُ سنين وهند خليةٌ من الأزواجِ؛ لأنَّ قصَّتها مع الفاكه تركَتْ شيئًا في نفسها، ممَّا جعلَها تزدادُ أنفةً وعزًّا ورفعةً يوم برَّأَها الكاهنُ اليماني؛ كما أنَّها اخلولقَتْ تختالُ استعلاءً أمام رجالِ مكَّة ونسائها حينما علموا براءتها، وشهدوا لها بالشَّرف والطُّهر والعفَّة والكرامة.

* ظهر حبُّ هندٍ للمعالي يوم أنْ خطبَها رجلان من قريش كانا في الشَّرف الصَّميم، والحسب الحسيب، وظهر فهمُها ونبلُها لما اختارت منهما بَذْر أرومته، وعزَّ عشيرته، غيورًا قويًا ذا منعة، ليكون سليلُها شهمًا شجاعًا وعاقلًا حصيفًا يزينُ عشيرته، وكان الزَّوجُ الذي اختارته صخر بن حرب «أبو سفيان» رضي الله عنه وعنها، فولدتْ له معاويةَ بنَ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1] أجمعين وعن سائر الصَّحابة.

* وتأمَّلْ صورةَ الأمومةِ الواضحةِ في أعماقِ هند رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأبو سفيان حازَ مجموعةً من المكارم جعلَتْه زعيم عشيرته، فهو من سلالةِ عبد مناف، وناهيك بها، وبالتَّالي سيكون ولدها من هذه الأرومة العريقة الصَّافية.

* ثمَّ انظرْ إلى حصافتها المتفرِّدة، فهي تهفو إلى المجد، وحسنِ الأحدوثة، والشَّرف، فصار لها ما أرادت، وتزوَّجت زعيمَ قومه بلا منازع، ويدلُّ على ذلك ما وافت به بعضُ المصادر قالت: «أُهديتْ إلى الكعبةِ جزائر -جِمَال- من أحدِ ملوكِ الهند، وقال: لا ينحرها إلا أعزّ مَنْ بمكَّة، فقالت هندُ لأبي سفيان وهو في مُسَابعةٍ معها -أي: أيام زواجه الأولى-: اخرجْ لئلا يسبقكَ أحدٌ إلى هذه المكرمة، فقال لها: دعيني وشأْني؛ والله لا ينحرُها أحدٌ

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٧٠-١٧٢)، وانظر أيضًا: المصباح المضي (ص١٢٨-١٣٠) وغيرهما كثير.

إلا نحرتُه! فَرُبِطَتِ الجزائرُ بفناء الكعبة حتى فرغَ من مسابعتِهِ فنحرها، فولدتْ له هند معاوية، وهو الذي لا يجاريه أحدُ في سَعَة حلمه»[١].

* عرفنا من ثنايا هذه الأقصوصةِ الطَّريفةِ أنَّ أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعزُّ فتيان قريش يومذاك، وجعلتْ هندُ تفاخرُ بما صنعه زوجها أمامَ نساءِ قريش وفتياتها[٢]، وعلمت أنهَّا أحسنتِ الاختيار، وكانت صائبةَ الرأي في زواجها من زعيم عشيرته أبي سفيان عليه سحائب الرضوان.

أُمومةٌ نادرةٌ:

* ما كان القيلُ والقالُ والثَّرثرةُ، من طبْعِ هند سيّدة ربَّاتِ الحجال، وإنما كانت ترنو إلى معالي الأمور، وتغرسُ في ابنها معاويةَ كلَّ فضيلةٍ، وتأْمُلُ أن يكون سيِّدَ قومه، وتسعى لذلك.

* قبسَ الصِّقليُّ بعضَ المعلومات المهمَّة من حياتها فقال: «بلَغَني أنَّ هندَ بنتَ عتبة وهي أمُّ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، خرجتْ من مكَّةَ تريدُ الطَّائفَ، ومعها معاويةُ صغيرًا، فجعلتْهُ بين يديها في مركبِها، فرآهُ رجلٌ من الأعراب، فقال لها: يا ظعينةُ شُدِّي يديكِ بهذا الغلام، وأكرميهِ، فإنَّه سيِّدٌ كرام، وَصُولُ أرحام، فقالت هندٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بل مَلِكٌ هُمام، كبارٌ عظام، ضروبُ هام، ومفيضُ إنعام. وإنَّما عوَّلَتْ هندٌ على كلامِ كاهنٍ له حديث»[٣]!!!

---

(١) قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (ص١٧٢).

(٢) كانتِ السَّيدةُ هندٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذاتَ مكانةٍ مرموقةٍ في قومها، وفي يومِ زواجها أثقلَها أبوها بالحَلي والحُلل، ذكر ابنُ سعد هذا الأمر فقال: «لما بنى أبو سفيان بن حرب بهندِ بنتِ عتبةَ بنِ ربيعة، بعثَ عتبةُ بابنه الوليدِ إلى بني أبي الحُقيق، فاستعارَ حُليّهم، ورهنَهم الوليدُ نفْسُه في نَفَرٍ من بني عبد شمس وذهب بالحُلي، فغابَ شهرًا، ثم ردُّوه وافرًا، وفكُّوا الرَّهْن» طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٢٤) مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٣) أنباء نجباء الأبناء (ص٦٢و٦٣) لمحمد بن أحمد المكي الصقلي!!!

* واسترشدَ الصِّقليُّ على عِظَمِ همَّةِ هند، وثقَتِها بأمومتِها وسيادة ابنها؛ بكلام هند نفسِها فقال: «وبلغني أنَّها خرجت به وهو طفلٌ، ويدها في يده، فعثَر؛ فقالت له: قُمْ لا انتعشْتَ، فسمعَها أعرابيٌّ، فقال لها: مهلًا عليه فإنَّه سيسودُ قومه، فقالت: ثكلتُه إنْ كان لا يسودُ إلا قومه[١].

* وجاء شبيهُ هذا الخبر عند الحافظِ ابن عساكر، عن سيِّدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «رأيتُ هندًا بمكَّةَ كأنَّ وجهَها فلقةُ قَمَرٍ، ومعها صبيٌّ يلعبُ، فمرَّ رجلٌ فنظرَ إليهِ، فقال: إنِّي لأرى غلامًا إنْ عاشَ ليسودَنَّ قومَه، فقالت هند: إنْ لم يَسُدْ إلا قومه فأماتَهُ اللهُ، وهو معاويةُ بنُ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين»[٢]!!!

* كانتِ السَّيِّدةُ هندٌ أمًّا ذاتَ تربيةٍ نادرةٍ وفريدةٍ بين كثيرٍ من الأُمَّهات القرشيات، فَفِراستُها متوقِّدةٌ لا تكاد تخبو، وفي الخبرِ الآتي مصداقُ ما ذكرناه: «نظرَ أبو سفيان يومًا إلى معاويةَ وهو غلامٌ، فقال لهند: إنَّ ابني هذا لعظيمُ الرأسِ، وإنَّه لخليقٌ أنْ يسودَ قومَه! فقالت هند: قومه فقط؟! ثكلْتُه! إنْ لم يَسُدِ العربَ قاطبةً! وكانت هندُ تحملُ معاويةَ وهو صغيرٌ وتقول:

إنَّ بُنيَّ مُعرِقٌ كريم ... محبَّبٌ في أهلهِ حَليم

ليسَ بفحَّاشٍ ولا لئيم ... ولا بِطخرور ولا سَؤوم

صخرُ بني فِهْرٍ به زَعيم ... لا يخلِفُ الظَّنَّ ولا يَخيم

---

(١) السابق ذاته (ص٦٣)، وانظر: المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٤٣٦)!!

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٥٩/ ٦٥) و(٧٠/ ١٧٤)، وإسناد الخبر ضعيف. ومن المؤكد أنَّ شهرة سيدنا معاوية قد فاقت ضوء المصباح والصباح، وسيرته قد رقت وراقت فهي لقارئها كالراح المباح، أو كحديقة الأفراح.

فلمَّا ولّى عمرُ بنُ الخطاب يزيدَ بنَ أبي سفيان ما ولَّاهُ من الشَّام، خرجَ إليهِ معاويةُ، فقال أبو سفيان لهندٍ: كيف رأيتِ؟ صار ابنُك تابعًا لابني! فقالت: إن اضطربَ حَبْلُ العربِ؛ فستعلم أينَ يقعُ ابنُك مما يكونُ فيه ابني»[1].

قصَّةُ ابنها مع زَوجِها والعبَّاس:

* بلغَتْ هندٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذروةَ الفراسةِ في ابنها الفَطِنِ اللقن معاويةَ الذي شهدَ له سيِّدُنا العبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنَّجابةِ والنَّباهةِ، وكان معاويةُ مُنْصِفًا، قوّالًا للحقِّ، فإلى هذا النَّبأ المورقِ الذي أذاعَهُ الصِّقليُّ في (أَنْبائِهِ) حيثُ قال: «بلغني أنَّ العبَّاسَ بنَ عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان نديمًا لأبي سفيان بنِ حربٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجاهليَّةِ على شرابٍ لهما في دارِ أبي سفيان؛ ومعاوية يسقيهما وهو إذْ ذاك غلامٌ؛ فأخذَ العبَّاسُ يتغنَّى بشعرِ مطرود بنِ كعب الخزاعيّ الذي يمدحُ فيه آباء العبَّاس، ومنه قولُه:

يا أيُّها الرَّجُلُ المُحوِّلُ رحْلَه ... هلَّا نزلتَ بآلِ عبدِ منافِ

الآخذون العهدَ من آفاقِها ... والظَّاعنون لرحلةِ الائْلافِ

وإذا مَعَدٌّ حَصَّلَتْ أنسابَها ... فَهُمُ لعمركَ جوهرُ الأَصْدافِ

فحميَ أبو سفيان لَمَّا سمعَ هذا الشِّعر، وجعلَ يعدِّدُ مآثرَ حرب بنِ أميةَ ومآثرَ نفسِه، وتناقلا في المُفاخرة إلى أنْ قالَ له العبَّاسُ: نافرني إلى فَتَاكَ هذا، فإنَّه نجيبٌ -يعني معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فقال أبو سفيان: قد فعلتُ هذا، وهندٌ تسمعُ، فاهْتَبَلَتِ الفرصةَ، وأنشأتْ تقولُ مخاطبةً لابنها معاوية:

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٣)، وإسناد الخبر ضعيفٌ ومنقطعٌ، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٥٩/ ٦٥و٦٦)، وبلاغات النساء (ص١٤٢). ومن صور اعتداد هند بنفسها، افتخارها يوم أحد حينما كانت تقول:

نحنُ بناتُ طارق ... نمشي على النَّمارق

فقد أرادت بقولها: نحن بنات النجم، لشرفه وعلوه. ثمار القلوب (١/ ٤٦٢)، وقيل: أرادت النجم، فانتسبت إليه لحسنها. المنتظم (١٠/ ٥٥).

اقْـضِ فَـدَتْـكَ نـفـسـي لآلِ عـبْـدِ شمـس
فَـهُـمْ سَـراةُ الحـمْـسِ عـلـى قـديـمِ الحـرس

فقطع عليها معاوية قولها، وقال:

صِـهْ يـا ابـنـةَ الأكـارمِ فـعـبـدُ شَمْـسٍ هـاشـمِ
هُـمـا بـرغـمِ الـرَّاغـم كـانـا كـغَـربَـي صَـارمِ

فلمَّا سمعَ العبَّاسُ وأبو سفيان مقالةَ معاويةَ ابتدراهُ أيُّهما يتناولُه قَبْلَ صاحبه، فَتَعَاوراهُ ضمًّا وتقبيلًا وتفديةً، وافترقَا راضيَيْن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»[(١)].

* وأبدعَ ابنُ ظفر الصِّقلي في تذييلهِ على قولِ معاويةَ، فقال: «وهذا من بديعِ الكلام، وممَّا لم يُسْبَقْ إليهِ في ذِكْرِ المُماثلة فيما علمتُ، ألا ترى أنَّه لو قال: هما كالعينَيْن في الرَّأس، أو كاليدين في الجسد لأمكنَ أنْ يُقَال: أيّهما اليمنى... والمعنى الذي ذهبَ إليه معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا اعتراض عليه، إذ كان قد بلغ نهاية التَّسوية»[(٢)].

هلْ بقَرَتْ هنْدُ بطْنَ حَمْزَةَ؟

* يتداول شطر من الناس سيرة هندٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بشعور عجيب، إذ يزعمون أنها حضرت معركة أُحُد[(٣)]، وبقَرَتْ بطنَ سيِّدنا حمزة بن عبد المطَّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأكلَتْ من

(١) أنباء نجباء الأبناء (ص٦٣-٦٥) بتصرف يسير، وانظر: المصباح المضي (ص١٧٣-١٧٦) ومعنى قوله: «الآخذون العهد...»: أن أولاد عبد مناف أخذوا العهد من ملوكِ الأقطار من الشَّام والحبشة واليمن والعراق. و«سراة الحمس»: سراة القوم: خيارهم، والحمس: قريش وخزاعة وكل من قارب مكة من قبائل العرب. و«قديم الحرس»: الحرس هو الدهر. و«صه»: سكت، و«فعبد شمس هاشم»: يريد أنهما كالشيء الواحد، فهما أخوان توأمان. و«غربي صارم»: حدَّا السيف القاطع، لا فضل لأحدهما على الآخر.

(٢) أنباء نجباء الأبناء (ص٧٠و٧١).

(٣) **أُحدٌ**: جبلٌ بالمدينة، قال عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا جبلٌ يحبنا ونحبه**» البخاري برقم (٤٠٨٣و٤٠٨٤). قال السهيلي: «سمي أحدًا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك، أو لما وقع من أهله من نصر التوحيد»، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الفأل الحسن، والاسم الحسن، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية، ومع كونه مشتقًا من الأحدية؛ فحركات حروفه الرفع، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه، =

كبده!! ولم يدقِّقْ هؤلاء الأمرَ، ولم يتحقَّقُوا من صحَّتِهِ، وإنَّما رأوا بعضَ المشاهدِ المغلوطةِ في بعضِ الأفلامِ والمُسلْسَلات، فارتسمتْ في أذهانِهم صورٌ مشوشةٌ عن هندٍ، وانطبعَتْ في نفوسهم الأغاليطُ التي سمعوها من هنا وهناك، وتناقلَتْها الألسنةُ من دون توثيق لذلك جنى عليها كثيرون، وحكمُوا عليها أحكامًا جائرةً؛ دون أن يعوجُوا إلى ديارِ المصادرِ والرِّواياتِ الصَّحيحة، لمعرفةِ الحقائق عن الصَّحابة، وعن بعضِ مَنْ زيَّنوا جِيْدَ التَّاريخ بجليلِ أعمالِهم وأقوالِهم.

* فهل ثَبَتَ أنَّ هندًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقَرَتْ بطنَ حمزةَ، أو أكلَتْ كبده[1]؟!! ولم هذه الأراجيفُ في هندٍ حَصْرًا؟ ونحنُ نعلمُ يقينًا أنَّها لم تكنْ وحدَهَا في أُحُدٍ، بل إنَّ قريشًا خرجُوا معهم بالنِّساء لأجلِ الحفيظةِ والثَّبات.

* نقرأُ أسماءَ النِّسوة اللاتي خرجْنَ إلى أُحُدٍ وهنَّ: «هندُ بنتُ عتبة خرجَتْ مع أبي سفيان، وأمُّ حكيم بنتُ الحارثِ بنِ هشام مع زوجِها عِكْرِمَةُ بن أبي جعل، وفاطمةُ بنتُ الوليد بنِ المغيرة مع زوجِها الحارثِ بنِ هشام، وبرزةُ بنتُ مسعود الثَّقفيَّةُ مع زوجها

=فتعلَّقَ الحبُّ من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به لفظًا ومعنًى، فَخُصَّ من بين الجبال بذلك». قال ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكانت عنده الوقعةُ المشهورةُ في شوال سنة ثلاث باتّفاق الجمهور» السِّيرة النبوية في فتح الباري (٢/ ٢٣١-٢٣٣) بتصرف، جمع وتوثيق الدكتور محمد الأمين الشَّنقيطي.

(١) ذكرَ مصنّفُ كتاب: معجم الذين نُسبوا إلى أمهاتهم سيِّدنا معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه تحت عنوان: ابن آكلة الأكباد، فقال: «معاويةُ الأوَّلُ بنُ أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، العبشميُّ القرشيُّ، المكيُّ ولادةً ونشأةً، الدمشقيُّ إقامةً ووفاةً، أبو عبد الرحمن، الملقّب بعقالِ الحرب، وكسرى العرب، زعيمُ بني أمية، ومؤسِّسُ دولتهم، وأوّلُ خلفائِهم في الشَّام...» ثم قال: «عُرِفَ بابنِ آكلة الأكباد نسبه إلى أمّه هندِ بنتِ عتبة الأمويَّة؟! الملقَّبة بآكلةِ الأكباد؛ لأنَّها قطعَتْ كبدَ حمزةَ بن عبدِ المطلب في معركةِ أحدٍ» معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم (ص١٦) و(ص٣٣٢) نقلًا عن مروج الذَّهب (٢/ ٣-٣٨)؟!!
قلتُ: «إنَّ الأهواءَ لا تأتي بخيرٍ أو فائدة تُرتَجى، وإنَّما تأتي بالعِلْمِ مُنحرفًا عن الصَّواب وعن طريق السَّداد والرشاد، وفي قوله: «عُرِفَ بابن آكلة الأكباد... إلى آخرها» وهيَ جملةٌ لا تتعدى سطرين، وفي هذه العبارة بضعةُ أغلاطٍ وأخطاءَ فاضحةٍ كالحةٍ مالحةٍ وغير صالحةٍ، ومنها: هند بنت عتبة... الأمويّةُ، فهل هي أمويةٌ، أمْ عبشميةٌ؟ ثم أي أكباد أكلت؟!! و... و...» نسألُ اللهَ الصَّواب واللطفَ والبعد عن الهوى والغواية».

صفوانَ بنِ أميَّةَ وهي والدةُ ابن صفوان، وريطةُ بنتُ منبِّه السَّهميَّةُ مع زوجِها عمرو ابنِ العاص وهي والدةُ ابنِهِ عبدِ الله، وسلافةُ بنتُ سَعْد مع زوجِها طلحةَ بنِ أبي طلحة الحجبيّ، وخناسُ بنتُ مالك والدةُ مصعب بنِ عمير، وعمرةُ بنتُ علقمةَ من قبيلة كنانة»[١]. وقال بعضُ أهل العلْم: «كان النِّساءُ اللاتي خرجْنَ مع المشركين يومَ أُحُدٍ خَمْسَ عشْرةَ امرأة»[٢].

أينَ كانَتْ هندُ في أُحدٍ؟

* لَمَّا حميَ وطيسُ معركةِ أُحُدٍ، وقامتْ على ساقِها، كانت الغلبة للمسلمين في بدايتها، وجعلت النِّسوةُ القُرشيَّاتُ يهربنَ، وأخذنَ يشمرنَ عن سُوقهنَّ طلبًا للسُّرعة والنَّجاة، وكانت هندُ في مقدمتهنَّ؛ قال الزُّبيرُ بنُ العوَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله لقد رأيتني أنظرُ إلى خَدَمِ هند بنت عتبةَ وصواحباتها مشمراتٍ هواربَ ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثيرٌ»[٣].

* وسُئِلَتْ أمُّ عمارة الأنصاريَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن هندٍ وصُويحباتِها: «هل كُنَّ نساء قريش يومئذٍ يُقَاتلْنَ مع أزواجهنَّ؟» فكان جوابُها واضحًا: «أعوذُ بالله! لا والله ما رأيتُ امرأةً منهنَّ رمَتْ بِسَهمٍ ولا بِحَجرٍ، ولقد رأيتهنَّ ولَّيْنَ منهزماتٍ مشمراتٍ... ولقد رأيتُ هند بنت عتبة... قاعدةً خاشية من الخيل ما بها مشيٌ! ومعها امرأة أخرى...»[٤].

* ونستأنسُ ههنا بما ذكره أبو دجانةَ الأنصاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيثُ ذكرَ دورَ هندٍ في أُحدٍ -وكان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعطاهُ سيفًا يومَها- قال: «رأيتُ يومَ أُحُدٍ إنسانًا يحمِّسُ

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٥٠) نقلًا عن السيرة لابن إسحاق.

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٥٠)، وانظر أسماءهنَّ في المغازي (ص٢٠٢و٢٠٣)، والبداية والنهاية (٤/ ١١)، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (٢/ ٢٢٢)، وانظر ذلك مفصّلًا في كتابنا: رجال من عصر النبوة (ص٤٠٦و٤٠٧)، قلت: «وقد أسلم معظم هؤلاء النسوة واستغفر لهن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٥٠).

(٤) تاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٧٦)، ورجال أهل البيت (ص٩٢).

النَّاسَ حماسةً شديدةً فصمدتُ له، فإذا امرأةٌ، فأكرمتُ سيفَ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنْ أضربَ به امرأةً، وكانت المرأةُ هند بنت عتبة»[(١)].

مَنْ قَتَلَ حَمْزَةَ؟

❁ عقدَ أبو عبد الله البخاريُّ رَحِمَهُٱللَّهُ في كتاب (المغازي) من صحيحه بابًا عنوانه: «بابُ قَتْلِ حمزةَ بنِ عبدِ المطَّلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ» ثم ذكرَ قصَّة قَتْلِ حمزةَ كما رواها وحشيُّ بنُ حربٍ نفسُه[(٢)].

❁ إذن: إنَّ مَنْ قَتَلَ حمزةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو وحشيُّ بنُ حرب الحبشيُّ مولى جُبيرِ بنِ مُطعِم القرشيِّ؛ فَلِمَ القِيْلُ والقَالُ؟

❁ ومن اللافتِ للنَّظر أنَّ فئةً من سواد النَّاس تناسَوا قاتلَ حمزةَ وحشي بن حرب الذي أقرَّ بفِعْلَتِهِ، وصاروا يمضغون قصَّةَ مَضْغِ هند كبدَ حمزةَ، حتى صارت هذه الفريةُ من المُسَلَّمات عند كثيرين، ثم جاءَتْ أفلامٌ وأوهامٌ وثرثراتٌ ومسلسلاتٌ عاثَتْ في تاريخِ الإسلام فسادًا، وشوَّهَتْ تأريخَ الصَّحابةِ والمشاهيرِ والنُّبلاء من أهلِ الفَضْل والعقل، فاستلَّتِ الحقائقَ، وغرزَتْ مكانَها هذه الأسلاك والأشواك والمصائب والإِحَن؛ ثم تسَابقَ بعضُ الكاتبين من أهلِ الأدبِ في عرضِ قصَّة هند وتمثيلها بحمزة، وأكلِها الكبد، وتشفِّيها، وراحَ خيالُهم بعيدًا بعيدًا، فجعلوا يدبِّجون الأساليبَ المنمَّقَةَ، والكلماتِ المغناطيسيّة التي تجذبُ عواطف البُسطاء، من دون أنْ يرجعوا إلى حقائق حياةِ الصَّحابة وتاريخهم وآثارهم[(٣)]، أو يدرسوا صحيح السِّيرة النَّبوية، ومغازي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

---

(١) التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر رَحِمَهُٱللَّهُ (٢/ ٢٢٥).

(٢) انظر: فتح الباري، كتاب المغازي (٧/ ٣٦٧و٣٦٨) حديث رقم (٤٠٧٢)، وانظر: المنتظم لابن الجوزي (٣/ ١٧٩و١٨٠) حيث ساق حديث البخاري كاملًا.

(٣) للمزيد من هذا الأمر، راجع كتابنا: رجال أهل البيت في ضوء القرآن والحديث (ص٨٥) وما بعدها، حيث قدمنا نماذج لهؤلاء الكُتَّاب ونقدناها.

مَنْ مَثَّلَ بحمزَةَ والشُّهداء؟

* انجلتِ المعركةُ يومَ أُحُدٍ عن سبعين شهيدًا من المسلمين[١]، وعن اثنين وعشرين قتيلًا من المجرمين.

* كان من بين شهداء أُحُدٍ أسدُ الله وأسدُ رسوله حمزةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]، وخرجَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلتمسهُ، فوجدَهُ ببطنِ الوادي قد بُقِرَ بطنُه عن كبده، ومُثِّلَ به، فَجدِعَ أنفُهُ وأذناه[٣].

* وقصَّةُ التَّمثيل بحمزةَ رواها ابنُ إسحاق، وزعم أنَّ هندًا بقرتْ عن كبده، واتَّخذت من آذانِ الرِّجال خَدَمًا -أي خلاخل- وقلائدَ، وأعطتْ حُليَّها وقلائدَهَا وقرطَها وحشيًّا، وروى الواقدي أنَّ وحشيًا حينما قتلَ حمزة، حملَ كبدهَ إلى مكَّة لِيراهَا سيدُهُ جبيرُ بنُ مُطعم بن عديّ[٤]...

* ثبتَ بطرقٍ صحيحة التَّمثيلُ بسيِّدنا حمزةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيرِهِ من الشُّهداء بأُحدٍ من مثلِ: عبدِ الله بنِ جحش الأسديّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥]، ولكنْ مَنِ الذي اقترفَ هذه الفعْلَةَ النكراء؛ ومثَّلَ بهؤلاء الأخيار؟!

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٢٦) حديث رقم (٤٠٤٣).

(٢) الذي قتل سيدنا حمزة غدرًا هو وحشي الحبشي، ووحشي نفسه قتل مسيلمة الكذاب مع عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، قال عبد الله بن زيد يذكر ذلك:

أَلَمْ تَرَ أنّي ووحشيّهم ... قتلتُ مسيلمةَ المُفْتَتَنْ
ويسألُني النَّاسُ عن قتلهِ ... فقلتُ ضربتُ وهذا طعَنْ

البداية والنهاية (٥/ ٣٦٤و٣٦٥) بتصرف يسير.

(٣) ذكر ابن إسحاق هذا الخبر معلقًا.

(٤) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٣٩٧و٣٩٨)، وأفاد المؤلف أن الروايات ضعيفة، وإسنادها منقطع، وبعض رواتها متروكون كالواقدي. والله أعلم.

(٥) اقرأ سيرة عبد الله بن جحش في كتابنا: رجال مبشرون بالجنة، طبعه دار ابن كثير الخامسة.

❋ هذا ابنُ عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ يجيبُ عن السُّؤال ببساطةٍ ووضوح فيقول: «إنَّ الذي مثَّل بحمزةَ بنِ عبد المطلب معاويةُ بنُ المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وقَتَلَه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صبرًا منصرفَه من أُحدٍ»[١].

❋ قال صاحب (عمود النَّسب) في نظمه عن معاويةَ بنِ المغيرة، وأنَّه الذي مثَّل بحمزةَ عمِّ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَهْـــوَ المُـــمَـــثِّـــلُ بِـــعَـــمِّ أَحَمـــدِ ... وبمـــعَـــاويـــةَ يُـــعْـــرَفُ الـــرَّدي[٢]

❋ ولو درسْنا بعضَ كتبِ المُؤرِّخين والعُلماء والمصنِّفين لألفيناهم ذكروا بأنَّ معاويةَ بنَ المغيرة هو الذي مثَّل بِعَمِّ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزاةِ أحد، فهذا ابنُ الأثير يسجِّل ذلك في (أسدِ الغابة)[٣]، وابنُ حزم في (جمهرة أنساب العرب)[٤]، وابنُ دريد في (الاشتقاق)[٥]، والمصعبُ الزُّبيريُّ في (نسب قريش)[٦]، والصَّفديُّ في (الوافي بالوفَيات)[٧]، وغيرهُم كثيرٌ جدًا.

لِمَ الهُجومُ عَلى هندٍ واتِّهَامها؟

❋ إذا سألَ سائلٌ: «لماذا هذا التَّهجُّم على السَّيدة هند رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واتّهامها وتشويه صورتها؟».

❋ نقولُ بصراحةٍ ووضوح: «الهوى يُردي صاحبه في مهاوي الرَّدى، وصاحبُ الهوى ليس بصاحبِ العِلْم، فالعِلمُ لا ينقلُ بالهوى أو العصبية أو القسر أو التَّهريج...».

(١) الاستيعاب (ص٩٤٣) ترجمة رقم (٣٤٧٧).
(٢) إنارة الدجى (ص٣٢٤و٣٢٥).
(٣) أسد الغابة (٧/ ٢٨١).
(٤) جمهرة أنساب العرب (ص١٠٤).
(٥) الاشتقاق (ص٧٧).
(٦) نسب قريش (ص١٧٣).
(٧) الوافي بالوفيات (٢٧/ ٢٣٠).

* وينبغي أنْ نعلمَ أنَّ هندًا أسلمتْ يومَ الفتح، وبايعت رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروَتْ عنه، ورُوي عنها، ثم شهدت فيها بعد معركةَ اليرموك، وقَدِمَتْ على ابنها معاوية في الشَّام إبّان خلافة سيِّدنا عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(١)].

* ونذكِّرُ مرّةً أخرى أنَّ هندًا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ما كانت وحيدةً في جيشِ قريش في أُحد، بل كان معها أخريات قرشيات[(٢)]، وكلّهنَّ أُصِبْنَ في ذويهنَّ يوم بدر، فلماذا الهجومُ على هند بالذات؟ ومَنِ الذي يطبِّلُ ويزمِّرُ في قصَّتها؟ وينفخُ أشياء ويمسخُ أشياء؟! ويضخِّمُ أكْلَ كبدِ حمزة!! وينسى أنَّ القَتْلَ أعظمُ وأكبرُ من هذا جميعِهِ. ثمَّ إنَّ الذي قَتَلَ حمزةَ أسلمَ أمامَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتَلَ في معارك المرتدين، وقتلَ بحربتهِ مسيلمة الكذّاب في معركةِ اليمامة، فلماذا هذا الهجومُ والبُهتان؟!!

* تنطقُ الإجابةُ بلسانِ الحال قائلةً: «هؤلاء موتورون التهمت اللوثةُ الشُّعوبيةُ عقولَهم وقلوبَهم، وهم الذين يثرثرون ويثيرون هذه الحربَ الشَّعواء على هندٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وعلى أكابرِ رجالِ الدُّنيا ممن ارتضاهم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أصحابًا لِنَبيِّه محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عنهم أجمعين»[(٣)].

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٦٦) وغيره.

(٢) ما كانتِ السيدةُ هند ذاتَ دورٍ خطير في أُحُدٍ، ولم تكنْ مصيبتها أعظم مصائب النّسوة اللاتي معها، بل إنَّ عمرةَ بنتَ علقمة الحارثية ذات دور أشدّ خطرًا من غيرها، فهي التي تلقَّفت لواء المشركين حينما هوى وسقطَ على الأرض، ولم يجرؤ أحدٌ من القوم أنْ يدنوَ منه، فرفعَتْهُ عمرةُ حتى لاثَ به الجندُ... وقاتلت نساءٌ أخريات... لكنَّ هندًا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لم تكنْ في هذه المنزلة، وإنَّما كان دورُها بارزًا؛ لأنَّها زوجةُ القائد الأمويّ أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... وكانت نتائجُ غزوة أحدٍ سببًا في إثارة قَدْرٍ كبيرٍ من الكراهية ضدَّ بني أمية في بعض المصادر، وبعض الكتاباتِ التاريخيةِ التي أسهمت في حَشْدِ روايات سقيمة، وقصص عوجاء وعرجاء ورسحاء للنَّيل من أمّهات الأعلام من الصَّحابيات ومن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

(٣) عمدَ الشعوبيون وتعمَّدوا تشويه التَّاريخ الإسلامي، من خلالِ دسِّ أحاديث مكذوبة على الصَّادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ما ينطقُ عن الهوى، وعملوا على تجريح وتشويه صور الصَّحابة، وراحوا يضخّمون أحداثَ الفتن التي وقعت زمن لصَّحابة أو التابعين، وأرادوا من وراء ذلك أنْ يقدموا التَّاريخ =

❋ إنَّ سيرةَ هند مليئةٌ بالمكارمِ المنيفةِ، والمواقفِ الحصيفةِ، وقد ازدادت تألقًا لما غدت من الصَّحابيات، فإلى السُّطور الآتية نتعرفُ إشراقاتها.

رُؤيَا هنْدٍ وإسلامُها:

❋ لإسلامِ هندٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قصَّةٌ موحيةٌ؛ تدلُّ على العنايةِ الإلهيةِ بهذهِ الأُمَّة المباركة، التي كانت خيرَ أُمَّةٍ أُخرجتْ للنَّاس، فقد رأتْ هند رؤيا جَذَبتْها إلى النَّجاة وشطآن السَّلامة والأمن والأمان، فما هذه الرُّؤيا؟

❋ ابنُها معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينقلُ لنا تفاصيلَ رؤياها، فيما أرَّخَهُ ابنُ عساكر بسندٍ عنه قال: سمعتُ أمّي هندَ بنتَ عتبة تقولُ -وهي تذكرُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «... رأيتُ في النَّوم ثلاثَ ليالٍ كأنّي في ظُلمةٍ لا أبصرُ سهلًا ولا جبلًا، وأرى من تلك الظُّلمةِ انفرجَتْ عني بضوء مكانه، فإنه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوني، ثم رأيتُ في الليلة الثَّانية كأنّي على طريق، فإذا هُبَلُ عن يميني يدعوني، وإذا إسافُ يدعوني عن يساري، وإذا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين يدي قال: تَعالَي هلمّي إلى الطَّريق، ثم رأيتُ في الليلةِ الثَّالثة كأنّي واقفةٌ على شفير جهنَّم، يريدون أنْ يدفعوني فيها، وإذا بِهُبَل يقول: ادخُلي فيها، فالتفتُّ فإذا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ورائي آخذٌ بثيابي، فتباعدتُ عن شفير جهنَّم، وفزعتُ، فقلتُ: هذا شيءٌ قد تبيّنَ لي، فغدوتُ من ساعتي إلى صنمٍ في بيتنا، فجعلتُ أضربُهُ وأقولُ: طالمًا كنتُ منكَ إلا في غرور، وأتيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلمتُ، وبايعتُه»[1].

=الإسلامي للبشرية على أنَّه تاريخُ فتنٍ وحروبٍ وسفك دماء واستبداد بالرأي، وما من حديث مكذوب أو رواية مغرضة في كتبِ الحديث والتَّاريخ والسِّير إلا تجد أصابع الشّعوبية من ورائها.

(١) تاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٧٧) بتصرف يسير جدًا، وانظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٨١)، والمحبّر (ص٤٠٨) وذكر أنها بايعت يوم الفتح.

«مرحبًا بكِ»:

* رحَّبَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهندٍ وفرحَ بإسلامها، فقد جاء في الصَّحيح وغيره عن عبدِ الله بنِ الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنَّ هندًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أتتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بالأبطح، فأسلَمتْ، وقالَتْ: الحمدُ لله الذي أظهرَ الدِّينَ الذي اختاره لنفسهِ؛ لتَمسَّني رحمتُك يا محمدُ، إنّي امرأةٌ مؤمنةٌ بالله، مصدّقةٌ به، ثم كشفَتْ عن نقابها فقالت: أنا هندُ بنتُ عتبة، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مرحبًا بكِ**» فقالت: يا رسولُ الله، والله ما كان على وجْهِ الأرضِ من أهلِ خباءٍ أحبّ إلي منْ أنْ يذلّوا من خبائكَ، ولقد أصبحتُ وما على الأرض أهل خباء أحبَّ إليَّ أن يعزّوا من خبائك»[1].

* إنّ إسلامَ أُمِّ معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وموقفَها يوم الفتح غنيٌّ بالدُّروسِ التَّربويَّةِ، وهذا الموقفُ قدوةٌ صالحةٌ لكلِّ أمٍّ في الدُّنيا، فهندٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذاتُ شخصيَّةٍ واضحةٍ، وكلامٍ صادق، أفصحتْ عمَّا بداخلها أمامَ سيِّدِ الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقرَّتْ بخبيئةِ نفسِها كيف كانت قبل إسلامها، وكيف أصبحتْ بعد أنْ هدَاهَا اللهُ إلى الإيمان، فلتحرصْ بناتُ حوَّاءَ على الوضوح في الأقوالِ والأفعالِ، فإنَّ ذلك أصلح لهنَّ في تربية الأجيال.

هديتها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

* شَرفَتْ هندٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بدعاءٍ ميمونٍ من الصَّادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبارك اللهُ لها في هذا الدُّعاء، ولَمَست البركةَ في غنمها ورزقها.

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٨١)، وأخرجه ابن عساكر مطولًا (٧٠/ ١٧٩)، وانظر: المصباح المضي (ص١٢٤)، وهو عند البخاري في مواضع برقم (٢١١، ٢٤٦٠ و٣٨٢٥ و٥٣٥٩ و٥٣٦٤ و٥٣٧٠ و٦٦٤١ و٧١٦١ و٧١٨٠)، ومسلم برقم (١٧١٤)، وأبو داود برقم (٣٥١٥و٣٥١٦)، والنسائي (٤/ ٢٤٦و٢٤٧)، وابن ماجه برقم (٢٢٩٣)، وغيرها من مصادر متنوعة.

* روى قصَّةَ الهديةِ أبو حصين الهذليّ فقال: «لما أسلمتْ هندُ بنتُ عتبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أرسلَتْ إلى رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهدية، وهو بالأبطح، مع مولاةٍ لها بِجَدْيَيْن مرضوفَيْن وقَدٍ -جِلْد السَّخلة- فانتهتِ الجاريةُ إلى رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت: إنَّ مولاتي أرسلت إليكَ هذه الهدية، وهي تعتذرُ إليكَ وتقولُ: إنَّ غَنَمَنَا ووالدتَها اليوم قليلةُ الوالدة، فقال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بارك اللهُ لكم في غنمكم وأكثرَ والدتها**» وكانت المولاةُ تقولُ: لقد رأينا من كثرةِ غنمِنا ووالدتها ما لم نكنْ نرى قبل ولا قريبًا، فتقول هند رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: هذا بدعاءِ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم تقول: لقد كنتُ أرى في النَّوم أني في الشَّمس أبدًا قائمة، والظِّلُّ منّي قريبٌ لا أقدرُ عليه، فلمَّا دنا رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأيتُ كأنّي دخلتُ الظِّلَّ»[(١)].

* وكانت أمُّ معاويةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا تستفتي النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أمور معيشتها ودينها، فقد روتْ أُمُّنا عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ هندًا أُمَّ معاوية جاءت إلى النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ، فهل عليَّ جُناحٌ أنْ آخذَ من مالهِ سرًّا؟ قال: «**خُذي أنتِ وبنيكِ ما يكفيكِ بالمعروف**»[(٢)].

الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا للإسلام:

* ممـا يزيـدُ في صحائـفِ أمِّ معاويـة العِلْميّـة والأخلاقيـة والسُّـلوكية مـا جاء في شروط بيعـةِ النِّسـاء[(٣)] ومفادهـا: «أنَّ هنـدَ بنتَ عتبـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كانت مع النِّسـاء لما أخذَ

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٨١و٣٨٢)، وتاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٨٤)، والبداية والنهاية (٦/ ٦١٦-٦١٨)، والرسالة المحمدية (ص٤٩٦و٤٩٧)، وغيرها.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ٧١) برقم (١٧٢)، وللحديث أصل في الصحيحين، والسنن، ومصنفات الحديث، وغيرها.

(٣) اقرأ كتابنا: بيعة النساء في القرآن والسيرة، ففيه فوائد كثيرة، بإذن الله.

رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيعةَ عليهنَّ، فلمَّا أَنِ انتهى من تبليغهنَّ الشُّروط المعروفة، قالت له هند ما خلاصتُه: يا رسول الله؛ ما تأمرنا إلا بالرُّشدِ ومكارمِ الأخلاق»[١].

* أبصرتْ أُمُّ معاوية طريقَ النُّور، وأضاء الإيمانُ نفسَها؛ فعملتْ بمقتضى التَّوحيد، وحطَّمتِ الجاهلية والوثنية، فعمدت إلى صنَمٍ كان في بيتها، فجعلتْهُ جُذاذًا وقالت قولةَ حقٍّ: «كُنَّا معكَ في غُرور»[٢]، وتحدَّثَتْ بلسانِ الاعترافِ بنعمةِ الإيمانِ قائلة: «الحمدُ لله الذي هَدَانا للإسلام»[٣].

* آمنتْ أُمُّ معاوية بالله ربًّا، وبمحمدٍ رسولًا، وبالإسلامِ دينًا، وعلمت أنَّ اللهَ غالبٌ على أمره، وأقرَّتْ بذلك أمامَ أبي سفيان، فعن سعيد بنِ المسيب[٤] رَحِمَهُ اللهُ قال: «لما كان ليلة دخلَ النَّاسُ مكَّة ليلةَ الفتح، لم يزالوا في تكبيرٍ وتهليل وطوافٍ بالبيت حتَّى أصبحوا، فقال أبو سفيان لهندٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَتَرَيْنَ هذا منَ الله؟ قالت: نعم، هذا مِنَ الله... ثمَّ أصبحَ أبو سفيان فغدا إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْتَ لهندٍ: أَتريْنَ هذا منَ الله؟ قالت: نعم، هذا من الله**»، فقال أبو سفيان: أشهدُ أنَّك عبدُ الله ورسولُه، والذي يُحْلَفُ به ما سمعَ قولي هذا أحدٌ منَ النَّاس غير هند»[٥].

* أَجَل، إنَّ هذه الأُمَّ من عقيلات قريش المعدودات، «... وكانت من سيِّدات نساء قريش، ذات رأي ودهاء في قومها»[٦]. قال ابنُ الأثير: «أسلمتْ في الفتح بعد

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٨/ ١٦٨) بتصرف.

(٢) الإصابة (٨/ ٢٠٦)، وتاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ١٨٤)، وبيعة النساء (ص٢٣٠) وغيرها.

(٣) سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٨١) بتصرف يسير.

(٤) اقرأ سيرة سعيد بن المسيب في الباب الأول من كتابنا: علماء التابعين (ص٤٥-٨٩) ففي سيرته فوائد جليلة ونفيسة بإذن الله.

(٥) البداية والنهاية (٦/ ٥٧٧) بتحقيق د. عبد الله التركي، نقلًا عن دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٠٢و١٠٣).

(٦) البداية والنهاية (٩/ ٦٤٦).

إسلام زوجها أبي سفيان، وأقرَّها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نكاحِها، كان بينهما في الإسلام ليلة واحدة، وكانت امرأة لها نفسٌ وأنفةٌ، ورأيٌ وعقلٌ...»[1].

* وسنمتع الخواطر بهذه الهمسات الناعمة التي ترسم هداية أم معاوية، وإسلامها وبيعتها:

يا هندُ حسْبُكِ مغنمًا وكَفَاكِ ... أنَّ الذي يهدي النُّفوسَ هَداكِ

بايَعْتِ أهدى العالمين طريقةً ... ورضيتِ منه مُهذبًا يرضَاكِ

يا هندُ إنَّ الله أمضى حكمَهُ ... فكَفَاكِ سُوءَ عذابِهِ ووقَاكِ

أُوتيتِ زادكِ من تقًى وهدايةٍ ... فتزوَّدي سُبحان مَنْ نجّاكِ[2]

أطواقٌ منْ مناقبها:

* مآثرُ السَّيدةِ هندٍ أُمِّ معاوية خالدةٌ وسنيةٌ، فهي من أعقلِ نساءِ العرب، ومن سرواتِ النِّساء وسيداتهنَّ، ولها مناقبُ كقلائدِ الجمان في نحورِ الحسان، وسنقرأُ بعضَها في السُّطور الآتيةِ بمشيئة الرحمن.

* ذكرَ ابنُ حديدة موقفها المتألق يوم اليرموك، وتكلَّمَ عن قتالِ النِّساء المُسلمات يومذاك، ومجاوبتهنَّ بالأشعار، فقال: «... وخرجَتْ هندُ بنتُ عتبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبيدها مزْهَرٌ، ومن خلفِها النِّساءُ من المهاجرات، وهي تقولُ الشِّعر الذي قالته يومَ أحد تحرضُ به المشركين: نحنُ بناتُ طارق... ثمَّ استقبلَتْ خيلَ ميمنةِ المسلمين فرأَتْهم منهزمينَ، فَصَاحَتْ: إلى أين تفرّون منَ الله؛ ومن جنَّتِه، وهو مُطَّلعٌ عليكم. ونظرتْ إلى أبي سُفيان منهزمًا، فضربَتْ وجْه حصانِهِ بعمودها وقالت: إلى أين يا ابنَ حرب؟ ارجعْ إلى القتالِ وابذلْ مهجتَكَ حتى تمحِّصَ عنك ما قد سَلَفَ منك من تحريضكَ على رسولِ الله

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٨١)، وانظر: الاستيعاب (ص٩٤٣)، والمصباح المضي (ص١٢٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٧).

(٢) ديوان مجد الإسلام (ص٢٨٩و٢٩٠) بانتقاء، والقصيدة قوامها (٢٥ بيتًا).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الزُّبيرُ بنُ العوَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما سمعتُ كلامَ هند لأبي سفيان، ذكرتُ يومَ أحد، ونحنُ بين يدي رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تحرضُ المشركين بهذا الشِّعر على قتال المسلمين، فتعجبتُ من ذلك، وقلتُ: لك الحمدُ يا الله، تفعلُ ما تشاء، سبقَ عدلُك في خلقِكَ، ولا يعلمُ الغيبَ غيرُك. قال: فَعَطفَ أبو سفيان[1] عندما سمعَ كلامها، وعطفَ المسلمون معه، ونظرتُ إلى النساء وقد حَمَلْنَ معهم، وهنَّ يسابقْنَ المسلمين، وبأيديهنَّ العُمُد، ورأيتُ المرأةَ منهنّ تقبلُ إلى العِلْجِ العظيمِ وهو على فرسه، فتتعلَّقُ به فلا تفارقه حتى تنكسَهُ عن الجوادِ، ثم تقتله، وتقول: هذا بيانُ نَصْرِ الله»[2].

موقفٌ يُوزَنُ بالذَّهب:

* لأُمِّ معاوية مآثرُ مضيئةٌ قبل إسلامها توزَنُ بالغالي والنَّفيس، بل لها موقفٌ كريم يقطرُ بالمروءة والصِّدق، فهند رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمٌّ نبيلةٌ تعرفُ قيمة الأمومة ومكانتها، ولها موقفٌ إنساني نبيل -بعد غزوة بدر- مع سيّدتنا زينب بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرادتْ أنْ تهاجرَ إلى أبيها في المدينةِ، فقد عرضَتْ عليها هندٌ المساعدةَ، وعملتْ مع زوجها أبي سفيان على تسهيلِ هجرتها في هدوءٍ على الرغم من المشاعرِ المتأججة بالعداء.

* وخلاصةُ ذلك الموقف النَّبيل: «أنَّ هندًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، علمت بأنَّ زينبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد عزمت على الهجرة، فذهبت إليها تحت جنح الليل، وقالت لها: يا بنةَ محمد، بلغَني أنَّكِ تودّينَ اللحاق بأبيك، فأنكرتْ زينبُ، فقالت هندُ: أيّ ابنةَ العمِّ، لا تفعلي ذلكَ، ولا تكذبيني، فإنْ كانت لكِ حاجةٌ في متاع، أو مالٍ، فإنَّ عندي حاجتك، ولا تستحي

(١) أوردت بعضُ المصادر أن عين أبي سفيان أصيبت يوم اليرموك، وكانت عينه الأخرى قد أصيبت من قبل في حصار الطائف، ووعده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاء الجنة، فأصبح أبو سفيان ضريرًا تحت راية الجهاد، كما قاتلت يوم اليرموك نساء من نساء المسلمين منهن: هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت ترتجز محرضة على القتال، كما قاتلت جويرية بنت أبي سفيان، وأصيبت بعد قتال شديد. الدولة الأموية المفترى عليها (ص١٥١) بتصرف.

(٢) المصباح المضي (ص١٢٥و١٢٦).

منّي، فإنَّ ما بين الرِّجال لا يتعدّاهم إلى النِّساء، وإنَّ أولى النَّاس بإسعادك ابنة عمّك... وأحسَّتْ زينبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنَّ أُمَّ معاوية صادقةٌ وفيةٌ، لكنَّها أوجَسَتْ خيفةً منها، وردَّتْ على هندٍ ردًّا جميلًا، وشكرَتْ لها مروءتها ونبلها وشهامتها»(١).

كُلَيمةٌ قُبيل الوَدَاع:

* أخبارُ السَّيدةِ هند كثيرةٌ في مضمار الأمومةِ وغيرها، وهي مبثوثةٌ في مصادر ترجمتها. ومن نواح أخرى فإنَّ لهند أقوالًا نفيسةً تخجلُ الدُّر بحسْنِ البيان، وهي أجملُ من عقودِ اللؤلؤ في أجيادِ الغواني الحسان، تدلُّ على خبرتها بشؤونِ بنات حواء وأحوالهنَّ. ومن أقوالها الحسان: «المرأةُ غلٌّ ولابدَّ للعُنُقِ منه، فانظرْ مَنْ تضعه في عنقكَ»، ولها أيضًا قولٌ ماتع في النِّساء: «إنَّما النِّساءُ أغلالٌ، فليخترِ الرّجلُ غِلًا ليده».

* توفيتْ أمُّ معاوية إبَّان الخلافة العمرية الراشدة، وذلك عام (١٤هـ)، وفي اليوم ذاته توفي أبو قحافة والد سيِّدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين(٢).

* رضيَ اللهُ عن هندٍ وعن صحابيات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجمعنا مع الصَّحابة في جنَّات وعيون.



(١) نساء أهل البيت (ص٤٩٢و٤٩٣) بتصرف، ط٧، دار اليمامة بدمشق.

(٢) العقد الثمين (٢/ ٦)، وأعلام النساء (٥/ ٢٥٠) وغير ذلك.

الباب الثاني

أُمَّهاتٌ مِنَ الأَنْصَار

وفيه:

١- أُمُّ بشرِ بنِ البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢- أُمُّ جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣- أُمُّ حارثةَ بنِ سُراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤- أُمُّ حذيفةَ بنِ اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٥- أُمُّ زيدِ بنِ ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٦- أُمُّ سعدِ بنِ عُبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٧- أُمُّ عبدِ الله بنِ بُسْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٨- أُمُّ معاذِ بنِ الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٩- أُمُّ معاذِ بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١٠- أُمُّ النُّعمانِ بنِ بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

أُمُّ بشر بن البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ

ﮪ في بيتها نزلَ الأمرُ الإلهيُّ بتحويل القبلةِ إلى المسجد الحرام.

ﮪ لأُمِّ بشر مقالةٌ مسموعةٌ ومآثرُ محمودةٌ أيام النُّبوةِ.

ﮪ مات ابنُها مسمومًا في غزوة خيبر، ولحقَ بركب الشُّهداء.



أُمُّ بِشْر بن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

في رِحَابِ الصُّحبَة:

❋ كان زوجُها أحدَ النُّقباءِ ليلةَ العقبةِ، وأوَّلَ مَنْ بايعَ ليلةَ العقبةِ الأُولى، وكان فاضلًا تقيًّا ورعًا، مات قبل هجرة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينةِ بشهر.

❋ وابنُها من كبارِ أهل بدر، مات مسمومًا أيَّامَ غزوةِ خيبر، وكلا الصَّحابيَّيْن: زوجُها وابنُها ماتا في حَيَاة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❋ إذن لهذهِ الأُمِّ الكريمةِ مساحةٌ لا بأس بها في واحات نساء الصَّحابة وأُمَّهاتِهم، كما أنَّ لها مقالةً مسموعةً، ومواقفَ محمودةً أيام النُّبوة، ولها مناقبُ نادرةٌ بين أُمَّهات الصَّحابة، أسلمتْ مع ذويها في المدينةِ النَّبويةِ قبلَ الهجرة.

❋ وهذه الأُمَّ هي: خُليدةُ بنتُ قيس الأنصاريَّةُ(١)، تزوَّجَها البراءُ بنُ معرور، فولدتْ له بشْرَ بنَ البراء الصَّحابي المشهور، أسلَمت خُليدة(٢)، وبايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروت عنه.

---

(١) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٩٦)، والاستيعاب (ص٩٤٦)، وأسد الغابة (٧/ ٢٩٤)، وأعلام النساء (١/ ٣٥٦)، وتلقيح فهوم الأثر (٣٣٠)، وشرح المواهب اللدنية (٣/ ٢٤٩)، والإصابة (٨/ ٦٤) وغيرها، وذكر ابن حجر أن اسمها خليسة.

(٢) **خُلَيدة**: هناك أربعُ نسوةٍ لهنَّ صحبةٌ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلُّ واحدةٍ منهنَّ اسمها خُليدة، وهنَّ: خليدةُ بنتُ ثابت بن سنان الخدريةُ، خليدةُ بنتُ الحباب بن جزء، خليدةُ بنتُ قعنب الضَّبية، وخليدةُ بنتُ قيس زوجةُ البراء بن معرور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين. تلقيح فهوم الأثر (ص٣٣٠).

وقد سمَّت العربُ خالدًا، وخُويلدًا، ومخلدًا، وخُليدًا، ويَخْلُدَ، وخلادًا، وخَلْدة، وخالدة، وخُليدة. لسان العرب، مادة: خلد، وتاج العروس (٨/ ٦٤).

* وذكروا أنَّ لبشرٍ ثلاثَ أخوات، هن: هندُ، وسلافةُ، والربابُ، وكلهنَّ أسلمن وبايعْنَ رسولَ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[١].

دارُ أُمِّ بشر:

* إنَّ بعضَ أُمَّهاتِ الصحابةِ لهنَّ مناقبُ خاصَّة، ومنهنَّ أُمُّ بشْرِ التي تبوَّأت منزلةً ساميةً بين أُمَّهات الأنصار، حيث إنَّ لها منقبةً باهرةً؛ ففي بيتها نزل الأمرُ الإلهيُّ بتحويل القبلةِ إلى البيتِ الحرام، وكان رسولُ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يهوى الكعبة، فولَّاه اللهُ قبلةً كان يرضاها ويهواها[٢].

* روى جمهورُ أهلِ العِلْم والحديثِ أنَّ التَّحويلَ من بيت المقدسِ إلى الكعبةِ المشرَفَة؛ كان في منتصفِ شهرِ رجب من السَّنةِ الثَّانيةِ للهجرة، وقد رواهُ الحاكمُ بسندٍ صحيح عن ابنِ عبَّاس رَضِىَٱللَّهُعَنْهُمَا، فما قصَّةُ ذلك التَّحويل، وأينَ أُمُّ بشْر من هذه القصَّةِ الماتعةِ النَّافعة؟

* زارَ النَّبيُّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السَّيدةَ السَّخيَة أُمَّ بشر[٣] بن البراء بن معرور في بني سَلِمَةَ خارجَ المدينةِ النبويةِ، فصنَعَتْ له طعامًا، فتغدى النبيُّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابُهُ

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٧٣)، والإصابة (٨/ ٧٨و١٠٩و٢٠٣)، قال ابنُ عبد البرّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «أُمُّ بشر بنُ البراء بن معرور الأنصاريةُ، ويُقال لها: أمّ مبشّر أيضًا، قيل: اسمُها خُليدة، ولم يصحّ». الاستيعاب (ص٩٤٦).

(٢) إلى هذه المعاني اللطيفة والمقامات المنيفة أشار بعضهم بقوله:

كَمْ للنَّبيِّ المُصطَفى مِنْ آيةٍ غرَّاء حارَ الفِكْرُ في مَعْناها
لما رأى البَاري تقلُّبَ وجههِ ولَّاهُ أيمنَ قِبْلَةٍ يَرضَاها

(٣) قال عليُّ برهانُ الدِّين الحلبيُّ في تعليقٍ له على دخولِ رسولِ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وزيارته للصَّحابية الجليلة أُمِّ بشر: «أقولُ: وبدخوله على أُمِّ بشر، وعلى الرُّبيِّع بنتِ معوِّذ ابن عفراء، وعلى أُمِّ حرام بنت ملحان، وعلى أختها أم سُليم، والخلوة بكلّ منهنَّ، فقد كانت أمُّ حرام بنتُ ملحانِ تفلّي رأسَه الشَّريف، وينامُ عندها، استُدلَّ أنَّ من خصائصه جواز النّظر إلى الأجنبية، والخلوة بها، لأَمْنِهِ الفتنة... والله أعلم» السِّيرة الحلبية (٢/ ٢٤٩).

عندها، وجاءت صلاة الظهر، فقام رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابهُ للصَّلاة، وبعد أنْ صلى بهم ركعتَيْن إلى الشَّام؛ نزلَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتحويلِ القبلةِ، فاستدار النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في صلاتِهِ إلى الكعبةِ، واستدارَ معه أصحابه، فسُمِّي هذا المسجدَ: المسجدَ ذي القِبْلَتَيْن، ولا يزالُ مكانُهُ موجودًا إلى وقتنا هذا بالقربِ من المدينةِ المنورة، وفيه مكانُ القبلتَين[1]. وما أجمل أنْ نقرأَ هذه الهمسة عن تحويلِ القبلة:

المسجدُ الأقصى له تاريخُهُ في الأوَّلين

قد كانَ أوَّلِ قبلةٍ للأنبياءِ المرسلين

قد كان قبلتَنَا إلى أنْ هاجرَ الهادي الأمين

الوحيُ جاءَ إليهِ يحملُ أَمْرَ ربِّ العالمين

هيَّا توجَّهْ نحوَ مكَّةَ في الصَّلاة على يقين

الأمرُ نفَّذَهُ الرسولُ ومعه كلُّ المؤمنين[2]

كيفَ استُشهِدَ ابنُها؟

* نشأَ بشرٌ تحتَ كنفِ أُمِّه، فكانت ترعاهُ وتُوليه جُلَّ اهتمامِها، وتوجِّهُهُ ليتدربَ على ألوانِ الفروسيةِ حتى أصبحَ من الرُّماة المذكورين من أصحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد المغازي النبوية.

---

(١) انظر: المنتظم (٣/ ٩٣) بتصرف يسير، وانظر: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٥٣٨)، وشرح المواهب اللدنية (٣/ ٢٤٩)، والسيرة الحلبية (٢/ ٣٥١)، وغيرها من مصادر.

ومسجد القبلتين: الأشهرُ في سببِ الاسم؛ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زارَ أُمَّ بشر بن البراء بن معرور في بني سَلِمَة، وحانَتْ صلاةُ الظهر، فصلى ركعتَيْن متجهًا إلى بيت المقدس، وركعتَين متجهًا إلى الكعبة... والمسجدُ لا يزالُ معروفَ العين، يزورُهُ كلُّ مَنْ أمَّ المدينة النَّبوية، وهو على شفير وادي العقيق. وقد أصبحَ اليوم من سنة (١٤٠٨هـ) من المساجدِ الحسنةِ البنيان، تُسَرُّ العينُ بالنظر إليه، ويقرُّ القلبُ للصلاة فيه. المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسِّيرة (ص٢٥٤).

(٢) تغريدة السيرة النبوية (٢/ ٧٠) بانتقاء.

* في سنةِ سبعٍ من الهجرة، خرجَ بشرٌ مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبرَ، وهنالك فتحَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الحصونَ الخيبريَّة على يدِ ليثِ المجاهدين، وبطلِ بني هاشم سيِّدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وحينما فرغَ المسلمون من هذه الغزوة، حاولَ اليهودُ اغتيالَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسُّمِّ، فقد أهدتْهُ امرأةٌ يهوديةٌ شاةً مشويةً مسمومةً، وأكثرتِ السُّمَّ في ذِراع الشَّاة حينما علمتْ أنَّه يحبُّه، فلمَّا أكلَ من الذِّراع أخبرتْه الذِّراعُ أنَّ الطَّعامَ مسمومٌ[١]، فلفظَ اللقمةَ، ثمَّ استجوبَ المرأة[٢]، فاعترفَتْ بجريمتِها، فلم يعاقبْها في حينها، ولكنَّه قتلَها حينما ماتَ بشرُ بنُ البراء من أثر السُّمِّ، لما أكلَ مع النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣].

---

(١) ذكرَ هذه الحادثة النَّبوية، والمعجزةَ الظَّاهرةَ السُّبكيُّ في تائيته الشَّهيرة، فقال:

وخيبرُ في أخبارِها آيُ مُعجزٍ ... لمن بلغَتْه قصةُ الخيبريةِ
أتتكَ بِشَاةٍ سُمَّ لحمُ ذراعِها ... ولم تَدْرِ أنَّ اللهَ قاضٍ بعصمةِ
فأحييتَ عضوَ الشَّاة بعد مماتِها ... فَفَاهَ بنطقٍ موضحٍ للنَّصيحةِ
وقالَ رسولَ اللهِ لا تَكُ آكلي ... فَزَينَبُ سَامَتْنِي الهوانَ وسمَّتِ

المجموعة النبهانية (١/ ٥٣٢).

(٢) هذه المرأةُ اليهوديةُ هي: زينبُ بنتُ الحارث، أختُ مرحب اليهوديّ، وهي امرأةُ سَلَام بن مِشْكَم. وقد اختلفَ أهلُ العلْم: هل قَتَلَها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمْ لا؟ فالزُّهريُّ قال: إنَّها أسلمَتْ فتركها، ونقل ابنُ سحنون إجماعَ أهل الحديثِ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَها. وقال جابرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَتَلَها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَتَلَها لما مات بشرُ بنُ البراء. وفي روايةِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفَعها إلى أولياء بشرِ بنِ معرور، وكان أكل من الشَّاة فمات، فقتلوها؛ فلم يقتلْها في الحالِ، فلما ماتَ بشرٌ سلَّمها لأوليائه، فقتلوها قِصاصًا، فهذا أظهرُ من غيره. والله تعالى أجلُّ وأعلم. الآداب الشرعية (٣/ ٧٩) بشيء من التصرف، وقصة هذه المرأة اليهودية مشهورة في كتب الحديث والسيرة وغيرها.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٦/ ٣٢٨-٣٣١) بتصرف، وانظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٩٦)، والآداب الشرعية (٣/ ٧٧-٧٩) وللحديث أصل في الصحيحين، في البخاري برقم (٢٦١٧و٤٤٢٨و٥٧٧٧)، ومسلم برقم (٢١٩٠)، وأبي داود برقم (٤٥١١)، والمستدرك (٣/ ٢١٩و٢٢٠).

* وهكذا كانت أُمُّ بشْر السَّيدةُ خليدةُ أُمَّ شهيدٍ قَضَى نَحبَه وهو يجاهدُ مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإعلاءِ كلمةِ الله، فصبرَتْ واحتسبتْ واستسلمتْ لأوامرِ وقضاءِ العزيز الحميد.

«أنـا وابنُك»:

* تحتوي سيرةُ أُمِّ بشر بين ثناياها على فوائدَ مهمةٍ، ومعلوماتٍ قيمةٍ، ومنها أنَّها كانت تدخلُ البيتَ النَّبويَّ، وتسألُ عن أحوالِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* ولنتركْ زمامَ الكلام لأُمِّ بشر لتخبرَنا كيفَ دخلَتْ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضهِ الذي ماتَ فيه، فتقولُ: «دخلتُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضهِ الذي ماتَ فيه وهو محمومٌ، فمَسَسْته، فقلتُ: ما وجدتُ مثلما وُعكَ عليك على أحدٍ! فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كما يُضاعَفُ لنا الأجرُ كذلك يُضَاعفُ لنا البلاءُ، زعمَ النَّاسَ أنَّ برسولَ الله ذات الجَنْب، ما كان الله ليُسَلِّطَها عليَّ، إنَّما هي همزةٌ منَ الشَّيطان، ولكنَّه من الأَكْلَةِ التي أكلتُ أنا وابنكِ يومَ خيبر، مازالَ يصيبُني منها عدادٌ حتى كان هذا أوان انقطاعِ أبهري**»، فماتَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهيدًا»[1].

تَرِبَتْ يَدَاكِ:

* كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلِّمُ أصحابَه إذا سألوهُ عن شيءٍ، وفي يومٍ منَ الأيام جرى حوارٌ بينه وبينهم في بيتٍ تشرَّفَ أهلوهُ بالزِّيارة النَّبويَّة، وهذا البيتُ هو بيتُ أُمِّ بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويومَها سألَهُ بعضُ أصحابه عن الأرواحِ، فكانت الإجابةُ النَّبويةُ كما نسمعُها من أُمِّ بشر.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٩٧)، ومختصر تاريخ دمشق (٢/ ٣٧٥)، والمستدرك (٣/ ٢١٩)، والمغازي (ص٦٧٩)، والحديث أخرجه البخاري معلقًا برقم (٤٤٢٨)، وقوله «الوعك»: الحمىّ، و«ذات الجنب»: هي الدُّمَّلُ الكبيرةُ التي تظهرُ في باطن الجنب، وتنفجرُ إلى الداخل، وقلّما يسلمُ صاحبها. و«عداد»: وجع. و«أبهري»: العِرق المتعلّق بالقلب.

* أخرجَ أبو نُعيم الأصبهانيُّ بسنده عن أُمِّ بشر رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «كان رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في بيتي في نَفَرٍ من أصحابه يأكلُ من طعامٍ صنعْتُه لهم، فسألوهُ عن الأرواحِ، فذَكَرها بذكْرٍ امتنعَ القوم من الطَّعام، ثم قال من بعد: «**أرواح المؤمنين طيورٌ خُضْرٌ في حُجَرِ من الجنَّة، يأكلون من الجنَّةِ ويشربون، يتعارفون، يقولون: ربَّنا أَلْحِقْ بنا إخواننا، وآتِنَا ما وعدتنا، وأرواحُ أهلِ النَّار في حجر من النَّار، يأكلون من النَّار، ويشربون من النَّار، يقولون: ربَّنا لا تلحقْ بنا إخوانَنا، ولا تؤْتِنا ما وعدَتْنَا**»[١].

* وسألتْ أُمُّ بشر يومًا النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقالت: «يا رسولَ الله، هل يتعارفُ الموتى؟» فقال: «**تَرِبَتْ يَداكِ**»، وربما قال: «**تَرِبَ جبينُك، النَّفْسُ الطَّيِّبة طيرٌ خضرٌ في الجنَّة، فإن كان الطيرُ يتعارفون في رؤوسِ الشَّجر، فإنَّهم يتعارفون**»[٢].

* ظلَّ خيالُ ابنها بشر ماثلًا في وجدانها من خلالِ سؤالها للنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن تعارفِ الموتى، ولذلك فإنَّها أَوصَتْ كعبَ بن مالك[٣] رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ حينما حضرتْهُ الوفاةُ أن يقرئَ ابنَها بشرًا السَّلامَ؛ وهذا ما تشفُّه السُّطورُ الآتية...

* روى عبدُ الله بنُ كعب بن مالك قال: «لما حضَرَتْ كعبًا الوفاةُ، أتتْه أُمُّ بشر بن البراء، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، إن لقيتَ ابني فأقرئْه منِّي السلام، فقال: يغفرُ اللهُ لكِ يا أمَّ بشر، نحنُ أشغلُ من ذلك، فقالت: أَمَا سمعتَ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**إنَّ نسمةَ المؤمن تسرحُ في الجنَّة حيثُ شاءت، وإن نسمةَ الكافر في سِجِّين**» قال: بلى، قالت: فهو كذلك»[٤].

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم برقم (٤٠٥٦)، وانظر: الإصابة (٨/ ٢١٦) و(٨/ ٢٧٩)، والاستيعاب (ص٩٤٦).

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٩٦).

(٣) اقرأ سيرة كعب بن مالك الأنصاري في الباب الثاني من كتابنا: فرسان من عصر النبوة.

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم (١٤٤٩)، والطبراني (١٩/ ٦٥و٦٦) و(٢٥/ ١٠٤و١٠٥)، وأحمد برقم (١٥٧١٦)، وانظر: أسد الغابة (٧/ ٢٩٤)، والإصابة (٨/ ٢١٥و٢١٦)، ومختصر تاريخ دمشق (٢١/ ١٩١)، والدر المنثور للسيوطي (١٥/ ٢٩٦) وغيرها.

سَلامًا أمَّ بشْر:

* رأينا في الفِقْراتِ السَّابقة أنَّ خُليدةَ أمٌّ صادقةُ الشِّيم، سابقةٌ بالكَرَم، ذات تقىً وصلاح، وندىً وسماح، وعلْم وفلاح، فهي من الأُمَّهات ذواتِ القَدْر الكبير، وممن روى الحديثَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. روى عنها: عبدُ الله بنُ كعب بن مالك، ومجاهدُ ابنُ جبر.

* ومن مرويّاتها هذا الحديث الذي يداعبُ أنفاسَ النَّسيم، ويحمل نَفَحات العطْر إلى المحبِّين، وقد أخرجَهُ ابنُ سعد بسندٍ عن مجاهد، عن أُمِّ بشر بن البراء بن معرور قالت: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ لأصحابِهِ: «**ألا أنبِّئكُم بخيرِ النَّاس رجُلًا؟**» قالوا: بلى يا رسولَ الله، قالت: ورمى بيده نحو المغربِ، فقال: «**رجُلٌ آخذٌ بعنانِ فرسهِ ينتظرُ أنْ يُغيرَ أنْ يُغار عليه، ألا أنبئكُم بخيرِ النَّاس رجُلًا بعده؟**» قالوا: بلى يا رسولَ الله، قالت: ورمى بيده نحو الحجازِ، فقال: «**رجلٌ في غنمهِ يقيمُ الصَّلاة، ويؤتي الزَّكاة، ويَعْلَمُ حقَّ اللهِ عليه في مالهِ، قد اعتزلَ شرورَ الناس**»[(١)].

* بقيت أُمُّ بشر زمنًا بعد وفاةِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعلَّها توفيت في أواخرِ الخلافة الراشدة؛ لأنَّ مجاهدَ بنَ جبر، وعبدَ الله بن كعب قد رَوَيَا عنها، وكلاهما عاصَرَ شطرًا من الخلافةِ الرَّاشدةِ والأمويّةِ، واللهُ تعالى أعلم.

* رضيَ الله عن خُليدة أُم بشر، وجعلنَا مع الذين رضي عنهم في جنَّات ونهر، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].



(١) طبقات ابن سعد (١٠/ ٢٩٦و٢٩٧)، والاستيعاب (ص٩٤٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ٥١٥).

أُمُّ جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم

ﷻ أُمُّ نجيبةٌ منجبةٌ اسمها أُنيسةُ بنتُ عنمةَ الأنصاريّةُ.

ﷻ استُشهد زوجُها عبد الله بنُ عمرو في غزوة أُحُد مع أقربائه.

ﷻ ابنُها جابرٌ من كبار العُلماء والحفاظ المكثرين.



أُمّ جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

مَع نجيباتِ الأُمَّهات:

* تَسْري نجابةُ الأُمَّهاتِ إلى الأبناءِ في كثيرٍ من الأحيان، فينشأُ الأولادُ وهم يحملون النَّجابةَ، فيكونون ذوي شأنٍ ومكانةٍ في المجتمعاتِ، فكم منْ أُمٍّ كانت من وراءِ شُهرةِ ابنها، وارتقائِهِ سدَّة المجدِ والرِّفْعَة والسَّناء.

* وحينما تُذْكرُ أُمَّهاتُ الصَّحابة، وتُتلى محاسنُ تربيتهنَّ على بناتِ حوَّاء، فلابَّد أنْ نعرفَ سيرةَ هذه الأُمِّ النَّجيبة التي ولدَتْ صحابيًّا[1] نجيبًا مُحبًّا من أكابرِ العُلماء في عَهْدِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان هؤلاءُ الأصحابُ بركةً على الأُمَّةِ، حيث إنَّهم أَدّوا عن الصَّادقِ المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أدَّى إليهم، ومضوا على منهاجِهِ، فكانوا مفاتيحَ خيراتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* وينبغي على كُلِّ محبٍّ أن يحتفيَ بهؤلاء الأُمَّهات المُنجبات ويحترمهنَّ، ويعرفَ قدرهنَّ وفضلهنَّ وتضحيتهنَّ في سبيل إعلاءِ كلمةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، فقد اهتدينَ بهدي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان لهنَّ من الإيمانِ واليقين والرضا والتَّسليم ما لا يشركهنَّ فيه أحدٌ من النِّساء بعدهنَّ، ومنهنَّ هذه الصَّحابيةُ الكريمةُ الفاضلةُ الصَّابرةُ: أنيسةُ بنتُ عنمةَ الأنصاريَّةُ الخزرجيَّةُ السُّلميَّةُ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) **صحابيٌّ**: مفردٌ وجمعُها: أصحابُ، وأصاحيبُ، وصحبان، وصحابٌ، وصَحْبٌ، وصَحابةٌ، وصِحابةٌ. ومؤنَّثُ الصَّحابي: الصَّحابية، وجمعُها: الصَّحابيات. انظر: المعاجم اللغوية المتنوعة، مادة: صحب.
والصَّحابي: مَنْ لقيَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، وماتَ على الإسلام. قال السُّيوطي في ألفيته:

حدُّ الصَّحابي مُسلمًا لاقى الرَّسُول ... وإنْ بلا روايةٍ عنه وطُول

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٨٠)، والإصابة (٨/ ٢٣)، وتاريخ مدينة دمشق (١١/ ٢١٣)، وعلماء الصحابة (٤٤٥)، وغيرها.

مِنْ أُمَّهَات الحفَّاظ المُكثرين:

* ما نالَتْ هذه الأُمُّ شهرةً كبيرةً، ولم تأخذْ صيتًا بعيدًا بين أُمَّهات الصَّحابة، ولكنَّ شهرةَ ابنها طاولتِ الجوزاءَ، فهو من الأئمةِ السَّادةِ العدولِ، ومن الرُّواةِ المعدودين، إذ يُعدُّ من أصحابِ الألوفِ في الرِّواية، وقد نظَمهم بعضُ العُلماء فقال:

صَحِبَ النَّبيَّ ذوو الآلافِ عدّتهم ... قُلْ سبعةٌ نجبٌ بالفضْل قَدْ رأَسُوا

أبو هريرةَ عبدُ اللهِ عائِشَةٌ ... وجَابرٌ وابنُ عبَّاس كذا أَنَسُ

وأبو سَعيدٍ روى ألفًا ويتبعُها ... سبعونَ مع مئةٍ يُجلى بها الغَلسُ[1]

* وابنُ أنيسةَ أحدُ هؤلاءِ السَّبعةِ الأخيارِ النُّجب، وهو جابرُ بنُ عبد الله الأنصاريُّ، سليلُ بيتٍ عريقٍ في النَّجابة والإيثار، فهو صحابيٌّ ابنُ صحابيٍّ ابن صحابيةٍ؛ زوجُ صحابية[2]، أخو صحابيات، وساعَدَ في ارتقاء هؤلاء سدَّة الفَضْل السَّيِّدة أُنيسة أُمّ جابر رَضِيَٱللَّهُعَنهُم أجمعين.

* قُلْتُ: «إنَّ أُمَّهاتِ حفاظ الحديث من أصحاب الألوف أسلمْنَ جميعًا، وكُنَّ سبعًا، وهنَّ: أُمُّ أبي هريرة، أُمُّ عبد الله بن عمر، أُمُّ عائشة أُمِّ المؤمنين، وأُمُّ عبد الله بن عبَّاس، وأُمُّ جابر بن عبد الله، وأُمُّ أبي سعيد الخدريّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُنَّ وعن أبنائهنَّ[3].

---

(١) الذَّيلُ على رفعِ الإصر (ص٤٠٠).

(٢) زوجةُ جابر بن عبد الله اسمها: سُهَيمةُ بنتُ مسعود بن أوس الأنصاريةُ الظفريةُ، ولدتْ له ابنهُ عبد الرحمن، بايعتْ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ. الإصابة (٨/ ١١٦).

روى جابرٌ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنَّ امرأةً قالت للنَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «صَلِّ عليَّ، وعلى زوجي» فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**صلَّى الله عليكِ وعلى زوجك**».

وفي رواية: «صَلِّ عليَّ وعلى زوجي -أو: صَلِّ علينا-»، فقال: «**اللهمَّ صَلِّ عليهم**» مجمع الزوائد (٤/ ١٣٥- ١٣٧).

وفي روايةٍ عن جابر تدلُّ صراحةً على أنَّها زوجتُه: «... فلمَّا ذهبَ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ ينهضُ، قالت صاحبتي: يا رسولَ الله دعواتٌ منك، قال: «**نعم، فبارك الله لكم... نعم، فبارك الله لكم**» هكذا مكررًا.

(٣) اقرأ سير هؤلاء في كتابنا: علماء الصَّحابة، وأمهات الصَّحابة، ونساء أهل البيت، ونساء من عصر النبوة.

السَّابقةُ المُربِّيَةُ:

❋ تذكرُ كبرى المصادرِ أنَّ السَّيِّدةَ أنيسةَ من نساءِ الأنصار الكريمات، وأنَّها تزوَّجَتْ من عبدِ الله بنِ عمرو الأنصاريِّ، ولما أتى اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالإسلام سارعَتْ إليه، وبايعَتْ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❋ شرعَتْ أنيسةُ تسكبُ الأنوارَ الإيمانيةَ في قلْبِ ابنها الذي كان في عمْرِ زَهرةٍ غافيةٍ بين أناملِ الأغصان النَّاعمة، وكذلك راحت تُعَلِّمُ بناتِها اللاتي استجبنَ لله والرّسول.

❋ وقُبَيلَ الهجرة، وفي أيام بيعةِ العقَبة كان ابنُها جابرٌ أصغرَ السَّبعين من أصحابِ العقبة، فقد ولدت أنيسةُ جابرًا قبل البعثةِ النَّبويَّة بأربعةِ أعوام، وشهدَ العقبة مع أبيه وخالِه، فكانوا من أهلها الذين بايعوا رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❋ وكان ابنُها أيضًا من أهلِ بيعة الرِّضوان، ومن أهلِ السَّوابقِ والسَّبق في الإسلام، شهدَ المشاهدَ كلَّها سوى غزوتَي بدرٍ وأُحُدٍ، وهو آخرُ مَنْ ماتَ من أهلِ بيعةِ العقبة الثَّانية، بل آخر مَنْ مات من أصحابِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالمدينةِ المنوَّرة، وكانت وفاتُه سنة ٧٨هـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ادفنُوا القَتْلى في مَصارعهم:

❋ لا نمتلكُ أخبارًا كافيةً عن أُمِّ جابر، غيرَ أنَّ ابنها وافى محبِّي الصَّحابة ببعضِ الشَّذَرات عن أُمِّه، فهي زوجُ شهيدٍ قضى نَحْبَه يومَ أُحُدٍ، وحاولتْ أنيسةُ أنْ تدفنَه في المدينة لكنَّ الأوامرَ النَّبويَّةَ أمرتْ بخلافِ إرادتها.

❋ فعن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أُصيبَ أبي وخالي يوم أُحُدٍ، فجاءت أُمِّي بهما، وقد عرضتْهما على ناقةٍ، فنَادى مُنَادي رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ادفنُوا القَتْلى في مصارعهم، فَرُدَّا»[١].

(١) الإصابة (٨/ ٢٣).

* وتَتَّفِقُ الرِّواياتُ على أنَّ جابرًا قد منَعَهُ أبوهُ من حضور غزوةِ أُحُد، وأَمَرهُ أنْ يرجِعَ، وناشَدَهُ ألا يتركَ نساءَه، ورجعَ جابرٌ إلى النِّساء ليكونَ قريبًا منهنَّ، بعد أنْ أذن له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

* أَمَّا أخواتُ جابرٍ فكُنَّ تسعًا، ولا نعلمُ إنْ كُنَّ كُلهنَّ شقيقاته، فَلَمْ يذكرِ الرُّواة أنَّ والدهُ عبدَ الله بنَ عمرو قد تزوَّجَ عددًا من النِّساء[2]، فالرَّاجحُ أنهَّنَّ شقيقاتٌ له، واللهُ أعلمُ.

* وأمَّا أُنيسةُ أُمُّ جابرٍ، فلعلَّها ظلَّتْ في المدينةِ في كتفِ ابنِها، ولا نعلمُ متى جاءتها سكرةُ الموتِ، فتواريخُ الصَّحابيات لم توضِّحْ هذا الأمرَ، والذي يظهرُ للباحثِ أنَّ وفاتَها كانت في المدينةِ النَّبويَّةِ خلال حياةِ ابنها جابر، واللهُ تعالى أعلم.

* رضي الله عن الأسرة الجابريةِ: عن والديهِ وأخواتِه، وعن سائرِ أصحابِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونفعَنا بسيرهم وحشَرنا في معيتهم، وأَلْهم نساءنَا أنْ يقتدينَ بهؤلاء الأُمَّهات.



(١) الإصابة (٨/ ٢٣)، والحديث في صحيح مسلم.

(٢) انظر: أسد الغابة (٧/ ٤٠٠)، والمنتظم (٦/ ٢٠٢)، وتاريخ مدينة دمشق (١١/ ٢٢٠و٢٢١)، والوافي بالوفيات (١١/ ٢٢)، وتجريد أسماء الصحابة (٢/ ٣٣٨) برقم (٤١٠٥).

أُمُّ حارثَةَ بن سراقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

ﮪ صابرةٌ مجاهدةٌ ربَّتِ ابنَها على صفاءِ التَّوحيد.

ﮪ قُتِل ابنُها في بدر، فأصابَ الفردوسَ الأعلى.

ﮪ منزلتُها عُليا بين الصَّحابيات وأخبارها تنعشُ النفوس.



أُمُّ حارثة بن سُراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

«أنتم منْ أحبِّ النَّاس إليَّ»:

* نبتَتْ وشيجةُ الحبِّ في بستانِ المحبَّةِ بين النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين الأنصار بعامة، وتفصحُ مواقفُهم عن صدقِ إيمانهم بالله ورسولِه؛ وقد بادَلَهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبَّهم بحبٍّ أعظمَ وأكرمَ، وشملَ حبّه رجالَهم ونساءَهم، وشِيبَهم وشبابَهم، وأطفالَهم وغلمانَهم، فقال لهم: **«أنتمْ من أحبِّ النَّاس إليَّ»** وقال لهم مرّةً أخرى: **«يعلمُ الله أنَّ قلبي يحبُّكم»**[1]، وأقسمَ مرّةً فقال لهم: **«واللهِ؛ وأنا أحبُّكم»**.

* وإذا نَمَتْ وشائجُ الإيمانِ على الحبِّ الصَّافي، فإنَّ عظائمَ الأحداثِ تعجزُ عن فَصْم عُراها الوثيقة، ولهذا كان إيمانُ أمّهاتِ الصَّحابة ذا أثرٍ كريم في تربيةِ أولادهنَّ، حيث تركْنَ حروفًا من النُّور في سجِّلات العظائم.

* أشرقتِ المدينةُ بهجرةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستبشرَ أهلها بمقدمه الشَّريف، أخرجَ البخاريُّ عن البراءِ بنِ عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة في الهجرة، فما رأيتُ أشدَّ فرحًا منهم بشيءٍ من النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى سمعتُ الغلمانَ والنِّساءَ والإماءَ يقولون: هذا رسولُ الله قد جاءَ، قد جاءَ».

---

(١) عن سيِّدنا أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مرَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحيٍّ من بني النَّجَّار، وإذا جوارٍ يضْربْنَ بالدُّفوفِ، يقُلْنَ:

نحنُ جَوَارٍ منْ بني النَّجَّارِ يا حبَّذا محمدٌ منْ جَارِ

فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يعلمُ اللهُ أنَّ قلبي يحبّكم»** وفي صحيح البُخاريِّ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رأى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النّساء والصِّبيان مقبلين، فقام النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممثلًا -أي انتصبَ قائمًا- فقال: **«اللهمَّ أنتم مِنْ أحبِّ النَّاس إليَّ...»** قالها ثلاث مرات.

* وتفرَّقَ الغلمانُ والنِّساءُ والنَّاسُ ينادون: جاء رسولُ الله، فأشرقتِ المدينةُ بحلولِ المحبوبِ، وسرى السُّرورُ إلى حنايا القلوبِ، وشكروا علّام الغيوبِ.

* ولعلَّ أمَّ هذا الصَّحابي التي نحفلُ بقراءةِ سيرتها كانت تقولُ: «هذا رسولُ الله قد جاء»، وهذه الأمُّ هي: أمُّ حارثة بن سراقة، واسمُها: الرُّبِّيعُ بنتُ النَّضر بنِ ضمضم النَّجَّاريَّةُ الأنصاريَّةُ[1]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

* تزوَّجَ الرُّبيعَ سراقةُ بنُ الحارث النَّجَّاريُّ، فولدت له حارثةَ، وأُمَّ عمير، أو: أُمّ عُبيد، أسلمَتْ أمُّ حارثة هي وزوجُها وأخوها أنسُ وابنُها وابنتُها، وبايعوا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما أنَّ أمَّ حكيم بنت النَّضر أختَ أمِّ حارثةَ قد أسلمتْ وبايعت رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

إخلاصُها في تربيةِ ابنها:

* أمومةُ أمِّ حارثة يُحتذَى بها، فقد كانت تَزِنُ الأمورَ بميزانِ الإسلام، وقد ربَّت ولديها: حارثة، وأخته أمّ عبيد[3] على مائدةِ الإخلاص والصَّفاء والوفاء.

* ويعدُّ ابنُها حارثةُ بنُ سراقة من فتيةِ الأنصار الذين آمنوا بربِّهم فزادهم هدى، وآخى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينَه وبين السَّائبِ بنِ عُثمانَ بنِ مظعون.

* كان حارثةُ غلامًا فَطِنًا نبيهًا، أدركَ على صِغَرِ سنِّه مرتبةَ الشَّهادة والشُّهداء، وماهم عند ربِّهم من الأجرِ والمثوبة، فكان يسألُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يدعوَ له الله ليُقْتَلَ

---

(١) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٣٩٤) ترجمة رقم (٥٣٩٨)، والإصابة (٨/ ٨٠)، وأسدُ الغابة (٧/ ١١٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٤)، وفتح الباري (٦/ ٢٦)، وغيرها.

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٩٤و٣٩٥) ترجمة رقم (٥٣٩٩).

(٣) **أمُّ عبيد**: هي أمُّ عبيد بنتُ سراقةَ بنِ الحارث النَّجاريَّةُ، وهي أختُ حارثة بن سراقة لأبيه وأمّه، وأمُّها: الرُّبيعُ بنتُ النضر. تزوّج أمّ عبيد رافعُ بنُ زيد، ثم خلفَ عليها تميمُ بنُ غزية النجارية، أسلمت أمُّ عبيد هي وأمّها، وبايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٩١و٣٩٢).

في سبيله، فكان له ما طلب، وفاز بالشَّهادة، وتبوَّأ الفردوسَ الأعلى، كما أخبرَ الصَّادقُ المصدوقُ الذي ما ينطقُ عن الهوى، فكان شهيدًا ابنَ شهيد[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

* تَلَذُّ الأعينُ بمطالعة سيرِ هؤلاء الأُمَّهات اللواتي أبدعنَ في تربية أولادهنَّ؛ وقد آنسَ الحلبيُّ القلوبَ لما تكلَّم عن حارثةَ ابنِ الرُّبِّيع[٢] فقال: «... وقد كان حارثةُ سألَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يدعوَ له بالشهادة، فقد جاء أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لحارثةَ يومًا وقد استقبله: «**كيفَ أصبحتَ يا حارثةُ؟**» قال: أصبحتُ مؤمنًا بالله حقًّا، قال: «**انظرْ ما تقولُ، فإنَّ لكلِّ قولٍ حقيقةً**» قال: يا رسولَ الله، عزلتُ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، فكأنِّي بعرشِ الرحمن بارزًا، وكأنِّي أنظرُ إلى أهلِ الجنَّة يتزَاورون فيها، وكأنِّي أنظرُ إلى أهلِ النَّار يتعاوَون فيها، قال: «**أبصرتَ فالزمْ عبد**»، أي: أنت عبدٌ بذَرَ اللهُ الإيمانَ في قلبهِ، قال: ادعُ اللهَ لي بالشَّهادة، فدعا له رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك»[٣].

* تشرَّبَ هذا الابنُ الموفَّقُ حارثةُ هذه الأحوالَ المنيفةَ من أمِّه الرُّبيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقد كانت تصوغُ محبَّةَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسكبُها في فؤادِ ابنها حارثة الغلامِ اليافعِ، الذي أبصرَ الحقَّ، فَنَبَتَتْ بذورُ الإيمان في نفسِه، فكان من الموفَّقين بفضلِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

ابنُها بَدْريٌّ شَهيدٌ:

* تتعلَّمُ نساءُ المسلمين من أمِّ حارثةَ أصولَ الأمومة، وتربيةَ الأبناءِ على حبِّ الله ورسولِه، فقد أثبتَتْ أمُّ حارثة هذه الأمور عَمَليًّا، وخاصّةً بعد أنْ نالَ ابنُها وسامَ

---

(١) قُتِلَ سراقةُ والدُ حارثة يومَ حُنين شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **الرُّبَيِّع**: سمَّى العربُ بناتِهم باسم: الرُّبيع، تصغير رَبيع، ومن الصَّحابيات ممن تُدعى الرُّبيع: الرُّبيع بنتُ معوِّذ بنِ عفراء الأنصارية؛ بايعَتْ تحتَ الشَّجرة، والرُّبيعُ بنتُ حارثة بن سنان الخدرية، والرُّبيعُ بنتُ النّضر أمّ حارثة، والرُّبيعُ بنتُ الطُّفيل بن النُّعمان، وكُلهنَّ من نساء الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين، وحشَرنا في معية الصَّحابة.

(٣) انظر: السِّيرة الحلبية (٢/ ٢١١) طبعة مصر عام ١٢٩٢هـ. ولله درُّ من وصف هؤلاء الصحابة بقوله:

ورجَـــالٌ لم يَخُـــونـوا عَـهْـدهـم صـدقُـوا مـا عـاهـدوا الله عليه

الشَّهادة، حيث خرجَ يومَ بدرٍ مع الأنصارِ إلى الجهادِ، ولم تفارقْ مُخيِّلَتَه صورةُ أُمِّه التي ودَّعته بالدعاء، وأوصتْه بالإخلاص والثَّبات.

* بدأتِ المعركةُ مبارزةً، ثم اشتبكتِ السُّيوف، واشتجرتِ الرِّماحُ، وجعل المسلمون يذكرون اللهَ ذِكْرًا كثيرًا، فلاحت بواسمُ النَّصر، وراحوا يقتلون فريقًا، ويأسرون فريقًا، لكنَّه في بدايةِ المعركة قُتِل مِهْجَع[1] مولى سيِّدنا عمر بن الخطاب، رُميَ بسهمٍ فقتلَه.

* قال ابن إسحاق: «... فكان -مهجع- أوَّلَ مَنْ قُتِل، ثم رُميَ بعده حارثةُ بنُ سُراقةَ -وهو يشربُ من الحوض- بسَهمٍ فأصابَ نَحْرَهُ فماتَ»[2].

* وعن إصابةِ مِهْجَعٍ وحارثةَ نقرأُ هذه التَّغريدةَ اللطيفةَ التي تُترجمُ قصَّة استشهاد هذَيْن الصَّحابيَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

صَارَ التَّراشُقُ بالنِّبالِ لكونِهم مُتَباعدين

فأُصيبَ مِهْجَعُ ماتَ فورًا من سِهامِ المشركين

هو أوَّلُ القَتْلى بحقٍّ من رجالِ المُسلمين

وأصيبَ حارثةٌ بِسَهم قَاتِلٍ مِنْ قَاتِلين

(١) **مِهْجَع**: بكسر الميم، وفتح الجيم، مهجعُ بنُ صالح العكّيُّ مولى سيدنا عمر، أصلُه من عَكّ، فأصابه السَّبيُ وأعتقه عمرُ، وكان من السَّابقين إلى الإسلام؛ شهدَ بدرًا واستُشْهِد بها، وكان أوَّل مَنْ قُتِل ذلك اليوم، ولا يوجدُ في الصَّحابة من اسمه مهجعٌ غيره، وهو من سادة السُّودان، وقد نظمَ أحدهم السَّادة من السُّود فقال:

سَادةُ السُّودان أربع ... هكذا قال المشَفَّع

النَّجاشي وبلالٌ ... ثمَّ لقمان ومهجع!!

وقال الزَّبيديُّ: «مهجعُ بنُ صالح، مولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أوَّلُ شهيد استُشْهِدَ يومَ بدر» تاج العروس (٢٢/ ٣٨٥)، والاستيعاب (ص٧٠٣)، والإصابة (٦/ ١٤٦) مع الجمع والتصرف.

(٢) السيرة النبوية (١/ ٦٢٧)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ١١٤)، وصحيح السيرة النبوية (ص١٧٩).

السَّهمُ مزَّقَ نَحْرَهُ أضحى شَهيدًا عن يقين[١]

* كان حارثةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممَّن شهد بدرًا، وكان في النَّظَّارة[٢]، كما كان أوَّلَ قتيل قُتِلَ من الأنصار، رماهُ حِبَّانُ ابنُ العَرِقة[٣] بسهم، وهو على حوضٍ، فأصابَ نحره فمات. ولما وصلَ خبرُ مقتلِهِ إلى أمِّه كان لها موقفٌ باهرٌ، جعلها من أعظم أمهات الشُّهداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فما حقيقةُ هذا الموقف؟

«إنَّ ابنَكَ أَصابَ الفِردوسُ الأَعْلى»:

* روى استشهادَ حارثةَ شاهدٌ من أهلِ أمِّه الرُّبيع: هو أنسُ بنُ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث رسمَ موقفَ عمَّتِهِ أمِّ حارثةَ، وابن عمته حارثة، وذلك فيما أخرجَهُ البخاريُّ عنه في فضلِ مَن شَهِدَ بدرًا قال: «أُصيبَ حارثةُ يومَ بدر، وهو غلامٌ، فجاءتْ أمُّهُ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: يا رسولَ الله، قد عرفْتَ منزلةَ حارثة منّي، فإن يكنْ في الجنَّةِ أصبرُ وأحتسبُ، وإنْ تكنِ الأُخرى، تَرَ ما أصنعُ. فقال: «**ويحكِ -أَوَ هَبِلْتِ- أَوَجنَّةٌ واحدةٌ هي؟ إنَّها جِنَانُ كثيرةٌ، وإنَّه في جَنَّةِ الفِردوس**»[٤]، وفي روايةٍ أخرى: «**إنَّها جِنَانٌ ثَمانٍ،**

---

(١) تغريدة السيرة النبوية (٢/ ٢١٦).

(٢) **النَّظَّارة**: جمع النَّظَّار، كشدَّاد: الجاسوس على العدو، يرقُب حركته، ويتلمس أخباره.

(٣) حِبَّانُ بنُ العَرِقَة: حِبَّان: بكسر الحاء، وتشديد الباء، والعَرِقة: بفتح العين وكسر الراء، ونقل الواقديُّ فتحها، وفتح القاف هكذا: العَرَقَة. والعرقة: هي أمُّه، وأبوه قيس. شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية (٢/ ٣٢٦) بتصرف، وانظر: المنتظم لابن الجوزي (٣/ ١٣٨).

(٤) أخرجَهُ البخاريُّ بهذا اللفظ في المغازي برقم (٣٩٨٢) وأخرجَهُ في مواضعَ أخرى برقم (٢٨٠٩ و٦٥٥٠ و٦٥٦٧)، وانظر: كتاب الغوامض والمبهمات (ص٣٥٤و٣٥٥)، والمستفاد من مُبهمات المتن والإسناد (ص١٧٢٣-١٧٢٥)، وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية (٢/ ٣٢٦)، وأخرجه الترمذي في التَّفسير برقم (٣١٧٣)، وقال أحمد البدوي بن محمدّا يذكر هذا الموقف في أرجوزته الجميلة عمود النّسب الشّريف:

حَارِثَـةُ القتيـلُ بعد مِهجَعِ ... وأمُّه عليهِ ذاتُ جَزَعِ
وسكَّنَ النَّبيُّ إذْ أخبرَها ... بنَيلِ نَجْلِها الجنَانَ جرَّها

وإنَّ ابنكِ أصابَ الفردوس[١] **الأعلى**» وههنا هجمَ السرُّور على أمِّ حارثةَ فأضحكَها بَعْدَما أبكَاهَا؛ لأنَّها علمت مصيرَ ابنها، وأنَّه في جنَّاتٍ ونَهر، عند مَليكٍ مُقتدر.

* قصَّ الحلبيُّ أقصوصةً لطيفةً في سيرتهِ مفادها أنَّ أمَّ حارثة حينما عرفت أنَّ ابنَها في الفِردَوس الأعلى، رجعت وهي تَضْحَكُ وتقولُ: «بَخٍ بَخٍ لكَ يا حَارِثةُ...».

* وفي روايةٍ: «أنَّه بلغَ أمَّه وأختَه وهما بالمدينة مقتَلُ حارثةَ، فقالتْ أمُّه: والله لا أبكي عليه حتَّى يقدمَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسألَه، فإنْ كان في الجنَّةَ لمْ أَبْكِ عليهِ، وأصبرُ وأحتسبُ، وإن كانَ ابني في النَّار بكيتُه، ولما عرَّفَها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانه في الفِردَوس سُرَّتْ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ، فَغَمَر يدَهُ فيهِ ومضمضَ فَاهُ، ثمَّ ناولَه أمَّ حارثة، فشربَتْ، ثم ناولت ابنتَها فشربتْ، ثم أمرهما ينضحان في جُيوبهما، فنَضَحَتا، فرجَعَتا من عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما بالمدينةِ امرأتان أقرَّ عيناً منهما، ولا أسرَّ»[٢].

* نَعَمْ، سَهْمٌ أصابَ حارثة فرفَعَه إلى الفردوس، وفي هذا تَنْبيهٌ عظيمٌ على فَضْل أهلِ بدر، فإنَّ سراقةَ لم يكنْ في بَحْبَحةِ -وسْط- القتال، ولا في حومة الوغى -أشدّ موضع في الحرب- بل كان من النَّظَّارة من بعيد، وإنَّما أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ -لا يُعْرَفُ راميه- وهو يشربُ من الحوض، ومع هذا أصابَ بهذا الموقفِ الفِردوس، التي هي أعلى الجِنَان، وأوسطُ الجنَّة، ومنه تُفَجَّرُ أنهارُ الجنَّة، التي أمرَ الشَّارع أُمَّتَه إذا سألوا الله الجنَّة

---

(١) **الفِردَوس**: للفردوس معانٍ في الأحاديث النَّبوية، وتدلُّ على التَّفخيم والتَّعظيم، ومنها: «الفردوسُ ربوةُ الجنَّة، هي أوسطُها وأحسنُها» تفسير الطَّبري (١٥/ ٤٣٠-٤٣٦). وقال أهلُ اللغة: الفردوسُ يُذكَّرُ ويؤنَّثُ. وقال الفراء: «هو عربيٌّ مشتقٌّ من الفَردسَة، وهي السَّعَة»، والمرادُ ههنا: مكانٌ من الجنَّة من أفضلِها. ومعنى قوله: «هُبِلْتِ»: ثكلتِ، وأصلُه إذا مات الولدُ في الهبل وهو موضعُ الولد من الرّحم، فكأنَّ أمّه وجع مهبلها بمولد الولد فيه. أمَّا كلمة «ويحك»: فهي كلمة رحمة ههنا. واللهُ أعلم.

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢١٥) بتصرف، وانظر: المغازي (ص١٤٦).

أنْ يسألوهُ إيّاها، فإذا كان هذا حالُ حارثةَ بنِ سراقةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فما ظنُّكَ بمن كان واقفًا في نَحْرِ العدوِّ، وكان العدوُّ على ثلاثةِ أضعافهم عَدَدًا وعُدَدًا، والله أعلم[١].

يُمْنُ أمِّ حارثة:

* تبوأت الربيع أم حارثة منزلة خاصة عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان لها مكانة ميمونة عند نساء الأنصار أيضًا.

* روى الحافظُ أبو بكر الخطيب البغداديُّ، بسندٍ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ ابنةَ النَّضْرِ ابنَ أنس كَسَرَتْ ثنيَّةَ امرأةٍ، فعرضت الدِّيَةُ، فأَبَوا أنْ يقبلوا، فقالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**القَصَاص**» فقال أخوها: والذي بعثَكَ بالحقِّ لا يُقتصُّ منها. فرضوا بالدِّيةِ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كم منْ عبدٍ لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه**»[٢].

* وساق الخطيبُ البغداديُّ الخبرَ بشكلٍ أكثر وضوحًا فيما أخرجه عن سيِّدنا أنس أيضًا: «أنَّ الرُّبيعَ بنتَ النَّضر عمَّتَه، لطمَتْ جاريةً فكسرت سنَّها، فعرضوا عليهم الأرش -الدِّية- فأبوا، فطلبوا العفو، فأتوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرهم بالقصاص! فجاء أخوها أنسُ بنُ النَّضر، فقال: يا رسولَ الله، تكسرُ ثنيَّة الرُّبِّيع؟ لا والذي بعثَكَ بالحقِّ لا تُكْسَرُ ثنيتُها! قال: «**يا أنسُ، كتاب الله القصَاص**» وفي لفظ عند مسلم: «**سبحان الله،**

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٧و٢٥٨)، وعن مكانة أهل بدر، فتح الحافظ ابن حجر في الفتح عيون الكلام على فضائل البدريين، وبين أن المراد أفضليتهم لا مطلق فضلهم، ثم أشار إلى حارثة هو ابن سراقة الأنصاري النجاري، وأبوه سراقة له صحبة، واستشهد يوم حنين وذكر أن أمه هي الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين، وحشرنا في معيتهم.

(٢) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (ص٨٣)، و«ابنة النضر»: هي الربيع. و«ثنية»: إحدى الثنايا من الأسنان، وهي الأربع في مقدم الفم، ثنتان من أعلى، وثنتان من أسفل. و«أخوها»: هو أنس بن النضر. وللحديث أصل في البخاري ومسلم.

يا أمَّ الرُّبيع! القصاصُ كتاب الله»، فعَفَا القومُ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ من عبادِ اللهِ مَنْ لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه»[١].

❊ وأنشدَ أبو بكر عبدُ الله بنُ حميد المؤدب في معنى الحديث:

رُبُّ ذِي طِمْرَيْن نضو يأمنُ العَالَم شَرَّه
لا يُرى إلَّا غنيًا وهو لا يملكُ ذَرَّه
ثمَّ لو أَقْسَم في شيءٍ على اللهِ أَبرَّه[٢]

استشْهَادُ أخيها:

❊ لم تبتعدِ الرُّبيعُ عن مغازي رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك ذووها، ومنهم أخوها الذي اشتاقَ لريحِ الجنَّة من خلالِ غزاةِ أُحُدٍ، فَنَالَ الشَّهادةَ، فاحتسبتِ الرُّبيعُ، واعتصمتْ بالصَّبر، لعلَّها تنالُ الفِردوس.

❊ قُتلَ أخوها أنسٌ يومَ أحدٍ، فكادت معالمُه تخفى عن أهله لولاها.

---

(١) الأسماءُ المبهمةُ في الأنباءِ المحكمة (ص٨٤)، وهو عند البخاريّ برقم (٢٧٠٣ و٢٨٠٦ و٤٥٠٠ و٤٦١١ و٦٨٩٤ و٤٤٩٩)، ومسلم برقم (١٦٧٥)، وأحمد برقم (١٤٠٢٨)، وانظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٣٢٨)، وأسد الغابة (١/ ٣٠١)، والمستفاد من مبهمات المتن والإسناد (ص١١٧٠-١١٧٣) وغيرها كثير.
والقصَاصُ: اسمٌ لتعويض حقِّ جناية، أو حقّ غُرْم على أحد بمثل ذلك من عند المحقوق إنصافًا وعدلًا، فالقصاصُ يُطلقُ على عقوبةِ الجاني بمثل ما جنى. قال القرطبيُّ: «المجروحُ في هذا الحديث جارية، والجرحُ كَسْرُ ثنيتها» تفسير القرطبيّ (٨/ ٢٢). والحديث أخرجه أبو داود برقم (٤٥٩٥)، وقال: «وسمعتُ أحمدَ بنَ حنبل قيل له: كيف يُقْتَصُّ من السِّنّ؟ قال: تُبْرَد».
وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ تعليقًا على حلفِ أنسِ بنِ النَّضر: «وأمَّا قولُه: والله لا يُقتصُّ منها، فليس معناه ردّ حُكْمِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل المرادُ به الرغبة إلى مستحقِّ القصاص أنْ يعفوَ، وإلى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشَّفاعة إليهم في العفو، وإنَّما حلف ثقةً بهم أن لا يحنثوه، أو ثقة بفضلِ الله ولطفه أنْ لا يحنثه، بل يلهمُ العفو».
وفي الحديث فوائدُ عظيمةٌ، وإشارةٌ إلى التَّسبيح، قال ابنُ بطَّال: «التَّسبيحُ والتكبيرُ: معناهُ تعظيمُ الله وتنزيهُه عن السُّوء، واستعمالُ ذلك عند التعجب واستعظام الأمر حَسَنٌ، وفيه تمرينُ اللسان على ذكْرِ الله».
(٢) انظر: كتاب: الغُرباء للآجري (ص٤٥و٤٦)، تحقيق بدر البدر، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ومعنى «نضو»: المهزول الضَّعيف.

* وقصَّةُ استشهادِ أخيها من القَصَصِ الموقظةِ في ثنايا السِّيرة، وكتبِ الحديث، رواها سيِّدُنا أنسُ بنُ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ عمَّه أنسَ بنَ النَّضْر غابَ عن قتال بدر، فقال: غُيِّبْتُ عن أَوَّلِ قتالٍ قاتَلَه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين، لئن اللهُ أشهدني قتالًا مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ كيفَ أصنعُ. فلمَّا كان يوم أحدٍ انكشفَ المسلمون، فقال: اللهمَّ إنِّي إبرأُ إليكَ ممَّا جاء به هؤلاء -يعني المشركين-، وأعتذرُ إليكَ مما صنعَ هؤلاء -يعني أصحابه المسلمين- ثمَّ مضى بسيفهِ، فلقيَهُ سعدُ بنُ معاذ[1] في أخراها، فقال: أيْ سعدُ، واهًا لريحِ الجنَّة، والله إنِّي لأجدُهَا دونَ أحدٍ، قال سعدٌ: فقلتُ: أنا معك، فلمْ أستطعْ أصنعُ ما صنعَ، قال أنسٌ: فَوُجِدَ قتيلًا فيه بضعٌ وثمانون بين ضربةٍ بسيفٍ، وطعنةٍ برمح، ورميةٍ بسهمٍ، وقد مثَّلُوا به، فما عرفناه حتَّى عرفَتْه أختُه -الرُّبيعُ- ببنَانِه، قال أنسٌ: فكنَّا نقولُ فيه وفي أصحابهِ نزلت: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ...﴾ [الأحزاب:٢٣]»[2].

* وتدلُّ روايةٌ أخرى على أنَّ أمَّ حارثة قد جاءتْ إلى سفحِ جبلِ أحد، ورأتْ مكانَ المعركةِ، قال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فقالت أختُه عمَّتي الرُّبيعُ بنتُ النَّضر: فما عرفتُ أخي إلا ببنانِهِ»[3].

مُجاهدةُ زوجُ شَهيد:

* في السَّنةِ الثَّامنةِ من الهجرة كانت غزوةُ حُنين؛ ويومها خرجَ سراقةُ بنُ الحارث زوجُ الرُّبيِّع إلى الجهادِ مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتظمَ في صفوفِ المسلمين، وقاتلَ حتى قتِلَ شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصبرتْ صبرًا جميلًا، واحتسبتْهُ عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) اقرأ سيرة سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابنا: رجال مبشرون بالجنة، فسيرته تهذب النفوس.

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٢٩و٣٣٠)، وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٣)، وأحمد (٣/ ١٩٤)، وانظر: أسد الغابة (١/ ٣٠١)، ومصادر أخرى متنوعة.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٤٠٢)، والإصابة (٨/ ٨٠)، والمستفاد من مبهمات المتن والإسناد (ص١٢١٤)، و«**البنان**»: الأصابع، وقيل: الأطراف واحدتها: بنانة.

* كانتِ الرُّبيِّعُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من المؤمناتِ الأنصاريَّاتِ اللاتي خرجنَ في هذهِ الغزوة يسقينَ الجرحى ويداوينَهم، فكتُبتْ في عدادِ المُجاهدات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

* ذكرَ ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ أمَّ حارثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت في هذهِ الغزوة، ومعها أمُّ سُليم بنتُ مِلْحان أمُّ أنس بن مالك، وكلتاهما من نساءِ الأنصار(١).

* وهكذا كانتِ الرُّبيعُ أُمَّ شهيد، وأختَ شهيد، وزوجَ شهيد، كما أنَّها منَ المُجاهدات الفاضلاتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

شَذَراتٌ عندَ الوداعِ:

عرفنا بعضَ الجوانبِ المزهرةِ المنعشةِ من السِّيرة الرُّبِّيعيَّة، ونتذكرُ أنَّها من راويات الحديث، روى عنها ابنُ أخيها أنسُ بنُ مالك، فهي عمتُه، فأكرِمْ بهما!

* قال ابنُ حجر العسقلانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرُّبيعُ بنتُ النَّضر الأنصاريَّةُ الخزرجيَّةُ، عمَّةُ أنسِ ابنِ مالك، صحابيةٌ، روى عنها أنسٌ في الجهاد من صحيح مسلم، ولم يذكُرْها المِزِّيُّ»(٢).

* أمَّا رحلةُ أمِّ حارثة الأخيرة إلى الله فلم تتعرضْ لها المصادرُ ولم تُشِرْ إليها، والظَّاهرُ أنَّها قضَتْ نحبَها في زمنِ الخلافةِ الراشدة، ولعلَّها ماتتْ في المدينةِ المنورة، واللهُ تعالى أجلُّ وأعلم.

* رضي اللهُ عن الرُّبيِّع بنتِ النَّضْر أُمِّ حارثةَ، هذه الأمُّ المربيةُ الفاضلةُ القدوةُ التي عاشت ترجو اللهَ واليومَ الآخر، وترجو الجنَان الكثيرةَ لعلَّها تفوزُ بالفِردوس مع ابنها حارثة، نسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يجعلَنا من أهلِ الجنَّة في الفِردوس الأعلى مع حارثةَ بنِ سراقة... وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.



---

(١) فتح الباري (٨/ ٢٩) بتصرف. ومما ينبغي أنْ نعرفَه: لم تكنْ خسائرُ المسلمين في غزوةِ حُنين كثيرةً، بل كانت طفيفةً، وذلك من رحمةِ الله بالمسلمين وفضلِهِ عليهم، فقد استُشهدَ منهم أربعةُ رجال وهم: أبو عامر الأسلميّ، وأيمنُ بنُ عبيد، ويزيدُ بنُ زمعة بن الأسود، وسراقةُ بنُ الحارث، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

(٢) تقريبُ التَّهذيب (ص١٣٥٤) ترجمة رقم (٨٦٨٤)، طبعة دار العاصمة، الرياض.

أُمُّ حذيفةَ بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

- نَعِمَتْ مع زوجها وأولادها بالصحبة النبوية.
- فازَ زوجُها بالشَّهادة في أُحُد، وابنها صاحب السِّر النبوي.
- حظِيتْ مع ابنها حذيفةَ بدعاءٍ نبوي مباركٍ منعش.



أُمُّ حذيفةَ بن اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أُمُّ صاحِبِ السِّرِّ:

* نهجَ ابنُ هذه الأُمِّ منهجَ الزَّهادةِ، والتَّقْوى والعبادةِ، وكان من نجباءِ الصَّحابةِ، عُرِفَ بصاحبِ السِّرِّ النَّبويِّ، ورفيقهِ في الجنَّة، وهو من أعيانِ الكبراءِ، وممَّن تمنَّى سيِّدنا عمرُ بنُ الخطَّاب أنْ يكونَ عنده بيتًا مملوءًا رجالًا مثله. كما أنَّ زوجَ هذه الأُمِّ من الصَّحابةِ الشُّهداء.

* دخلَ الإيمانُ قلبَ هذه الأُمِّ المُخْلصَةِ، فعملَتْ بمقتضاه، وكانت هي وزوجُها وأولادُها من الصَّحابة، إنَّها أمُّ حذيفةَ بن اليمان العبسيُّ، واسمُها: الرَّبابُ بنتُ كعب بن عدي بن عبد الأشهل الأوسيَّةُ الصَّحابيةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1].

* تزوَّجتِ الرَّبابُ اليمانَ بن جابر العبسيّ، فولدت له: حذيفةَ وسعدًا وصفوانَ ومُدلجًا، وابنةً اسمُها ليلى. وقال النَّوويُّ: «كان لحذيفةَ أخٌ اسمُه صفوان، وأُخْتان: أمُّ سلمة وفاطمةُ بنو اليمان»[2].

عنَايتُها بتَربيةِ أولادها:

* أسلمتِ الرَّبابُ[3] وبايعتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهاجرتْ، فكانت من الفائزات، ونُظِمَتْ في عِقْدِ الصَّحابيات، وكانت صالحةً مباركةً خيّرةً.

---

(١) تهذيبُ الكمال (٥/ ٤٩٧)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٣٠٢و٣٠٣)، وتاريخ مدينة دمشق (١٢/ ٢٦٨)، وأسد الغابة (٧/ ١٠٧)، وغيرها كثير. وقال الصَّفديُّ: «وأمُّه -أي حذيفة- امرأةٌ من الأنصارِ من الأوس» الوافي بالوفيات (١١/ ٢٥١).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٠٢و٣٠٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٥٥).

(٣) «**الرَّباب**»: الرباب: السحاب الأبيض، والرباب اسم امرأة، وهناك أربع صحابيات من الأنصار اسمهن الرباب.

* فازتْ أمُّ حذيفةَ بنفحاتٍ نديَّةٍ من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فزادتْها فضلًا ومكانةً عند الصَّحابيات، فقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الصَّافيات المُصافيات، والصَّادقات المُخلصات للإسلام ولنبيِّ الإسلام، وربَّتْ أولادَها وبناتِها على مائدة الإخلاص والوفاء، وأولادُها كلُّهم أدركوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولابنتِها فاطمةُ أخبارٌ جميلةٌ في ثنايا سير الصَّحابيات، وهي من راوياتِ الحديثِ النَّبويِّ الشَّريف[1]، ولها أخبارٌ مفيدةٌ تدلُّ على عنايةِ أُمِّها الرَّباب بها، وكيفَ وجَّهتْها لِتكونَ صحابيةَ فاضلةً، وعالمةً ناقلةً للعِلْمِ والمعرفةِ، وقد قدَّمَتْ -هذه الابنة الصَّحابية ابنة الصَّحابية ابنة الصَّحابي وأخت الصَّحابية وأخت الصَّحابة- بعضَ الرِّوايات، ومنها: كراهةُ تحلِّي النّساء بالذَّهب.

* أخرجَ الإمامُ أحمدُ بسنده عن ربعي بنِ حِراش المُضريِّ الكوفيّ عن أختِ حذيفةَ -وكُنّ له أخوات قد أدركْنَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت: خَطَبَنَا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **«يا معشرَ النِّساء، أَليسَ لكُنَّ في الفضَّة ما تحلَّينَ، أَمَا إنَّه ليستْ منكنَّ امرأةٌ تتحلّى ذهبًا تظهره، إلا عُذِّبت به»**[2].

* كما أنَّ فاطمةَ بنتَ الرَّباب كانت ممن يدخلُ بيتَ النُّبّوة، وكانت تعودُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مرضَ، فقد أخرجَ الإمامُ أحمدُ وغيره بسندٍ عن أبي عُبيدة -وهو من ثقات التَّابعين- عن عمَّتِهِ فاطمةَ بنتِ اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالت: أتينا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعودُهُ في نساءٍ، فإذا سِقَاءٌ معلَّقٌ نحوه، يقطرُ ماؤُهُ عليه من شدَّةِ ما يجدُ من حرِّ الحمى، قلنا: يا رسولَ الله، لو دعوتَ اللهَ فَشَفَاكَ، فقالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ من أشدِّ النَّاس بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم»**[3].

---

(١) نساء من عصر النبوة (ص٣٩٣).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٦٨٩٢و٢٦٩٥٧)، وإسناده ضعيف كما قال الشَّيخ أحمد شاكر، فقد جاء في الأحاديثِ إباحة الحرير والذَّهب للنِّساء، فهذا الحديث منسوخ.

(٣) أخرجه أحمدُ برقم (٢٦٩٥٨)، وإسناده صحيح، وانظر: فتح الباري (١٠/ ١١١)، وأسد الغابة (٧/ ٢٢٧)، والاستيعاب (ص٦٣٠).

* وآثارُ تربيةِ الرَّباب واضحةُ المَعالم في ابنتِها فاطمةَ، أو خولَة، وهذه الابنةُ روى عنها أبو سلمة بنُ عبد الرحمن قالت: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا خيرَ في جماعةِ النِّساء إلا عند ميِّتٍ، فإنَّهنَّ إذا اجتمعْنَ قُلْنَ وقُلْنَ**»[(١)].

زوجُ شهيدٍ وأُمُّ مُجاهد:

* زوجُ الرَّبابِ صحابيٌّ كبيرُ يُدعى: حسْلٌ، أو حُسيلٌ، ولقبُهُ اليمان؛ أسلمَ وابنُه حذيفةُ وهاجرا إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهدا غزاةَ أُحُدٍ، وقُتِلَ اليمانُ يومئذٍ، قَتَلَهُ المسلمون خطأً من دون أنْ يعرفوه، وحذيفةُ يصيحُ: قَتَلتُم أبي؛ قَتَلْتُم أبي، فأجابوهُ: والله ما عرفْنَاهُ، وصَدَقُوا، فدعا لهم وقال: «يغفرُ اللهُ لكم» ودفعَ له رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِيَةَ والدِهِ، فتصدَّقَ بها على المُسلمين، فزادَهُ ذلكَ خيرًا عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندَ أُمِّه الرَّبَاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي عَلِمَتْ بما فعلَه ابنُها.

* إنَّ الكلامَ عن زوجِ الربابِ يُعطي المحبِّين واقعًا مشرقًا عن رسوخِ الإيمانِ في قلبِ هذا الشَّيخِ الكبيرِ الذي وهَنَ العظمُ منه، واشتعلَ رأسُه شيبًا، فصارتِ الدُّنيا لا تساوي عنده شيئًا إذا ما قيسَتْ بالآخرة.

* كان زوجُها ومعه ثابتُ بنُ وقْش شيخَيْن كبيرَيْن، ظلَّا مع النِّساءِ والأطفالِ يومَ أحد، فقال أحدهُما للآخر: ما تنتظرُ؟! فوالله ما بقي لواحدٍ منّا من العمر إلا اليسير، وإنَّما نحنُ موتى، إنْ لم يكنِ اليوم فَغدًا، أفلا نأخذُ أسيافَنا ونلحقُ بالمجاهدين، لعلَّ اللهَ يرزقُنَا الشَّهادةَ؟ فقال له صاحبُهُ: نِعْمَ ما أَشَرْتَ به، وأخذا أسيافَهما، ثم خرجَا، ودخلا في النَّاس لا يعلم بهما أحدٌ من المسلمين فأمَّا ثابتُ بنُ وقش فقتَلَه المشركون، وأمَّا زوجُها حُسيلٌ فقُتِلَ خطأً بأسيافِ المسلمين وهم لا يعرفونَه، وبذلك غدت الرَّبابُ زوجَ شهيدٍ، كما أنَّها

---

(١) المعجم الكبير (٢٤/ ٢٤٦) حديث رقم (٦٣٢)، وسنده ضعيف.

تُعَدُّ أمّ مجاهدٍ بطَلٍ، فقد حضرَ ابنها صفوانُ غزوةَ أحدٍ مع أبيه وأخيه حذيفة[١]، ونلمحُ بيان وتبيين هذا الأمر عند ابنِ سعد حينما استوعبَ سيرةَ حُسيل وأولاده، قال: «وأخوهُ: -أي حذيفة- صفوانُ بنُ اليمان، وهو أخوهُ لأبيهِ وأمِّهِ، وشهد معهم أحدًا»[٢].

* وبهذا فإنَّ الصَّحابيةَ الجليلةَ الرَّباب قد سجَّلت في ديوانِ المكارم صحائفَ كريمة، فكانت ممن احتسبَ الأزواجَ في عداد الشُّهداء، والأبناء في صفوفِ أهلِ الجهاد، فأكرمْ بها!

«غَفَرَ اللهُ لَكَ ولأمِّكَ»:

* خُصَّتِ الرَّبابُ بدعاءٍ نبويٍّ فيهِ خيرُ الدُّنيا والآخرة، ولهذا الدُّعاء قصةٌ منعشةٌ ماتعةٌ، وثَّقها التِّرمذيُّ وغيرهُ من أهلِ العِلْم والتَّاريخ، فقد أدركتْ هذه الأمُّ شأنَ الدُّعاء وفوائده.

* علمت أمُّ حذيفة مكانةَ ابنها، وعرفَتْ أنَّه صاحبُ السِّرِّ النَّبويِّ، فكانت تحثُّه على ملازمةِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألا يبتعدَ أو ينشغلَ عن المجالسِ النَّبويةِ السَّنيةِ، وأنْ يبادرَ إلى اغتنام النَّفحات المحمديَّةِ، والمِنَحِ المصطفويَّةِ.

* وذات يوم نادتِ ابنها، وجعلتْ تسألهُ: «متى عهدُكَ يا حذيفةُ برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» فأجابَها: «والله يا أمّاهُ ما لي به عهدٌ مذ كذا وكذا» فراحَتْ تؤنِّبُه وتنالُ منه، فعلمَ أنَّها تريدُ سعادتَه وفلاحَه، فقال لها -وقد خَفَضَ جنَاح الذُّلِّ منَ الرحمة-: «دعيني يا أمّاهُ، فإنِّي آتي النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأصلّي معه صلاةَ المغرب، ثم أسألُه أنْ يستغفرَ لي ولكِ، ويدعو لنا جميعًا»، فتركته.

---

(١) الاستيعاب (ص٣٤٤)، وأسد الغابة (٣/ ٣٣)، والإصابة (٣/ ٢٥١).

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٨).

* سارعَ حذيفةُ مصحوبًا بتوجيهات أُمِّه، وصلَّى المغربَ مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ صلاةَ العشاء، ولما قُضِيَتِ الصَّلاةُ؛ انفتلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرجَ، وعرضَ له عارضُ مناجاةٍ وكلَّمه، ثم ذهبَ فتبعَهُ حذيفةُ، فسمعَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوتَه، فقال: «**مَنْ هذا، حذيفةُ؟**» قال: نعم يا رسولَ الله، فقال له: «**ما حاجتُك؟**» فأخبره بما كان من أمِّه الرَّباب، فقال: «**غفرَ اللهُ لكَ ولأمِّك**» أو قال: «**اللهمَّ اغفرْ لحذيفةَ ولأُمِّه...**»(١).

* وفي روايةٍ أخرى تفصحُ عن استغفارِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهما، فعن الشَّعبي عن حذيفةَ قال: «أتيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلَّيتُ معه الظُّهرَ والعَصْرَ والمغربَ والعشاءَ، ثم تبعتُه وهو يريدُ أنْ يدخلَ بعضَ حُجَرِهِ، فقامَ وأنا خلفه كأنَّه يُكَلِّمُ أحدًا، ثم قال: «**مَنْ هذا؟**» قلتُ: حذيفة، قال: «**أتدري مَنْ كان معي؟**» قلتُ: لا، قال: «**فإنَّ جبريلَ جاء يبشّرني أنَّ الحسنَ والحسينَ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**» فقال حذيفةُ: فاستغفرَ لي ولأمّي، وقال: «**غَفَرَ الله لكَ يا حذيفةُ ولأُمِّكَ**»(٢).

* وتحقَّقَتْ أُمنيةُ الرَّبابِ، وقرَّتْ عيناها بدعاءِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها ولابنها، وأيّ فوزٍ أعظمُ من المغفرةِ والنَّجاة؟!

* أزفَ الوداعُ بعد أنْ تعلَّمنا منْ أمِّ حذيفة كثيرًا من المكارم، وتعلمنا شيئًا من أصولِ التَّربية وتوجيه الأولاد لما يصلحُهم في دِينهم ودنياهم، فرضي اللهُ عنها وأرضاها، ونسألُ اللهَ أنْ يتقبَّل أعمالنا، وأنْ يسدِّدَ أقوالنَا، اللهم اغفرْ لنا وارحمنا، واحشرنا مع هؤلاءِ الذين ارتضيتهم لصحبةِ رسولك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿**أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٨٦].

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق (١٢/ ٢٦٨و٢٦٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٥٤)، والوافي بالوفيات (١١/ ٢٥٢) مع الجمع والتصرف. وأخرجه الترمذي برقم (٣٧٨١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) المسند (١٦/ ٥٩٢) حديث رقم (٢٣٢٢٣)، وإسناده صحيح.

أُمُّ زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

- أمٌّ كريمةٌ سخيةٌ، دعَا لها النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة.

- ابنُها أحدُ الأذكياء المقرئين المُفتين، وكاتب الوحي.

- ماتت بالمدينة المنورة، وكبّر عليها ابنها زيدٌ أربعًا.



أُمُّ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

والدةُ كاتبِ الوحي والمُصْحَف:

* ولدَتْ هذه الأُمُّ صحابيًّا من أعيان الصَّحابةِ الفقهاء القُرَّاء الفرضيين الكاتبين، هو: زيدُ بنُ ثابت الخزرجيُّ النَّجاريُّ، الأنصاريُّ، كاتبُ الوحي والمُصحف، صاحبُ الأدب الزَّاهي الزَّاهر، والعَلَمُ البَاهي البَاهر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* ماتَ زوجُها ثابتُ بنُ الضَّحَّاك قبل الهجرة، فَرُبِّي زيد يتيمًا، وكان أحد الأذكياء المُقرئين المُفتين، أسلمَ وهو ابنُ إحدى عشرة سنة، وكان لأُمِّه كبير الأثر في تربيته ونشأته، وكان ذا سيرة جميلة، وسريرة جليلة، وفضائل حسنة، وشمائل مستحسنة.

* هلمَّ عزيزي القارئ نتعرف اسمَ هذه الأُمّ؛ إنَّها: النَّوار بنتُ مالك بن صرمة النَّجاريَة الأنصاريَّة[١]، إحدى الأُمَّهات النَّجيبات المنجبات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين.

* ولا يوجدُ في الصَّحابيات من اسمها نَوَار إلا ثلاث: النَّوار هذه، والنَّوار[٢] بنتُ قيس الأنصارية، والنَّوار بنت الحارث بن قيس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ[٣].

---

(١) أسدُ الغابة (٧/ ٢٧٢)، والاستيعاب (ص٩٤١)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٣٩١)، والإصابة (٨/ ٢٠٠)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٢)، والمحبر (ص٤٢٩)، والمصباح المضي (ص٩٣)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ١٠٦)، وغيرها.

(٢) «**النَّوَارُ**»: النَّؤور: المرأةُ النّفور من الرِّيبة، يُقالُ: نسوةٌ نُوَّرٌ، أي: نُفَّرٌ منَ الرِّيبة، والواحدةُ: نَوَار، وهي الفَرور، وبه سمّيت المرأة. ونارت المرأةُ تنورُ نَورًا ونوارًا: نفرت، وامرأةُ نَوَار: نافرةٌ عن الشَّرِّ والقبيح، ومن سجعات الأساس: الشَّيبُ نورٌ؛ عنه النِّساء نَورٌ، أي: نُفَّرٌ. وفي ناقة صالحة عَلَيْهِ السَّلَامُ: هي أنور من أنْ تُحلب، أي أنفر. تاج العروس (١٤/ ٣٠٨).

(٣) الإصابة (٨/ ٢٠٠)، وأسد الغابة (٧/ ٢٧٢).

أَنْوارٌ من سيرة النَّوار:

* سيرةُ النَّوار أمِّ زيد من أجملِ سير أمّهات الصَّحابة؛ لأنَّها تجمعُ العِلْمَ والفائدةَ والمعرفةَ والعَطاء.

* وما أجمل أنْ نجمعَ طاقاتٍ مزهرةً من السِّيرة النَّوارية نزيِّنُ بها مجالسَ الأنس، وتكون قدوة للأمّهات في كافة العصور، فيتعلمْنَ منها أصول التَّربية ومكارم الأخلاق.

* تزوَّجَتِ النَّوارُ ثابتَ بنَ الضَّحاك النَّجاريَّ الخزرجيَّ، فولَدَتْ له زيدًا ويزيدَ، فأمَّا زيدٌ فقد طارتْ شهرتُه في الآفاق، وكان من أسيادِ عُلماء الصَّحابة، ومن الرَّاسخين في العلْم، وأمَّا يزيدُ، فهو أسنُّ من أخيهِ زيد، قُتِلَ يوم اليمامة شهيدًا، وقد روى عن النَّبيِّ ﷺ، وروى له النَّسائي وابنُ ماجهَ[١].

* وبهذا تكون النَّوارُ أُمَّ صحابيين كريمين، أحدهما: عالمٌ، كاتبٌ، والآخر: مجاهدٌ، كريمٌ.

* أمَّا زوجُها فقد لقيَ حتْفَه في يوم بُعاث[٢]، قبيل الهجرة بحوالي خمسة أعوام، وكان عمر يزيد وزيد آنذاك بضع سنين، كما أخبر زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت وقعةُ بُعاث وأنا ابنُ ست سنين»[٣].

---

(١) تهذيب الكمال (٣٢/ ٩٨ و٩٩).

(٢) «**بُعاث**»: كغُراب، موضعٌ بقربِ المدينة على بُعْد ميلَيْن منها. ويوم بُعاث: يومٌ معروفٌ من أيام الأوسِ والخزرج كان بين المبعث والهجرة، وكان الظَّفر فيه للأوس، وهو من مشاهير أيّام العرب، وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وعندها جاريتان تغنّيان بما قيل يوم بُعاث» وهو هذا اليومُ. وفي يوم بُعاث يقولُ قيسُ بن الخطيم الشَّاعر الجاهلي المعروف:

ويومَ بعاث أسلمتنا سيوفُنا ... إلى نَسَبٍ من جذم غسَّان ثاقب

وبُعاث: اسمُ حصن للأوس. والله أعلمُ. تاج العروس (٥/ ١٧٠و١٧١) ومعجم البلدان (١/ ٤٥١) مع الجمع والتصرف.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٣).

❊ وبعد موتِ ثابت تزوَّجتِ النَّوَار من صحابي له سابقة في الإسلام، وهو: عمارةُ ابنُ حزم(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فولَدَتْ له مالكًا(٢)، وكانت النَّوَارُ من المبايعات، وأسلمتْ حينما فشَا الإسلام بالمدينة، وكان لإسلامها آثار محمودةٌ على أولادها، الذين كانوا من أنصارِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجنوده.

❊ وما أنْ حلَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهاجرًا في طيبةَ الطَّيبة؛ حتى كان أطفالُ الأنصار وأشبالُهم حولَه مُرحِّبين مستبشرين، وكان من بينهم يزيدُ، وزيدُ ابنا النَّوار بنت مالك، وكان عمرُ زيد قرابة أحدَ عشرَ عامًا، ولكنَّه غدا بفضلِ الله عَزَّوَجَلَّ الفَرضي(٣) العَلَم، بل تعلَّم خطَّ اليهود، حيث أمره النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يتعلَّم خطَّهم، ليقرأَ له كُتُبهم، وقال: «**فإنِّي لا آمنُهم**»(٤) يُضافُ إلى ذلك أنَّه حدَّثَ عن الصادقِ المصدوقِ

---

(١) «**عمارةُ بنُ حزم**»: هو سيدنا عمارةُ بنُ حزم بن لوذان الأنصاريُّ الخزرجيُّ، أحدُ السبعين الذين بايعوا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت معه رايةُ بني مالك بن النجار في غزوة الفتح، وكان له من الولد مالك بن عمارة. خرج عمارة مع خالد بن الوليدِ لقتال أهل الردة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا سنة (١٢هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الوافي بالوفيات (٢٢/ ٢٥٠)، وأسد الغابة (٤/ ١٢٩) ترجمة رقم (٣٨٨)، والإصابة (٤/ ٢٧٥) مع الجمع بينها.

(٢) «**مالك**»: مالكُ بنُ عمارة بن حزم الأنصاريُّ، أخو زيد بن ثابت لأمه، أمهما النوارُ بنتُ مالك. استشهد عمارة بن حزم باليمامة، وخلف مالكًا، وليس له عقب. الإصابة (٦/ ٢٨).

(٣) «**الفَرضيُّ**»: ويُقال: الفارض: وهو العارفُ بالفرائض، والفرائضُ: علمُ قسمةِ المواريث، والفَرضيُّ بياء النِّسبة، ويُقالُ: هو أفرضُ النَّاس: أي أعلمُهم بقسمة المواريث، ومنه الحديثُ الشريفُ: «أفرض أمتي زيدُ بنُ ثابت»، ويقال: رجلٌ فرَّاض: كشدَّاد، معه علْمُ الفرائض. وقد اشتهر سيدنا زيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه المزية المباركة، وقد ذكرهُ صاحبُ الرحبيَّة في أرزجوته، ونوّه على علو منزلته في علم الفرائض فقال:

وإنَّ زيدًا خُصَّ لا مَحالَه ... بما حَبَاه صاحبُ الرِّسالة

من قولِه في فَضْلِه منبِّها ... أفرضكم زيدٌ وناهيك بها

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٧و٤٢٨) بتصرف. روى سيدنا زيد هذه المنقبة التي تشيرُ إلى عناية أمِّه النَّوار به، وسهرها على تأديبه وتعليمه، فقال: «أُتيَ بي النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدمه المدينة، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلامٌ من بني النجار، وقد قرأَ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأتُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعجبه ذلك، وقال: «**يا زيدُ تعلَّمْ لي كتابَ يهود فإنِّي والله ما آمنُهم على كتابي**» فتعلمتُه، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقتُه، وكنتُ أكتبُ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كتبَ إليهم» سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٢٨و٤٢٩).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن صاحِبَيه وحَمَوَيه العُمَرين أبي بكر وعمر، وقرأَ عليه القُرآنَ بعضَه أو كلَّه، وكان من حَمَلَة الحُجَّة، ومناقبه جمَّة(١).

أَرسَلَتْ أُمّي بهذه:

* منذُ اليوم الأوَّل لهجرةِ الحبيبِ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى طيبة الطَّيبةِ، شرعَ الأنصارُ -رجالًا ونساءً- يتسابقون إلى الحفاوةِ بمقدمهِ الشَّريف، وفي ميدان هذا التَّسابق المحمود فازتْ أمُّ زيد بالمركزِ الأوَّل في مضمارِ الجُود.

* لنتركْ زمامَ الكلام لابنها زيد كيما يذكرَ للمحبِّين ما صنعتْهُ أمُّه احتفاءً برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف أرسلتْهُ بهديةٍ نَواريةٍ فيها طعامٌ نفيسٌ، فيقول: «لما نزلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي أيوب، لم يدخلْ منزلَ رسولِ الله هديةٌ، وأوَّلُ هديّةٍ دخلتُ بها عليه قصعة مثرودة خُبْزَ بُرٍّ وسمنًا ولبنًا، فأضعُها بين يديه، فقلتُ: يا رسولَ الله، أرسلتْ بهذهِ القصعة أمّي، فقال: «**باركَ اللهُ فيها**»، ودعا أصحابَه فأكلُوا».

* ويمضي زيدٌ في الكلام عن سخاءِ أُمِّه، وعن سخاءِ بني النَّجَّار الأنصار، وينقلُ هذه الصَّورةَ الجميلةَ فيقول: «فَلَقَد كُنَّا في بني مالك بن النَّجار ما من ليلةٍ إلا على بابِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَّا الثَّلاثةُ والأربعةُ يحملون الطَّعام، ويتناوبون بينهم حتى تحوَّلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيتِ أبي أيوب، وكان مقامه فيه سبعة شهور، وما كانت تخطئه جفنةُ سعد بن عبادة، وجفنةُ أسعدِ بن زرارة كلَّ ليلة»(٢).

(١) من مناقبِ زيد وجلالة قدره ومكانته العلمية: أنَّ سيدنا أبا بكر الصِّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اعتمدَ عليه في كتابةِ القرآن العظيم في صحف، وجَمَعَه من أفواه الرِّجال، ومن الأكتاف والرقاع... سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤١) بتصرف يسير.

(٢) سبلُ الهدى والرشاد (٣/ ٣٩٣)، والمصباحُ المضي (ص٩٤)، وإمتاعُ الأسماع (١/ ٦٧)، والسِّيرةُ الحلبية (١/ ١٠٧و١٠٨)، وغيرها كثير، ولله درُّ السّبكي حينما قال في جود الأنصار وسخائهم:

نَزَلْتَ على قومٍ بأيمنِ طائر ... فإنَّكَ ميمونُ السَّنا والنَّقيبةِ

فَيا لبَني النَّجَّار من شَرفٍ به ... يجرُّونَ أذيالَ المعالي الشَّريفةِ

المجموعة النبهانية (١/ ٨٢٦).

* إنَّ هذه منقبةٌ عظيمةٌ حظيتْ بها أُمُّ زيد، وكذلك مفخرةٌ من مفاخر بني النَّجار خاصَّة، إذ أَسْهمَ نساؤُهم ورجالُهم في تقديمِ الهدايا والطَّعام إلى البيتِ النَّبويّ، وكان سعدُ بنُ عبادة[١] المُجليّ في هذا المضمار، فرضي الله عنْهُ وأرضاه.

* ولنمرحْ ونضفي الأُنْسَ على السِّيرة النَّوارية من خلال هذه الهمسةِ الأدبيةِ الحانيةِ التي تطوفُ بنا إلى جفنة أُمِّ زيد وسخائها، وكيف ربحَ بيعُها ببركةِ دعاءِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال أحمد محرم:

يا زيدُ مَنْ صنَعَ الثَّريدَ وما عسى ... ترجُو بما حَمَلَتْ يداكَ وتأمُلُ

بعثَتْكَ أُمُّك تبتغي في دِينها ... ما يبتغي ذو الهمّة المتعمِّلُ

شكَرَ النَّبيُّ لها وأطلقَ دعوةً ... صَعِدَتْ كما شقَّ الفضاءَ مجلجلُ

لو أنَّها وُزِنَتْ بدنيا قيصر ... رَجَحَتْ وأينَ من الخضمّ الجدولُ

ما في جهادَكِ أمَّ زيدٍ ريبةٌ ... نار الوغى احتدمَتْ وأنتِ الجحفلُ[٢]

فَوائدُ ومَعَارفُ نَوارِيَّةٌ:

* في سيرة النَّوار أُمِّ زيد فوائدُ مهمةٌ، وأحداثٌ مفيدةٌ، مرتبطةٌ بالسِّيرة النَّبويَّةِ وأحداثِها، وتوضِّحُ بعضَ المفهومات التي يحتاجُ إليها محبّو الصَّحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) في قصيدته الماتعة الجميلة عمود النسب أشار ناظمها أحمد البدوي بن محمّدا إلى جفنة سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال:

يخصُّ سعدٌ كُلَّ يومٍ أحمدا ... بجَفْنَةٍ ثَرَّدَها وجوَّدا

عمودُ النَّسب (ص١٠٠).

(٢) انظر: ديوان مجد الإسلام لأحمد محرم (ص٢٠)، وقوله: «زيد»: زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. و«الثَّريد»: طعامٌ معروفٌ عند العرب. و«أمّك»: أي النَّوار أم زيد. و«شكر النَّبيُّ»: دعا لها بالبركة. و«الخضمّ» البحرُ. و«الجدولُ»: النَّهر الصَّغير. و«الوغى»: الحرب. و«الجحفلُ»: الجيش الكبير.

* فمن ذكريات أُمِّ زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الكعبةِ قولها: «رأيتُ على الكعبةِ قبل أنْ أَلِدَ زيدَ بنَ ثابت، وأنا به نسوءٌ -حاملٌ- مطارفَ خَزٍّ خُضْرًا وصُفرًا، وكرارًا وأكسيةً من نسجِ الأعرابِ، وشقاقًا من شعر»[١].

* وتشرقُ صورةُ سيِّدنا بلال من خلالِ توثيق أُمِّ زيدٍ له، وتذكرُ كيف كان يؤذِّنُ منْ على ظَهْر بيتها فتقولُ: «كان بيتي أطولَ بيت حولَ المسجد، فكان بلالٌ يؤذِّنُ فوقَه من أوّل ما أذَّن، إلى أنْ بنى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجدَه، فكان يؤذِّنُ بَعْدُ على ظهرِ المسجدِ، وقد رُفعَ له شيءٌ فوقَ ظهره»[٢].

* وتعودُ أُمُّ زيد إلى تاريخ ما قبل الهجرة، فترسمُ صورةً جميلةً لصلاة أسعد بن زرارة[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* روت كَنَّةُ النَّوار أُمَّ سعد بن سعد بن الرَّبيع -وهي أمُّ خارجةَ بنِ زيد بن ثابت- قالت: «أخبرتني النَّوارُ أمُّ زيد بن ثابت أنَّها رأتْ أسعدَ بنَ زرارة قبلَ أنْ يقدمَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينةَ؛ يُصلي بالنَّاس الصَّلوات الخمس، ويُجمِّعُ -أي يصلي صلاة الجمعة- في مسجد بناه في مِرْبد سَهل وسُهيل ابني رافع بن أبي عمرو... قالت: فأنظرُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم صلّى في ذلك المسجد وبناه، فهو مسجدُهُ اليوم...»[٤].

* ومن فوائد السِّيرة النَّوارية ومعارفها، أنَّ هذه الأمَّ النَّجيبةَ قد روت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروتْ عنها أمُّ سعد بنت أسعد بن زرارة[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٩١).

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٩١).

(٣) اقرأ سيرة أسعد الخير في الباب الثاني من كتابنا: رجال من عصر النبوة، طبعة دار ابن كثير بدمشق.

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٦٣)، وانظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٢).

(٥) الاستيعاب (ص٩٤١)، وأسد الغابة (٧/ ٢٧٢)، ومعرفة الصحابة برقم (٤٠٣٥).

صلاةُ زيدٍ على أُمِّه:

* ظلَّتْ النَّوار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أُمًّا معطاء، وأمًّا صابرةً، فقد استُشهد ابنها يزيدُ في اليمامة، فاحتسبتْه عندَ الله، وبقيت زمنًا إلى أنْ لقيتْ ربَّها في زمنِ ابنها زيد، فقد روى ثابتُ بنُ عبيد قال: «كبَّر زيدُ بنُ ثابت على أُمِّه أربعًا». أما ابنها زيدٌ فقد دعاهُ الدَّاعي لدارِ جزائه في سَنة (٤٥هـ)، ورثاهُ سيّدنا حسَّان فقال:

فَمَنْ للقَوافي بعْدَ حسَّانَ وابنِهِ ... ومَنْ للمثّاني بعد زَيدِ بنِ ثابتِ[(١)]

* رضي الله عن النَّوار، ورزقنا ذكرَهُ آناءَ الليل وأطرافَ النَّهار، اللهمَّ اهدنا سبيلَ الرَّشاد، ووفقنا للخير والسَّداد، كي نسبِّحَكَ كثيرًا، ونذكركَ كثيرًا، إنك كنتَ بنا بصيرًا...



(١) الإصابة (٨/ ٢٠٠)، وشرح ديوان حسَّان بن ثابت (ص٦٧)، وقوله: «حسَّان»: يعني نفسه. و«ابنه»: ابنه هو عبد الرحمن بن حسان. و«المثاني»: المقصود بها ههنا: القرآن الكريم.

أُمُّ سعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

- ابنها سعدُ بنُ عبادة أحدُ النُّقباء الأجواد.
- اسمُهَا عمرةُ، وماتَتْ في السَّنة الخامسة من الهجرة.
- تصدَّقَ عنها ابنها سعدٌ بحديقةٍ كبيرة وسقى الماءَ.



أُمُّ سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

سخيَّةٌ كبيرةُ القدْر:

* سَرَتْ نسائمُ الألطافِ الإلهيَّةِ إلى المدينة، ودخلتْ آياتُ القرآنِ مسامعَ أهلها، وتغلغَلَتْ في وجدانهم، واطمأنَّتْ قلوبُهم بكلام الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا بألسنتهم تترجمُ استبشارهَم بهذا الهدي المنير، ولم تبقَ دارٌ من دورهم إلا فيها ذِكْرُ محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغدتْ مَحْضِنَ الإسلام ومأْرِزَه وحصْنَه الحصين.

* ومن عُليا بيوتِ الأنصار نتعرَّفُ سيرةَ أمٍّ كبيرة القدر، سخيّة اليد، هي: أمُّ سعد ابنُ عبادة أحدُ مشاهيرِ الصَّحابة وكبرائهم.

* وأمُّ سعد مشهورةٌ بكنيتها، واسمُها: عمرةُ بنتُ مسعود بنِ قيس الخزرجيَّةُ النَّجَّاريَّةُ، تزوَّجَ عمرةَ عبادةُ بنُ دليم السَّاعديُّ، فولدَتْ له سعدًا، أسلمتْ عمرةُ وبايعَتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

* غرسَتْ عمرةُ آثارًا بِيضًا حِسَانًا في شخصيَّةِ ابنها سعدٍ، كما تركَتْ منهلًا رَويًّا نِسْويًا ينفعُ بناتِ حواء في مضمار التَّربية والسُّلوك.

عَمرةُ وأخواتُها:

* سمَّى العربُ نساءَهم عمرة، وأحصى ابنُ الأثير(٢) إحدى وعشرين صحابيةً باسم عمرة؛ وعدَّ ابنُ حجر(٣) قرابةَ ثلاثين صحابية أيضًا، فعمرةُ اسمٌ مشهورٌ، ولهُ

(١) طبقات ابن سعد (١٠/ ٤١٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٦٨)، والغوامض والمبهمات (ص٤٣١)، والإصابة (٨/ ١٤٧)، وأسد الغابة (٧/ ٣٢٨)، وفتح الباري (٥/ ٤٥٣)، والسيرة الحلبية (٢/ ٥٨٣)، ومصادر أخرى لا تُحصر.

(٢) أسد الغابة (٧/ ١٩٦-٢٠٢) ترجمة رقم (٧١٢٠-٧١٤٠).

(٣) الإصابة (٨/ ١٤٥-١٤٨) ترجمة رقم (٧٣٤-٧٦٣).

معانٍ جميلة[١]، واستخدمه العربُ بصيغة التَّصغير له للتَّحبيب فقالوا: «عُميرة» وهذا الاسمُ معروفٌ في أسماءِ الصَّحابيات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

* أمَّا عمرةُ أمُّ سعد، فهي إحدى أخواتٍ خمسٍ اسمُ كلِّ واحدةٍ منهنَّ: عمرة، حبَّر أسماءَهُنَّ المصنِّفون، وها أنا أوجزُ سيرتهنَّ لتتمَّ الفائدةُ، وتنتفعَ الأمهاتُ بما تركْنَه من خيراتٍ وبركاتٍ في بستانِ الأمومة.

* قال ابنُ سعد: «كُنَّ خمسَ أخوات، اسمُ كلٍّ منهنَّ عمرة، أسلمْنَ وبايعْنَ» وهذه ترجمتهنَّ:

١- عمرةُ بنتُ مسعود بن قيس... النَّجاريَّةُ، والدةُ سعدِ بنِ عبادة، وأمُّها: عميرةُ بنتُ عمرو بن حرام، ماتتْ في حياةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة خمس، وكان في غزوة دُومةِ الجندل، فلمَّا جاء المدينةَ، أتى قبرَها، فصلَّى عليها.

٢- عمرةُ بنتُ مسعود الصُّغرى، خالةُ سعدِ بنِ عبادة، كانت زوج أوسِ بنِ زيد ابن أصرم... فولدتْ له أبا محمد، واسمُهُ: مسعودُ بنُ أوس. ثم تزوَّجَها سهلُ بنَ ثعلبةَ ابن الحارث النَّجاريُّ، فولدت له عَمْرًا ورعينة، أو -رغيبة-.

٣- عمرةُ بنتُ مسعود الأنصاريَّةُ، أختُ اللتين قبلَها، تزوَّجَها ثابتُ بنُ المنذر والدحسَّان وإخوته، فولدت له أبا شيخ بنَ ثابت، واسمه: أُبيٌّ، وقد شهد بدرًا.

٤- عمرةُ بنتُ مسعود الرابعة شقيقةُ التي قبلها، تزوَّجَها زيدُ بنُ مالك بن عبد ودّ، فولدت له سعدًا وثابتًا.

٥- عمرةُ بنتُ قيس الخامسة، وهي والدةُ قيس بن عمرو النَّجاريّ[٢].

---

(١) انظر معنى اسم «عمرة» في لسان العرب، وتاج العروس مادة «عمر»، واستخرج ابنُ دريد معنى العمرة، وزعم بأنَّ العمرةَ: خرزةٌ أو لؤلؤةٌ يُفَصَّلُ بها نَظْمُ الذَّهب، وبه سُمِّيت المرأةُ عمرة. الاشتقاق (ص١٤).

(٢) الإصابة (٨/ ١٤٧و١٤٨)، والمحبر (ص٤٣١و٤٣٢)، وغيرها من مصنفات وتراجم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. =

السَّخيَّةُ أُمُّ النَّقيب:

* تنتسبُ عمرةُ إلى بيتٍ مشهورٍ بالجود والسَّخاء، وتزوَّجَتْ في أسرةٍ عريقةٍ في السُّؤْدد والسَّناء، فأنجبتْ سعدَ بنَ عبادة أحد السَّادات الأجواد، واقتبسَ كثيرًا من الخصالِ المورقةِ من حصافةِ أُمِّهِ وكياستِها.

* توجَّه سعدٌ تلقاءَ مكة، وفي العَقَبة[1]، كان من النُّقباء[2] الاثني عشر، فبايعَ ووفَّى بيعتَه، وورثَ الفخرَ إلى يوم الحشر، وربحَ بيعُه، وانصرفَ مع قومه وهم فرحون بلقاء رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* نُمِيَ خبرُ البيعةِ إلى مشركي قريش، فخرجُوا في طلبِهم، وأدركوا سعدًا في أذاخِرَ -مكان في مكَّة- فأخذوهُ، وربطوا يدَيه إلى عنقِهِ بحبل، وأقبلُوا به حتَّى أدخلوهُ مكَّة، يضربونَه، ويجذبونَ شَعْره، حتَّى خلَّصَهُ جُبيرُ بنُ مُطعم، والحارثُ بنُ حرب بنِ أميّة -وكان سعدٌ يجيرُ تجارتهما ويمنعُ مَنْ أراد ظُلْمهما ببلادِه- ولما خلَّصاه، انطلقَ إلى المدينةِ متحاملًا من شدَّة ما لقيَهُ من أذاهم. ولنقرأْ هذه الهمسةِ الأدبيةِ التي ترسمُ ما جرى لِسَعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَرفَتْ قريشٌ بالحقيقةِ والرِّجالِ القادمين

لحقوا بسعدٍ سيِّدِ الأنصار خَلْفَ القادمين

= قلتُ: «الأخواتُ الصَّحابيات كثيراتٌ، ومنهنَّ: أمُّ الفضل بنتُ الحارث وأخواتُها، وأمُّ بشر بن البراء وأخواتُها، وعفراءُ بنتُ عبيد وأخواتها، وغيرهنّ، وقد أوردتُ سيرَ بعضهنّ في هذا الكتاب».

(١) «**العَقَبَةُ**»: بالتَّحريك، وهو الجبلُ الطَّويل، يعرضُ للطَّريق فيأخذُ فيه. والمذكورُ في السِّيرة النَّبويَّةِ، وكتبِ التَّراجم، والمغازي: العقبةُ التي بُويعَ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي عقبةُ مِنى، ومنها تُرمى جمرةُ العقبة، وهي مدخلُ مِنى من الغرب وحَدُّهُ الغربيُّ. وإذا قيل: بيعةُ العقبةِ الأولى، وبيعةُ العقبةِ الثَّانية، الأولى والثانية: صفةٌ للبيعة وليست للعقبة. والله أعلم. المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسِّيرة (ص١٩٤) بتصرف.

(٢) «**النُّقباء**»: جمعُ النَّقيب، وهي كلمةٌ معروفةٌ في السِّيرة النَّبويَّةِ وتراجم الصَّحابة، وجاء معناها عند ابن عساكر، قال: «قال محمدُ بنُ عبد الوهَّاب: قُلتُ لِعَليِّ بن عثَّام: لِمَ سُمُّوا نقباء؟ قال: النَّقيبُ: الضَّمينُ، ضمنُوا لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إسلامَ قومهم، فسمُّوا بذلك نقباء» مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٣٨).

قـد أوثـقـوهُ وأوسـعـوهُ إهـانـةً مُتَجَمِّعين
سعدٌ تحـامـلَ لـلـمسيرِ فكـان مـن أَلَمٍ حزين
وروى هناك لقومهِ فِعْلَ الرِّجال المشركين[١]

أمُّ العَاقِلِ الكَامِلِ:

* امتلكَتْ عمرةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَعِنَّةَ التَّربيةِ الصَّحيحةِ، فكانت من ذواتِ المعارفِ المفيدة، وذواتِ البصيرة والخبرة في شؤون توجيه الناشئة، أرضعَت ابنَها حبَّ المعرفةِ منذ نعومةِ أظفاره، فنشَأَ على هوى العلْمِ والفُصحى صبيًا، وأخذتْ شخصيتُه العربيةُ تتكوَّنُ ملامحُها الجميلةُ، حيثُ حرصتْ أمُّهُ على تعليمهِ الكتابةَ العربيةَ، ثمَّ أوكَلَتْه إلى مَنْ يُدرِّبُه على الرِّمايةِ وفنِّ الفروسيّة؛ ليقتربَ من الكَمال، فقد ذكروا أنَّه: «كان يكتبُ بالعربيةِ في الجاهلية -وكانت الكتابةُ في العرب قليلًا- ويحسنُ السباحةَ والعَومَ، ويجيدُ الرَّميَ وأمورَ الفروسيَّةِ العربية، وكان الذي يتقنُ هذه الأمور يُسمَّى الكامل»[٢].

* قبسَ سعدٌ من أُمِّه الحَصَافةَ، فلم يستسلم لعاداتِ قومهِ وديانتهم المهزوزة، وحينما أكرمَهُ الله عَزَّوَجَلَّ بالإسلامِ عدا على أصنامِ بني ساعدة، وجعَلَها جذاذًا[٣].

* وجَّهت عمرةُ ابنَها إلى مكارم الأخلاق، فنشأَ هادئًا متّزنًا، وجيهًا ذا رياسةٍ وسيادةٍ في قومه، وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يزور آل سعد، ويأكُلُ عندهم، ويدعو لهم.

---

(١) تغريدة السيرة النبوية (١/ ٣٩٨) بانتقاء وتصرف.

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٨و٢٧٩) مع الجمع والتصرف. وانظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٢٧٩)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٦٦).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٦١٤) بتصرف يسير... ولما ترجم ابنُ حبَّان لعلماءِ الأمصارِ، افتتح ترجمةَ الأنصار بترجمةِ سعدٍ، فقال: «سعدُ بنُ عبادة بن دُليم الأنصاريُّ، ممَّن شهدَ العقبتَيْن، وبدرًا، وكان نقيبًا، وهو الذي يُقال له: سعد الخزرج، كان سيّدهم غير مدافع...» مشاهير علماء الأمصار (ص٢٨)، ترجمة رقم (٢٠).

❋ رُوي من عدَّةِ طرقٍ عن أنسِ بنِ مالك، وقيسِ بن سعد: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زارَ آلَ سعدِ بنِ عبادة في منزلهم، فقال: «السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله» فردَّ سعدٌ ردًّا خفيًّا: وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ الله» ولم يسمع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرجَعَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاتَّبعه سعدٌ فقال: «يا رسولَ الله، بأبي أنتَ، ما سلَّمْتَ تسليمةً إلا وهي بأُذني، ولقد رددتُ عليكَ ولم أُسْمِعْكَ؛ أحببتُ أنْ أستكثرَ من سلامك علينا، ومنَ البركةِ. فانصرفَ معه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرَ له سعدٌ بغسلٍ فاغتسلَ، ثمَّ ناوَلَه ملحفةً مصبوغة بزعفران، فاشتملَ بها، ثمَّ رفعَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه وهو يقولُ: «**اللهمَّ اجعلْ صلواتِكَ ورحمتَكَ على آلِ سعدِ بنِ عبادة**»[1]. ولعلَّ أمَّ سعدِ قد شملَها هذا الدُّعاءُ النَّبويُّ المنعشُ اللطيفُ.

أحبُّ أن تُصلِّيَ عليها:

❋ أنِسَتْ عمرةُ أمُّ سعد بالإسلام، وعاشَتْ أعوامًا سمانًا مليئةً بالخير والفضلِ والنِّعمة، وكان ابنُها سعدٌ ممَّنْ ينضوي تحتَ الرَّايةِ المحمَّديَّةِ في المغازي النَّبويَّةِ، فهو حاملُ رايةِ الأنصار، وهو سيِّدُهُم.

❋ صحبَ سعدٌ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة دُومَةِ الجَنْدل، في شهرِ ربيع الأوَّل من السَّنَةِ الخامسةِ للهجرة، وغابَ قرابةَ شهر، وإبَّان ذلك ماتَتْ أمُّهُ عمرةُ في المدينةِ النَّبويَّةِ.

❋ وثَّقَ ابنُ سعدٍ وابنُ كثيرٍ وغيرُهُما زمَنَ وفاةِ أمِّ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالوا: «... وكانت أُمُّهُ عمرةُ بنتُ مسعود من المُبايعات، فتوفيتْ بالمدينةِ، ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٤٠) بتصرف يسير. وفي روايةٍ أخرى: «أنَّ سعدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تبعَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبرَه بأنَّه أحبَّ أنْ يكثرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السَّلام على آلِ سعد، ثم دخلوا البيتَ، فقرَّبَ إليه زبيبًا، فأكلَ نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا فرغ قال: «**أكلَ طعامَكم الأبرارُ، وصلَّتْ عليكم الملائكةُ، وأفطر عندكم الصَّائمون**» مختصر تاريخ دمشق (٩/ ٢٤٠).

غائبٌ في غزوة دُومةِ الجندل... وكان سعدُ بنُ عبادة معه في تلكَ الغزوة، فلمَّا قدمَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى قبرهَا فصلَّى عليها»(١).

* عزَّزَ روايةَ ابنِ سعد سعيدُ بنُ المسيّب(٢) حينما روى: أنَّ أمَّ سعدِ بنِ عبادة ماتتْ والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غائبٌ، فقال له سعدٌ: «إنَّ أمَّ سعدٍ ماتَتْ، وإنِّي أحبُّ أن تصليَ عليها» فصلَّى عليها، وقد أتى لها شهر(٣).

* لم يتوقَفْ يُمْنُ أمِّ سعد عند هذا الحدِّ، وإنَّما تصدَّقَ عنها ابنُها سعدٌ صدقةً ذات قيمة عظيمة. أخرجَ أبو عبد الله البخاريُّ وغيرُهُ، بسندٍ رفعوه إلى ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أنَّ سعدَ بنَ عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ توفيتْ أمُّهُ وهو غائبٌ عنها، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ أمي توفيتْ وأنا غائبٌ عنها، أينفعُها شيءٌ إنْ تصدَّقْتُ به عنها؟ قال: نعم، قال: فإنِّي أشهدُكَ أنَّ حائطي المِخْرافَ صدقةٌ عنها»(٤).

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٦٧)، والبداية والنهاية (٥/ ٧)، والبدر التمام (٥/ ١١٤)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٢٨٠).

(٢) اقرأ سيرة سعيد بن المسيب في الباب الأول من كتابنا: علماء التابعين (ص٤٥-٤٩) حيث افتتحت بسيرته الكتاب.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٥٦٧و٥٦٨)، وأخرج الطبرانيُّ هذا الحديثَ بسنده عن سعيدِ بنِ المسيب: «أنَّ أمَّ سعد بن عبادة ماتت وهو غائبٌ، فلما قدمَ قال: يا رسولَ الله، أحبُّ أنْ تصليَ على أمي، فأتى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبرها، فصلّى عليها، وقد أتى لها شهر» المعجم الكبير (٦/ ٢٠) حديث رقم (٥٣٧٨)، وذكر محقّقُ الكتاب بأنَّ الحديث رواه الترمذيُّ (١٠٤٣)، والبيهقيُّ (٤/ ٤٨). وقال: «هو من مراسيل سعيد بن المسيب الصحيحة، وله شاهد» وقد ذكرها النووي في المهذب في الصلاة على الميت بعد دفنه.

(٤) أخرجَهُ البخاريُّ بهذا اللفظ في الوصايا برقم (٢٧٥٦)، وأخرجَهُ أيضًا برقم (٢٧٦٢و٢٧٧٠)، ومواضعَ أخرى، والتّرمذيُّ برقم (١٥٤٦)، وأبو داود برقم (٢٣٠٧)، والنسائيُّ (٦/ ٢٥٣)، وابنُ ماجه برقم (٢١٣٢)، وأحمدُ (١/ ٢١٩)، وابنُ حبَّان برقم (٤٣٩٣)، وغيرُ ذلك من مصادرَ متنوعةٍ.
وقوله «المِخْراف»: المكانُ المُثمرُ، سُمِّي بذلك لما يُجْنَى منه، تقولُ: شجرةٌ مِخْرافٌ ومِثْمارٌ. وجاء في روايةٍ «المِخْرف» بغير ألف، وهو اسمُ الحائطِ المذكور، والحائطُ: البُستانُ. =

وفاءُ نَذْرها:

* لعلَّ عمرةَ قد نذرتْ عملًا، وماتتْ ولم تَقْضِهِ، فسأَلَ ابنُها النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وفاء نذرها، فأمره بقضاءِ النذر.

* أخرجَ مسلمٌ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: استفتى سعدُ بنُ عبادة رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نَذْرٍ كان على أُمِّه توفيت قبل أنْ تقضيه، قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فاقضه عنها**»(١).

= وأخرجَ البخاريُّ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنَّ رجلًا قال للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ أمي افتُلِتَتْ نفسُها، وأُرَاهَا لو تكلَّمتْ تصدَّقَتْ، أفأتصدّقُ عنها؟ قال: نعم، تصدَّقْ عنها». أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٠). وقوله «رجلٌ»: هو سعدُ بنُ عبادة. و«افتُلِتَتْ»: أُخِذَتْ بغتةً. و«نفسُها»: روحُها، والمعنى أنَّها ماتت فجأةً. و«أُراها»: أظنُّها. و«أفأتصدّقُ عنها»: المعنى: هل لها أجرٌ إنْ تصدَّقْتُ عنها؟ فكانت إجابةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم تصدَّقْ عنها**» والله تعالى أَجَلُّ وأعلم.

قال أهلُ العلم في الصدقةِ عن الميت: «أما الصدقةُ عن الميت، فإنَّه يُنْتَفَع بها باتّفاق المسلمين، وقد وردت بذلك عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث صحيحة» المفصل في أحكام المرأة (١١/ ١٩٠)، والاستبصار (ص٥٥).

(١) أخرجه مسلمٌ في النَّذر برقم (١٦٣٨)، والبخاريُّ برقم (٢٧٦١و٦٦٩٨و٦٦٥٩)، والطَّبرانيُّ برقم (٥٣٧١و٥٣٧٢و٥٣٧٣و٥٣٧٤و٥٣٧٥) وغيرهم.

ومعنى قوله «استفتى سعدٌ...»: قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ما خلاصتُه: «أجمعَ المسلمون على صحَّة النَّذر، ووجوب الوفاء به إذا كان الملتزم طاعة، فإن كان نَذْرَ معصية، أو مباحًا، لم ينعقدْ نذرُهُ، ولا كفَّارة عليه عندنا».

و«فاقْضِهِ عنها»: دليلٌ لقضاءِ الحقوق الواجبة على الميِّت، فأمَّا الحقوق المالية فَمُجْمَعٌ عليها. ولعلَّ نذر أمِّ سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان في المال. فقضاه سعدٌ من تركَتِها، أو تبرَّعَ به والله أعلمُ. المنهاج (ص١٢٥١) بتصرف.

وفي هذا الحديث فوائدُ مهمةٌ نافعةٌ، ومنها:

١- جوازُ الصَّدقةِ عن الميت من الولد الصَّالح، وأنَّ ذلك ينفعُه ويُثيبُه.

٢- تركُ الوصية جائز، واستشارة الصَّحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمور الدِّين.

٣- الجهادُ في حياةِ الأم، والمسارعةُ إلى عمل البرِّ، وبرّ الوالدين في حياتها وبعد مماتها، وإظهار الصَّدقة قد يكون خيرًا من إخفائها.

* وأخرجَ الطَّبرانيُّ وغيرهُ، عن سعدِ بنِ عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه أتى النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ أمي ماتتْ، أفأتصدَّقُ عنها؟ قال: «**نعم**» قال: فأي الصَّدقةِ أفضل؟ قال: «**سقي الماء**»[١].

* وفي روايةٍ عن الحسنِ عن سعدِ بنِ عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، والدتي كانت تتصدَّقُ وتنفقُ من مالي في حياتها، فقد ماتَتْ، أرأيتَ إنْ تصدَّقْتُ عنها، أو أعتقتُ عنها نرجو لها شيئًا؟ فقال: «**نعم**»، قال يا رسولَ الله دُلَّني على صدقةٍ، قال: «**أَسْقِ الماء**» قال الحسنُ: فما زالتُ جرارُ سعدٍ بالمدينة بعد[٢].

* وجاء في روايةٍ أخرى أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**يا سعدُ، ألا أدلُّكَ على صدقةٍ يسيرة مُؤْنَتُها، عظيمٍ أجرُها؟**» قال: بلى، قال: «**تسقي الماء**» فسقى سعدٌ الماء[٣].

* وعند ابن سعد؛ أنَّ سعدَ بنَ عبادة قال للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأَيّ الصَّدقة أحبُّ إليك، أو: أعجبُ إليك؟ قال: «**اسقِ الماء**»[٤].

* شفى القرطبيُّ النفوسَ، وروى القلوبَ؛ حينما أورد قصَّةَ عمرة أمّ سعد في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ...﴾ [الأعراف:٥٠]، فقال: «في هذه الآية دليلُ على أنَّ سقيَ الماء من أفضلِ الأعمال، وقد سُئِلَ ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أيّ الصَّدقةِ أفضلُ؟ فقال: الماء، أَلَمْ تَروا إلى أهل النَّار حين استغاثوا بأهل الجنَّة: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾؟ وروى أبو داود أنَّ

---

(١) المعجم الكبير (٦/ ٢٠و٢١) برقم (٥٣٧٩)، وأخرجه أبو داود برقم (١٦٦٣و١٦٦٤و١٦٦٥)، والنسائيُّ (٦/ ٢٥٤و٢٥٥)، وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٤١٣).

(٢) المعجمُ الكبير (٦/ ٢١) برقم (٥٣٨٣و٥٣٨٤).

(٣) المعجم الكبير (٦/ ٢٢) برقم (٥٣٨٥).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٦٨). وسأل رجلٌ الحسنَ البصريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أشربُ منْ ماء هذه السِّقاية التي في المسجد فإنَّها صدقةٌ! فأجابه الحسنُ معلّمًا ومرشدًا: «قد شرب أبو بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من سقاية أمِّ سعد، فَمَهْ» طبقات ابن سعد (٣/ ٥٦٨) بشيء من التصرف.

سعدًا أتى النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أيّ الصَّدقة -الأعمال- أعجبُ إليك؟ قال: «**الماء**» وفي رواية: فحفرَ بئرًا، فقال: «**هذه لأمِّ سعد**» وعن أنسٍ قال: قال سعدٌ: يا رسولَ الله، إنَّ أمَّ سعد كانت تحبُّ الصَّدقةَ أفينفعها أنْ أتصدَّقَ عنها؟ قال: «**نعم؛ وعليكَ بالماءِ**».

وفي روايةٍ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ سعدَ بنَ عبادة أن يسقيَ عنها الماء، فدلَّ على أنَّ سقيَ الماء من أعظم القُربات عند الله تعالى، وقد قال بعضُ التَّابعين: «مَن كثُرت ذنوبُه فعليه بسقي الماء، وقد غفرَ الله ذنوب الذي سقى الكلبَ، فكيف بمن سقى رجُلًا مؤمنًا موحِّدًا وأحياهُ؟»[1].

في عيشةٍ راضية:

❊ وردْنَا موردًا هنيًّا مع سيرة عمرةَ أمِّ سعد بن عبادة حيث جادت علينا بكثير من الفوائد واللطائف والأحكام، ودلَّتْ على فضائلها التي تهذِّبُ الطِّباع، وترشدُ الأمهات إلى سُبُلِ الخيرات. وختامًا سنداعبُ هذه القصيدة التي ترسمُ بعض مناقبِ أمِّ سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

يا أمَّ سعدٍ لَسْتِ من همِّه ... سعدٌ عن الأهلين في معزلِ
واستقبلي الموتَ على هولهِ ... إنِّي أراهُ سائغُ المنهلِ
ظمئتِ من سعدٍ إلى نظرةٍ ... تطفئُ حرَّ اللاعجِ المشعَلِ
روَّاكِ ربُّ النَّاس من سرحةٍ ... ألقى عليها ظلَّه مِنْ عَلِ
يا أمَّ سعدٍ إنَّها نعمةٌ ... جاءتك لم تطلبْ ولم تُسْأَلِ
هذا جوارُ اللهِ فاستبشري ... وهذه جنَّاتهُ فادخلي[2]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي للآية (٥٠) من سورة الأعراف. وانظر: البدر التمام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام (٥/ ١١٣و١١٤) حيث جاء بما يشفي الصدور.

(٢) ديوان مجد الإسلام لأحمد محرم (ص١٨١و١٨٢) بانتقاء، ومعنى قوله «في معزل»: كان سعدٌ في غزوة دومة الجندل، فماتت أمُّه وهو غائب. و«المنهل»: شراب سائغ عذب، والمنهل: مكان الشَّرب. و«سرحة»: السَّرحة: الشَّجرة العظيمة. و«نعمة»: المقصود بها صلاة النبي على قبرها.

❊ رضي الله عن عمرةَ أمِّ سعد بن عبادة، وجعلَ نساءَنا يُدركْنَ فَضْلَ هؤلاء الأُمّهات الصَّحابيات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.



أُمُّ عبد الله بن بسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

- ابنُها ممَّن صلَّى القبلتَيْن، وعاش قرنًا من الزمان.
- جميعُ أفرادِ أسرتها من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.
- دعا لها النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة والمغفرة والرحمة.



أُمُّ عبدِ اللهِ بنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أسرةٌ بُسْرِيَّةٌ ميمونةٌ:

* نستقبلُ سيرةَ أُمٍّ صحابي لها أزاهرُ مونقةٌ في مضمار المكارمِ والفضائلِ، فهي أمُّ صحابي ميمون النَّقيبة من المُعمَّرين وأمُّ صحابيةٍ عالمةٍ وسخيةٍ ومحبَّةٍ لمحاسنِ الأعمال، كذلك لها ابنُ آخر اسمُه عطيَّة معدودٌ في الصَّحابة، وزوجُها صحابيٌّ ذو كَرَمٍ وجُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

* أمَّا ربَّةُ هذه الأسرة الميمونة فهي صحابيةٌ أيضًا، لكنَّ المصادرَ التي بين أيدينا لم تفصحْ عن اسمِها، وإنَّما أسعفتنا بكنيتها فقالت: أمُّ عبد الله بنُ بُسر المازنيّ[1]. وقد جاءت قبسّاتٌ من سيرتها في حديث ابنها عبدِ الله بنِ بسر في مواطنَ متعددةٍ من مصنَّفاتِ الحديثِ النَّبويِّ، وعددٍ من المصادر المتنوِّعةِ التي عُنيتْ بحياةِ الصَّحابة؛ وسيرتهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

* أودعَ أبو زرعةَ الدِّمشقيُّ في تاريخه بعضَ المناقب للبيتِ البُسريِّ، فقال: «أخبرني عبدُ الرحمن بنُ إبراهيم: أنَّهم أهلُ بيتٍ أربعة؛ صحبوا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُسْرٌ، وابناهُ وابنتُه». قال أبو زرعةَ: «فبلغني أنَّهم: بسرٌ، وعبدُ الله، وعطيةُ، وأختهما الصَّماء»[2].

---

(١) معرفة الصحابة (٥/ ٣٦٥) ترجمة رقم (٤١٢٧)، والإصابة (٨/ ٢٥٥) ترجمة رقم (١٣٨٥)، وأسد الغابة (٧/ ٣٤٨) ترجمة رقم (٧٥١٦)، والمستدرك (٤/ ١٠٧)، وشرح حياة الصحابة (٣/ ٢٨٠)، وتراجم أعلام النساء (ص٥١٥)، وغيرها كثير.

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص٥٧)، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ١٤٥).

* قال بعضُ أهلِ العِلْم: «الصَّماءُ بنتُ بسر، اسمُها: بُهَيمة»[١]. فهؤلاء أربعةٌ لهم صحبةٌ، ويصبحُ عددُهم خمسةٌ إذا كانت معهم أمُّ عبد الله. بل إنَّ خالةَ عبد الله وعمته أسلمَتَا أيضًا، وهما مذكورتان في تواريخِ الصَّحابة[٢].

* بَصُرَتْ أمُّ عبد الله بمنهجِ الإسلام، وشرعتْ تغرسُ في نفوسِ أولادِها الآدابَ النَّافعةَ، والشِّيمَ الحسنة، والفروسيّة، ومحبَّة الصَّادق المصدوق ﷺ، وهذا ما أفادَ به البلاذريُّ حينما تكلَّمَ عن غزو قبرص، وأوردَ أنَّ عددًا من الصَّحابة غَزَوْهَا مع سيِّدنا معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنهم: عبدُ الله بنُ بسر المازنيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٣].

* وسنجلو من خلال الفقرات الآتية مآثر تربية أم عبد الله لأولادها، وحسن رعايتها لأمور بيتها ودينها ومجتمعها.

حصَادُ تربيتِها:

* الأسرةُ البسريةُ أسرةٌ متميزةٌ، فقد كان أفرادُها من حملَةِ ألويةِ العِلْم والرِّوايةِ، ومن أهلِ الكَرم والسَّخاء.

* ويلفتُ نَظَرَ المُطَّلع على حياةِ الصَّحابة حسنُ توجيه أمِّ عبد الله لابنها، وعنايتها به، مع العلْم أنَّ ابنَها كان طريَّ العُود، غضَّ الإهاب، لم يشتدَّ عوده بعد، إلا أنَّه كان فتًى عالي الهمّة، فقد كان ممَّن صلَّى مع رسول الله ﷺ القبلتَيْن جميعًا[٤]، ووضعَ النَّبيُّ ﷺ يدَهُ الشَّريفةَ على رأسِ عبد الله، وبارك عليه، ودعَا له ولوالدَيْهِ وإخوته دعاءً عظيمًا وجدوا بركَتَه وأثره في حياتهم.

---

(١) معرفة الصحابة ترجمة رقم (٣٩٣٩)، وتاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ١٤٥)، وغيرهما، وذكرت بعض المصادر أن اسمها «بهية» انظر: الغوامض والمبهمات (ص٧٨٠).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ١٤٦)، وانظر كتاب: الغوامض والمبهمات (ص٨٧٠).

(٣) فتوح البلدان (ص١٨٢).

(٤) تاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ١٤٧).

* وأمُّ عبد الله صحابيةٌ عرفَتْ قَدْرَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأحبَّتْ أنْ تنقلَ هذه القيمة التَّربوية إلى أولادِها، فكانت تحثُّ ابنَها عبدَ الله على المجالسِ النَّبوية، وملازمةِ المسجد ومحبَّةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومبايعتهِ، حتى أُثِرَ عنه أنَّه كان يفتخرُ بقوله: «تَرون يدي هذه، ضربتُ بها على يد رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، أو قال: «بايعتُ بها رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

* استضاءَ عبدُ الله بأقباسِ الشَّمائل النَّبويَّة، وكان يتألقُ بإرشاداتِ أمِّه المُحِبَّةِ للعِلْم، فيتفرَّغُ لتعليمِ النَّاس أينما حَلَّ، وقد شهدَ له بهذا أبو الزَّاهرية الشَّاميُّ فقال: «كان عبدُ الله بنُ بسر يُحدِّثنا حتّى تُقامَ الصَّلاةُ»(٢).

* كان من حصادِ تربيةِ أمِّ عبد الله أنْ غدا ابنُها من علماءِ الصَّحابة وحكمائهم، حتى أُثرتْ عنه كلماتٌ تشبهُ القلائدَ والعقودَ اللؤلؤية لنفاستِها، ومنها قوله: «المتَّقون سادةٌ، والعلماءُ قَادة، ومجالستُهم عبادة، بل ذلك زيادة، وأنتم في ممرِ الليل والنَّهار في آجالٍ منقوصة، وأعمالٍ محفوظة، وأعدّوا الزَّاد؛ فكأنّكم بالمعَاد»(٣).

* إنَّ للأُمِّ الحازمةِ العاقلةِ المقامَ الأوفى، والمنزلةَ الأسمى في تنشئةِ أولادِها، ولهذا فقد أبدعَ أبناءُ الصَّحابيات في سُبُلِ الحياة جميعها، ونهضُوا، وعملُوا، وأخلصُوا، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكانوا القدوة المُثلى، وكانوا ممن عناهم الشَّاعر بقوله:

خَلَّفْتِ جيلًا منَ الأصحابِ سيرتُهم ... تضوعُ بينَ الورى روحًا وريحانا

كانت فُتوحُهمُو برًّا ومرحمةً ... كانتْ سياستُهم عدلًا وإحسانا

لم يعرفُوا الدِّين أورادًا ومسبحةً ... بل أُشْبِعُوا الدِّينَ محرابًا وإيمانا(٤)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٤٧).

(٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص٥٥).

(٣) تاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ١٥٧).

(٤) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ٢٩٦).

لو صَنَعتِ لرسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعامًا:

* بُورك بيتُ أمِّ عبدِ الله بنِ بُسر بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتشرَّفَ بأبي بكرٍ الصِّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد كانت أمُّ عبدِ الله مضيافةً سخيةً، حظيتْ بزيارةٍ نبويةٍ فصَّلَها ابنُها عبدُ الله قال: «قال أبي لأُمِّي: لو صَنَعْتِ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعامًا، فَصَنَعَتْ ثريدةً تقلل، فانطلقَ أبي فدعاهُ، فوضَعَ يدهُ عليها، ثم قال: «**كلُوا بسمِ الله**» فأخذوا من نحوها، فلما طَعِموا، دعا لهم، فقال: «**اللهمَّ اغفرْ لهم وارحمهم، وباركْ لهم وارزقْهم**»[1]. وفي روايةٍ: «**وبارك لهم فيما رزقْتَهم**»[2].

* ونحفلُ بهذه الرِّواية التي ترسمُ الزِّيارةَ الصِّديقيَّةَ بالمعيَّةِ النَّبويَّةِ، يقدِّمُها لمحبِّي الصَّحابة عبدُ الله بنُ بسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: «زارَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلنا مع أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكنتُ أختلفُ بين أبي وأمّي، فَهَيَّأْنا له طعامًا، فأكلَ ودعا لنا بدعاءٍ لا أحفظه، ثم مسحَ يده على رأسي، فقال: «**يعيشُ هذا الغُلامُ قرنًا**»[3].

* ويفصِّلُ عبدُ الله بنُ بسر الزِّيارةَ النَّبويَّة في روايةٍ أخرى، فيقول: «أتى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلنا مع أبي، فقامَ إلى قطيفةٍ لنا قليلةِ الخمل، فجمعَها بيده، ثمَّ ألقاها للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقعَدَ عليها، ثم قال أبي لأمي: هل عندكِ شيءٌ تُطْعِمِيناه؟ فقالت: نعم، شيءٌ من حَيْس، فقرَّبَتْهُ إليهما فأكلا، ثم دعا لنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم التفَتَ إليَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا غلامٌ، فمسحَ بيده على رأسي، ثم قال: «**يعيشُ هذا الغلام قرنًا**». قال عبدُ الله: «فلقد عشتُ خمسًا وتسعين، وبقيت خمس إلى أن أتمَّ قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وعاشَ عبدُ الله مائة سنة[4].

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٤/ ١٠٧)، وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح»، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ١٥١و١٥٢).

(٢) معجم الصحابة للبغوي (٤/ ١٧٠).

(٣) المستدرك (٤/ ٥٠٠)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٢٧/ ١٥٥)، ومختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٤٩)، ومعنى قوله «حَيْس»: الحيسُ: طعامٌ =

مكْرمةٌ ومنقبةٌ لأمِّ عبدِ الله:

❁ كانت أمُّ عبد الله تحتفي برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتخصُّه بالطَّعام الذي يحبُّه، وتقتبسُ من هَدْيِهِ آدابَ الطَّعام؛ فاختُصَّت بالإكرام مع زوجها وأولادها، فكيف كان ذلك؟

❁ ابنُها عبدُ الله عنده الخبرُ اليقين، وهو الذي روى فقال: «بَعَثَني أبي إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدعوهُ إلى طعام، فجاءَ معي، فلمَّا دنوتُ من المنزلِ، أسرعتُ فأعلمتُ أبوي، فخرجَا، فتلقيا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورحَّبا به، ووضعنا تحتَه قطيفةً كانت عندنا زَبيرية -ضخمة- فقعدَ عليها، ثم قال أبي لأمّي: هاتي طعامَكِ، فجاءت بقصعةٍ فيها دقيقٌ قد عصدتهُ بماءٍ وملح، فوضَعَتْه بين يدي رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**خُذوا بسمِ اللهِ من حواليها، وذروا ذروتَها، فإنَّ البركةَ فيها**» فأكلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأكلنا معه، وفضَل منها فضلةٌ، ثم قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ اغفرْ لهم، وارحمهم، وباركْ عليهم، ووسِّعْ عليهم في أرزاقِهم**»، فما زلْنَا نتعرفُ البركةَ والسَّعَةَ في الرِّزق إلى اليوم»[(١)].

❁ وعقبَ هذا الدعاء أكرمَ اللهُ أمَّ عبد الله بمنقبةٍ شريفة، رواها ابناها قالا: «وأُنزِلَ عليهِ الوحيُ في بيتنا، وقدَّمْنَا إليه زبدًا وتمرًا، وكان يحبُّ البُسر»[(٢)].

❁ وعند أبي نُعيم صورةٌ أخرى لضيافةِ أمِّ عبد الله، رواها ابنها فقال: «أتانا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فألقت له أمّي قطيفةً، فجلس عليها، فأتته بتمر، فجعلَ يأكلُ ويقولُ بالنَّوى هكذا، قال أبو داود: هكذا بالسَّبابة والوسطى كما يُرمى بالنَّواة فوق إصبعه، ثم

=يتّخذُ من الأقط، وهو اللبن والتَّمر والسَّمن. وروي عن عبد الله وعطية ابنَي بُسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: «دخلَ علينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقدّمنا له زبدًا وتمرًا، وكان يحبُّ الزّبد والتمر». أخرجه ابن ماجه برقم (٣٣٣٤)، وأبو داود برقم (٣٨٣٧)، وانظر: زاد المعاد (٤/ ٣١٧).

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٤٨)، وانظر: معجم الصحابة للبغوي (٤/ ١٧٢)، وتاريخ مدينة دمشق (٢٧/ ١٥٣).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٤٨).

دعا بشرابٍ فَشَرِب، ثمَّ سقى الذي عن يمينهِ، فقالت أمي: يا رسولَ الله، ادعُ اللهَ لنا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ باركْ لهم فيما رزقتَهم، واغفرْ لهم وارحمهم**»[(١)].

* وروى مسلم، أنَّ عبدَ الله بنَ بسر قال: «فقال أبي، وأخذَ بلجام دابته، ادعُ اللهَ لنا، فقال: «**اللهمَّ باركْ لهم فيما رزقْتَهم، واغفرْ لهم وارحمهم**»[(٢)].

* ولهذا قال المِزِّيُّ في ترجمةِ عبدِ الله بنِ بسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «له ولأبويه صحبةٌ، زارهم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأكلَ عندهم، ودعا لهم»[(٣)].

* سَعَتْ أمُّ عبد الله طيلةَ حياتها لتحظى بمرضاةِ الله عَزَّ وَجَلَّ ومرضاةِ رسولهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسعدَتْ وكانت من الفائزاتِ النَّاجحات بإذن الله.

* لم تحتفظْ ذاكرةُ التَّاريخِ النِّسويِّ متى لبَّتْ أمُّ عبد الله بن بسر نداءَ ربِّها، ومتى جاءتها سكرةُ الموت بالحقِّ، لكنَّها رسمت آثارَها الكريمةَ في حسنِ صحبتها، وكمالِ تربيتها لأولادِها، وحسن تبعُّلها لزوجها، فرضي الله عنهم أجمعين.

* ومع وداع سيرتها، هيا ندعو الله عَزَّ وَجَلَّ ونقول: «اللهم بارك لنا في رزقنا، واغفر لنا، وارحمنا».



---

(١) معرفة الصحابة ترجمة رقم (٤١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٠٤٢)، وهو عند أبي داود برقم (٣٧٢٩)، والترمذي برقم (٣٥٧٦)، وابن حبّان برقم (٥٢٩٧)، وغيرهم. وجاء في الصَّحيح وغيره رواياتٌ تفصحُ عن محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتَّمر، ومنها ما رواه عبدُ الله بنُ بسر قال: «دخلَ علينا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطَعِمَ، ثم أُتي بِسُويق فشربَ، ثم أعطى الذي عن يمينه، وكان إذا أكلَ التمر وضعَ النواة على ظَهْرِ أصبعه الوسطى، والمشيرة، ثمّ ألقاها» نوادر الأصول (ص٣٢٩) حديث رقم (٨٩٥)، وانظر تخريج الحديث فيه.

(٣) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٣٣)، وفي هذه الأحاديث والأخبار فائدةٌ وهي: طلب الدُّعاء من الضيف، وإجابة الضيف إلى طلبهم، ولعلَّ أمَّ عبد الله وأباه قد طلبا الدعاء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه نبي، لا لأنه ضيف. والله تعالى أجل وأعلم.

أُمُّ معاذ بن الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

- لها خصيصةٌ نادرةٌ فأولادُها السَّبعةُ بدريُّون.
- هي وأختاها من الصَّحابيات الفاضلات المبايعات.
- ابنُها معاذٌ قاتلُ أبي جهل، وماتت سنة (١٤هـ).



أُمُّ معاذ بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أُمُّ سبعةٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ:

* ولدَتْ بضعةَ رجَال، زيَّنُوا عصرهم بكريمِ الفعال، هذه الوالدةُ منَ الصَّحابيات المُنجبات اللواتي أهْدَين الدُّنيا نماذجَ من التَّربيةِ العظيمةِ الفريدةِ، فقد أسهمَ أولادُها في إعلاءِ كلمةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وجاهدوا مع رسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونشروا الفضائلَ في كُلِّ ميدان حَلُّوا فيه.

* وإذا أحببتَ -أيُّها المحبُّ للصَّحابةِ- أنْ تُطالعَ سيرةَ هذه الأُمِّ الكريمةِ، فاذهبْ إلى هذه النُّبذة التي دوَّنَها ابنُ حبيب عن المُنجبات، ثم انفردَ بذكرِ ضيفتنا فقال: «... وعفراءُ بنتُ عُبيد بن ثعلبةَ بنِ مالك بن النَّجَّار، وَلَدَت معاذًا ومُعوِّذًا وعَوفًا بني الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم، وخالدًا وأياسًا وعاقلًا وعامرًا بني بكير بن عبد ياليل الليثيّ، شهدوا كلُّهم بدرًا مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[(١)].

* عُرِفَ هؤلاء البدريُّونَ الأبطالَ باسم: «بنو عفراء»، كما اشتُهِرَ اثنان من ولديها باسمِ: «ابنا عَفْراء» وهما اللذان قَتَلا أبا جَهْل أخزاهُ الله[(٢)]. وقد ذكرَ أحمدُ البدويُّ بنُ مُحَمَّدا أبناءَ عفراء[(٣)] مع أمِّهم فقال:

(١) المحبر (ص٣٣٩و٤٠٠و٤٥٩)، وانظر سيرة عفراء في الإصابة (٨/ ١٤٤)، وصفة الصفوة (٢/ ٧١)، والمعارف (ص٥٩٧)، وتلقيح فهوم الأثر (ص٣٥٩)، وأسد الغابة (٧/ ٩٤)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٤١٢)، وتاج العروس (١٣/ ٩٤)، والعقد الفريد (٣/ ٣٢٨)، وغيرها كثير.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٩).

(٣) عفراءُ: العفراءُ: البيضاءُ، يُقال: ماعِزةٌ عَفْراءُ: خالصةُ البياض. وأرضٌ عفراء: بيضاءُ لم تُوطأْ. وفي الحديث: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراء**». وعفراءُ: اسمُ امرأةٍ، وسمَّى العربُ عفراءَ. ومعاذُ ومعوِّذٌ وعوفٌ بنو الحارثِ بنِ رفاعةَ النَّجَّاريّ، المعروف كلٌّ منهم بابنِ عَفْراء، وهي أُمُّه، =

عــوفٌ مــعــوِّذٌ مُــعَــاذُ اشــتُــهِــروا   بــأُمِّــهــم عَــفْــرا وعَــمْــرًا عــفَّــروا[1]

عفْراءُ وأُخْتَاها:

❊ تتفرَّدُ أمُّ معاذ عفراءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمكانةٍ سنيةٍ بين أُمَّهات الصَّحابة، فهيَ أُمُّ فرسان من مدرسةِ النُّبوَّة، وأُمَّ شهداء، وأُمُّ أسخياء، وأولادُها ذووا أعمالٍ ماجدةٍ، وصنائعَ خالدةٍ، وتاريخُهم يشهدُ لهم بالإبداعِ والإخلاصِ في عصرهم.

❊ استقى هؤلاء الأماجدُ هذه المكارمَ من أُمِّهم عفراء ذات الخصالِ الكريمة، وكانت هذه الأُمُّ من المُبايعات مع أسرتها، ومع ذويها، وقد سجَّل أهلُ العِلْم هذه الإضاءات.

❊ أفاد ابنُ سعد أنَّ عفراءَ نجَّاريَّةٌ أنصاريَّةٌ، وأُمُّها كذلك من بني النَّجَّار، وقد تزوَّج عفراءَ الحارثُ بنُ رفاعة النَّجاريُّ، فولدت له معاذًا ومُعوِّذًا وعوفًا، شهدوا بدرًا، وقد أسلمت عفراءُ، وبايعَتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

❊ ولم تغبْ أُخْتَا عفراء وشقيقتاها عن مائدةِ البيعةِ، وإنَّما أنعمَ اللهُ عليهما بالإسلام، فكانتا من الصَّحابيات.

=وهي عفراءُ بنتُ عُبيد بنِ ثعلبةَ النَّجاريَّةُ، لها صحبةٌ، وأولادُها شهدوا بدرًا. تاج العروس (١٣/ ٨٣-٩٤) بتصرف واختصار.

ومن المفيد أنْ نشيرَ إلى أنَّ اسمَ عفراء قد جاء في شعْر عروةَ بنِ حزام في مواضع كثيرة حيثُ أحبَّ عفراءَ بنتَ عقال بنِ مهاصر، وكان عروةُ شاعرًا إسلاميًّا، وهو أحدُ المُتيميّن الذين قَتَلَهم الهوى، ولا يُعرفُ له شعرٌ إلا في عفراءَ بنتِ عمِّه، ومنها قوله:

فَعَفْراءُ أحظى النَّاس عندي مودَّةً   وعفراءُ عنّي المُعْرِضُ المُتواني

الأغاني (٢٤/ ١٤٥-١٦٦)، والحجب المستورة في محاسن المقصورة (٢/ ٧٦٦-٧٧٤).

(١) عمود النَّسب (ص٩٥)، وقوله: «عفراء»: عفراءُ بنتُ عبيد. و«عمرًا عفروا»: عمرو: أي أبو جهل، والمعنى أنهم قتلوا أبا جهل عمرو بن هشام، وعفَّروه بالتراب.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٤١٢) بشيء من التصرف.

❁ فأَمَّا أُولاهما: فهيَ جعدةُ بنتُ عُبيد الأنصاريَّةُ النَّجاريةُ، الكريمةُ السَّخيَّةُ أُمُّ الصَّحابيِّ الجوادِ حارثةَ بنِ النُّعمان، أحد البدريين، أسلمَتْ جعدةُ وبايعَتِ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

❁ وأَمَّا الأخرى: فتُدعى خولةُ بنتُ عُبيد الأنصاريَّةُ النَّجَّاريَّةُ، أُمُّ معاويةَ بنِ صامت الخزرجيّ، أسلمَتْ خولةُ وبايعتِ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

❁ كانتِ الأخواتُ الثَّلاثُ من فضْلَيات أُمَّهاتِ الصَّحابة الأنصاريَّات، وقد صنعْنَ جلائلَ الأعمال، وربَّينَ كبارَ الرِّجال، فبلغْنَ المعالي الشَّريفة، والمحاسنَ المنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

أبناؤها وصحائف المكارم:

❁ ما ظنُّك بأمٍّ في الزَّمنِ القديمِ ارتبطتْ شهرةُ أبنائِها بها؟ ولا يذكرُ أبناؤها إلا مقرونين بها! ولا تُذكرُ شمائلُهم إلا بها! ولا بطولاتُهم إلا بها؟ والله إنَّ هذا لهو الفضلُ المُبين.

❁ نشأَ أولادُها على أتمِّ المكارمِ الإنسانيةِ، فأرشدْتُهم إلى طرقِ الرشادِ والسَّداد، وكان بنوها: معاذُ وأخواهُ عوفٌ ومعوذٌ بنو عفراء من أهل بَدْرِ، وشهدوا من قبل بيعة العقبةِ الثَّانية مع الثَّلاثة والسَّبعين رجُلًا والمرأتين[(٣)]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. بل إنَّ ابنَها معاذَ ابنَ عفراء من الأنصارِ الأوائلِ الذين أسلمُوا بمكَّةَ على يدَ الصَّادق المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلَّمَه سورةَ يُوسُف و﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ مع رافعِ بنِ مالك النَّجاريّ[(٤)].

(١) طبقات ابن سعد (١٠/ ٤١٢)، والإصابة (٨/ ٣٨).
(٢) طبقات ابن سعد (١٠/ ٤١٢-٤١٣)، والإصابة (٨/ ٧١).
(٣) البداية والنهاية (٤/ ٤١٥).
(٤) البداية والنهاية (٤/ ٣٦٨-٣٧٠) بشيء من التصرف، وانظر: الدر المنثور في التفسير المأثور (٨/ ١٧٥و١٧٦).

* وأقرَّ كاتبو السِّيرةِ والسِّيرِ أنَّ معاذَ بنَ عفراء أَوَّلُ مَنْ أسلمَ من الخزرج، وكذلك عوفٌ وهما ابنا عفراء[١]، ثم عادا إلى المدينةِ مع صحبِهم، وجعلا ينشُران فيها الإسلام حتى فشا، ثمَّ قدما في العامِ المُقْبل مع اثني عشَر رجلًا، وكان ابنا عفراء من بينهم، وشهدوا الموسم، ولقوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعقبة، فبايعوه عندها بيعة النساء، وهي بيعة العقبة الأولى، وروى حديثَ البيعة إماما أهل الحديث البخاري ومسلم[٢].

* ويمكننا أن نضيف صحيفة أخرى إلى صحف المكارم العفرائية، ونشير إلى أن مكان المسجد النبوي، كان مربدًا[٣] لغلامين يتيمَيْن من بني مالك بن النجار، وهما: سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا في حِجْرِ معاذ ابن عفراء[٤]. وذكروا: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ على سيِّدِنا أبي أيّوب الأنصاريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سألَ عن المربدِ: «**لمن هو؟**» فقال له معاذُ ابنُ عفراء: هو يا رسولَ الله لسَهلٍ وسُهيلٍ ابني عمرو، وهما يتيمان لي، وسأُرضيهما منه، فاتّخذهُ مسجدًا، فأمر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يُبنَى...»[٥].

* وأشارَ ابنُ إسحاق إلى أنَّ المربدَ كان لِغُلامَيْن يتيمَيْن في حجْرِ معاذِ ابنِ عفراء؛ وهما سهلٌ وسهيلٌ ابنا عمرو[٦].

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣٧٢)، وإتحاف الورى بأخبار أم القرى (١/ ٣٢٦) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨٩٣و٦٨٧٣)، ومسلم برقم (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت.

(٣) **مربد**: المربد: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

(٤) السيرة النبوية (١/ ٤٩٥)، والبداية والنهاية (٤/ ٤٩١).

(٥) السيرة النبوية (١/ ٤٩٦)، والبداية والنهاية (٢/ ٤٩٣) مع الجمع والتصرف اليسير.

(٦) السِّيرةُ النَّبويةُ (١/ ٤٩٥). قال ابنُ سعد: «سهلُ بنُ رافع النَّجاريُّ... وهو أخو سُهيل بنُ رافع من أهل بدر، وهما صاحبا المربد الذي بُنَي فيه مسجدُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانا يتيمَيْن لأسعدِ بنِ زرارة، شهدَ سهلٌ أحُدًا، وتوفيَ وليس له عقب» طبقات ابن سعد (٤/ ٣١٨).

وقال ابنُ سعد عن سُهيل: «سهيلُ بن رافع... وهو أخو سهلِ بنِ رافع، وأُمُّ سهل وسُهيل رُغيبةُ بنتُ سهل ابن ثعلبة النَّجاريَّة... شهدَ سُهيلٌ بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلَّها مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوفي في خلافةِ عمرَ بنِ الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وليسَ له عقب» طبقات ابن سعد (٣/ ٤٥٤) بتصرف واختصار. =

* شفى ابنُ دريد النَّفس حينما تكلَّم عن بطونِ الخزرجِ ورجالها، ونوَّه إلى عفراءَ وأولادِها، فقال: «ومنهم: معاذُ، ومعوِّذٌ، وعوفٌ؛ الذين يُقَال لهم: بنو عفراء، ومعاذُ الذي ضَرَبَ أبا جَهْل يوم بَدْرَ فَقَطَع رجلَه؛ فوقَعَ في القَتْلى، وأجازَ عليه -أجهزَ عليه- عبدُ الله بنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

خصِّيصَةٌ عَفْرائيَّةٌ:

* يتضوَّعُ الحديثُ عن هؤلاء الأُمَّهات بأطيبِ الطِّيْب، ولكلِّ واحدةٍ منهنَّ ديوانٌ زاخرٌ بعظائمِ المناقبِ، وعفراءُ ضيفتنا قال في حقِّها ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عفراءُ بنتُ عُبيد... والدةُ معاذٍ ومُعوِّذٍ وعوفٍ بني الحارث، يُقال لكلٍّ منهم: ابنُ عفراء... وعفراءُ لها خصيصةٌ لا تُوجدُ لغيرِها، وهي أنَّها تزوَّجَتْ بعد الحارث؛ البكيرَ بنَ ياليل الليثيَّ، فولَدَتْ له أربعةً أياسًا، وعاقلًا، وخالدًا، وعامرًا، وكلُّهم شهدوا بدرًا(٢)، وكذلك إخوتُهم لأُمِّهم بنو الحارث، فانتظمَ من هذا أنَّها امرأةٌ صحابيةٌ لها سبعةُ أولاد شهدوا كلّهم بدرًا مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣).

= وقال ابنُ حجر: «وسهلُ بنُ عمرو الأنصاريُّ النَّجاريُّ، وأخوهُ سهيلُ، كانا يتيمين في حجر معاذ ابن عفراء، وقيل: في حجر أسعدِ بنِ زرارة، ويمكنُ الجمع بأنَّهما كانا تحت حجرهما معًا، ولهذا وقع في الصَّحيح أنَّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يا بني النَّجار ثامنوني به**» الإصابة (٣/ ١٤١).

وقال الصَّفديُّ: «سهلُ بنْ رافع بن أبي عمرو، له أخ يُسمى سُهيلًا، وهما اليتيمان اللذان كان لهما المربدُ الذي بنى فيه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد، كانا يتيمين في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة، ولم يشهدْ سهلُ بدرًا، وشهدها أخوه سُهيل» الوافي بالوفيات (١٦/ ٨).

وقال ابنُ دريد عن بطونِ الخزرجِ ورجالهم: «ومنهم: سهلٌ وسهيلُ ابنا رافع، اللذان كان لهما موضعُ مسجدِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» الاشتقاق (ص٤٥٠).

(١) الاشتقاق (ص٤٥٠).

(٢) نظمَ أحمد البدويُّ بنُ محمّدا بني البُكير بقوله:

بنو البُكيرِ الأربعِ الَّذْ شهدوا ... بدرًا مزيَّةً بها تفرَّدوا

عمود النسب (ص٥٢)، وقوله: «الذ»: أي الذين، وقد اضطره النظم لذلك ليستقم الوزن.

(٣) الإصابة (٨/ ١٤٤) بتصرف يسير.

أمُّ الصُّلَحاء والشُّهداء منَ المُهَاجرينَ والأنصَار:

* مما يلفتُ الأنظارَ؛ أنَّ هذه الصَّحابيةَ لها أولادٌ مهاجرون وأنصار، إذْ يُعدُّ بنوها من البُكير من المهاجرين، وكانوا من نجباءِ الصَّحابة وصالحي الرِّجال، ومن سابقي الأوائلِ إلى الهدايةِ الرَّبانية، في الدَّار الأرقميَّةِ.

* قال يزيدُ بنُ رومان: «أسلمَ عاقلٌ، وعامرٌ، وإياسٌ، وخالدٌ، بنو أبي البُكير جميعًا، وهم أوَّلُ مَنْ بايع في دارِ الأَرقمِ»[1].

* وهؤلاء البنون الأربعةُ العفرائيون ممَّن تركُوا دورهم بمكَّة، وهاجروا إلى المدينةِ حسبما أفادَ الذَّهبيُّ لما قال: «خرجَ بنو أبي البُكير مهاجرين فأوعبوا، رجالُهم ونساؤُهم، حتى غُلِّقَتْ أبوابُهم، فنزلُوا على رفاعةَ بنِ عبد المنذر بالمدينة»[2].

* فابنُها عاقلٌ شهدَ بدرًا، وهو ابنُ أربعٍ وثلاثين سنة، وكان مِنْ أوَّلِ مَنْ أسلمَ وبايعَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دار الأرقمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3].

* وابنُها خالدٌ؛ شهدَ بدرًا، وأُحُدًا، وقُتِلَ يومَ الرَّجيع في شَهْرِ صفر سنة أربعٍ من الهجرة، وله أربعٌ وثلاثونَ سنة.

* وابنُها الثالثُ إياسٌ؛ شهدَ بدرًا، والمشاهدَ النَّبوية كلَّها، ثم شهدَ فَتْح مصر، وتوفيَ سنة (٣٤هـ).

* وأما ابنُها الرابعُ عامرٌ، فقد شهد بدرًا وسائرَ المغازي النَّبويَّة، واستُشهد يوم اليمامة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٥).

(٣) الاستيعاب (ص٥٥٧)، ترجمة رقم (٢٠١٧).

* قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلتُ: ما شهدَ بدرًا إخوةٌ أربعةٌ سواهم»[١].

* قُلْتُ: «إنَّ ثلاثةً من أولادِ عفراء استُشهدوا يوم بَدْرٍ، وهم: عاقلُ -من المهاجرين-، وعوفٌ ومعوِّذٌ -من الأنصار- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

* ولم يكن أبناءُ عفراء من الأنصارِ أقلَّ شأْنًا من إخوتهم المهاجرين، فقد كان عوفُ ابنُ عفراء -ويقال: عوذُ ابنُ عفراء[٢]- حينما التقى النَّاس يومَ بدرٍ، قال: «يا رسولَ الله، ما يضحِكُ الرَّبَّ من عبدِه؟» فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنْ يراهُ قد غمسَ يدَهُ في القِتَالِ، يقاتلُ حاسِرًا**» فنزَعَ درعَهُ، ثمَّ تقدَّم حتَّى قُتِلَ شهيدًا»[٣].

* وأسهمَ ابناها الآخران في قَتْلِ أبي جَهْل وعَقْرِه، وهذا ما أخرجَهُ شيخُ أهلِ الحديث وأميرُهُم أبو عبد الله البُخاريُّ عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ ينظرُ ما صنعَ أبو جَهْل؟**» فانطلقَ ابنُ مسعود فوجَدَهُ قد ضَرَبَهُ ابنا عفراء حتى بَرَدَ، قال: أأنتَ أبو جهل؟ قال: فأخذَ بلحيتِهِ قال: وهل فوقَ رجل قتلتموه؟ أو رجلٍ قَتَلَه قومُه»[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٧).

(٢) انظر: الاستيعاب (ص٥٧٢) ترجمة رقم (١٩٤٦).

(٣) أسد الغابة (٤/ ٣٠٠)، والإصابة (٥/ ٤٢)، وقوله: «يضحك الرب»: الضحك في حق الله عَزَّ وَجَلَّ كناية عن غاية رضاه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٩٦٢و٣٩٦٣) باب قتل أبي جهل. و«ابنا عفراء»: قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعفراء والدة معاذ، واسم أبيه الحارث، وأما ابن عمرو بن الجموح، فليس اسم أمه عفراء، وإنما أطلق عليه تغليبًا، ويحتمل أن تكون أم معوذ أيضًا تسمى عفراء، أو أنه لما كان لمعوذ اخ يسمى معاذًا معاذًا باسم الذي شركه في قتل أبي جهل، وظنه الراوي أخاه».

ثم قال: «... ومر بأبي جهلٍ معوِّذ ابن عفراء فضربَه حتى أثبته وبه رمقٌ، ثم قاتل معوذ حتى قتل».

ثم قال: «في الصحيح من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه رأى معاذًا ومعوذًا شدَّا عليه جميعًا حتى طرحاه... وهما أخوان...» فتح الباري (٧/ ٢٩٦) بتصرف.

* وفي (العيونِ) أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ لكلِّ أُمّةَ فرعونًا، وإنَّ فرعونَ هذه الأُمَّة أبو جهل، قَتَلَه اللهُ شرّ قتلة، قَتَلَهُ ابنَا عَفْراء**»[١].

* وجاء في السِّير والسِّيرة أنَّه: «مر بأبي جهل معوذُ بنُ عفراء، فضربَهُ حتَّى أثبتَه، وتركَه وبهِ رمَقٌ، ثم قاتلَ معوِّذٌ حتى قُتِلَ، وقُتِلَ أخوه عوفٌ قبله... ثم مرَّ ابنُ مسعود بأبي جهل، فوبَّخَه وبه رمقٌ، ثمَّ احتزَّ رأْسَه»[٢].

«يرحمُ اللهُ ابنَي عَفْراء»:

* ترحَّمَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ابنَي عفراءَ اللذين جَنْدلا فرعونَ الأُمَّة، وذلك حينما وقفَ على مصرعهما، فقال: «يرحمُ اللهُ ابنيَ عفراء، فإنَّهما قد شَركَا في قَتْلِ فرعون هذه الأُمَّة، ورأسِ أئمةِ الكُفْر!!!»[٣].

* ولنتأمَّلْ موقفَ عفراء الزَّاكي الصَّادق، من خلالِ قراءةِ الخبر الآتي: «قُتِلَ معاذٌ ومعوذٌ يومئذ -يعني يوم بدر- فجاءت أُمُّهما إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت لعوفٍ ابنها: يا رسولَ الله، هذا شرُّ بنيَّ؟ فقال: «**لا**»[٤].

---

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس (١/ ٣١٥)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٨٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥١)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٧٨).

(٣) المغازي (ص٩١)، والبداية والنهاية (٥/ ١٣٨و١٣٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي المغازي (ص٩٧)، وغيرها.

(٤) أسدُ الغابة (٧/ ١٩٤)، وأرادت عفراءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بقولها: شرّ بنيّ؛ لأنَّه لم يَنَلِ الشَّهادة مع أخوَيْهِ في بدر، والله أعلم.

ومما يدلُّ على أنَّ عوفًا ومعوذًا ابني عفراء استُشهدا في غزوةِ بدر، ما أخرجَهُ أبو داود من حديث طويل جاء فيه: «... قُدِمَ بالأسارى حين قُدِمَ بهم المدينة، وسودةُ بنتُ زمعة زوجُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند آلِ عفراء في مناحتِهم على عوفٍ ومعوذٍ ابني عفراء، وذلك قَبْل أنْ يُضربَ عليهنَّ الحجابُ...» أخرجه أبو داود برقم (٢٦٨٠)، وانظر: تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٠٣).

رضي الله عن عَفْرَاء:

* عاشت أُمُّ معاذ بن الحارث في المدينةِ، وشهدتْ معظمَ أحداثِ السِّيرةِ النَّبويَّة، وكانت أُمًّا من طرازٍ فريدٍ، رزقَها الله عَزَّوَجَلَّ سبعةَ بنين مُسلمين، كلُّهم شهدوا بدرًا مسلمين. استُشهد خمسةٌ منهم في المغازي النَّبويَّة، وواحدٌ قُتِل شهيدًا يوم اليمامة، فَصَبَرتْ واحتسَبَتْ، وأثبتَتْ لِدُنيا الأُمَّهات أنَّها قدوةٌ للمربيات في تربيةِ أبنائِها على أعظمِ المُثُلِ العُليا والتَّضحية والفداء في سبيل الله.

* وفي أوائلِ الخلافةِ العُمرية الرَّاشدة في عام (١٤هـ)[1] ودَّعتِ الصَّحابيةُ المنجبةُ عفراءُ بنتُ عبيد الدُّنيا، لتتركَ وراءَها سيرةً تؤنسُ المجالسَ، وتزيِّنُ جيْدَ التَّاريخِ النِّسويِّ بأجمل تيجانِ التَّربية، فرضي اللهُ عنها وأرضاها، ورضي عن أبنائِها، وعن الصَّحابة أجمعين.



(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (٤/ ١٨٧). قلت: «وممَّن مات من أمهات الصَّحابة سنة (١٤هـ): السيدةُ النجيبةُ نَسيبةُ بنتُ كعب أمُّ عمارة الأنصاريَّة، وأخبارُها مع أولادِها مشهورةٌ معروفةٌ مسطورةٌ في مصادر شتى. وماتت كذلك أم سَليط بنتُ عبيد الأنصارية، وهي ممَّن شهد أحدًا، وخيبر، وحنينًا، وكانت تزفرُ القرب يوم أحد، والله تعالى أجلُّ وأعلم».

أُمُّ معاذِ بنِ عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

꧁ من أوائل أُمَّهات الأنصار استجابةً للإسلام.

꧁ يُعَدُّ مَنْ حولَها من أعيانِ الصَّحابة ومن خيار الشُّهداء.

꧁ أولادُها من أبطالِ الصَّحابة ومن أعيان أهل بدر.



أُمُّ معاذ بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

خَيِّرةٌ بينَ أخْيَار:

* ما أَنْ أطلَّ فجرُ الإسلامِ على الدُّنيا، وعمَّ ضياؤُه؛ حتى سارعَ أهلُ المدينةِ إليه، فبايعَ خيرةٌ من رجالِها وأشرافِها النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من بين المبايعين: معاذُ بنُ عمرو ابن الجموح الخزرجيُّ، أحدُ فتيانها المعروفين بالإقدامِ والبسالةِ والعقل؛ وأُمُّهُ: هندٌ -أو: فاطمةُ- بنتُ عمرو بن حرام الأنصاريةُ الخزرجيّةُ[1].

* كانت هندُ أُمُّ معاذ من أوائلِ نسوةِ الأنصار وأُمَّهات الصَّحابة اللواتي أسلمْنَ وبايعْنَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فربحَ بيعهنَّ، وصِرْنَ من خَيرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس، وكفى بهذه الخيريَّة من نعمة.

* ما كانت هندُ وحيدةً في روضاتِ الخيرات، وإنَّما شاركها أخواتُها، وهُنَّ: الشَّموسُ، لميسُ، أُمُّ عمرو، وأُمُّ معاذ بناتُ عمرو بن حرام، حيث أسلمْنَ وبايعْنَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصَدقْنَ البيعةَ، ووفَيْنَ شروطَها، فكُنَّ خمسَ أخواتٍ صحابيات أنصاريات[2].

رجال مع أم معاذ:

* تزوَّجَتْ هندُ عمرو بنَ الجموح -وكان من ساداتِ بني سَلِمَةَ- فولَدَتْ له خلَّادًا ومُعوِّذًا ومعاذًا وعبدَ الرحمن، وكان أبناؤُها من أُسدِ الرِّجال، وأبطالِ الصَّحابة

(١) الاستيعاب (ص٩٤٢)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٣٦٨)، والإصابة (٨/ ٢٠٦)، وأسد الغابة (٧/ ٢٨٢)، ومعرفة الصحابة (ص٣٤٦١)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ٢٩١)، والمحبر (ص٤٠٤)، وغيرها كثير.

(٢) انظر ترجمتهن في طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٦٨و٣٦٩).

وفرسانِهم الميامين، فقد شهدَ هؤلاء الفتيانُ الأربعةُ غزوةَ أُحُدٍ مع أبيهم، وفازَ بالشَّهادة ابنُها خلَّاد وزوجُها عمرو، وأبو أيمن مولى زوجِها[١].

* كما أنَّ لأَمِّ معاذ نصيبًا آخر في مضمار البطولةِ، فقد شهدَ أخوها عبدُ الله بنُ عمرو ابن حرام أُحدًا أيضًا، واتَّخذه اللهُ يومئذٍ شهيدًا، وعبدُ الله هو والدُ جابر[٢] الصَّحابي العَالِمِ المشهور، وجابرٌ ابنُ أخي هند، وهؤلاء أجمعون من أعيان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* أَمَّا ابنُها معاذُ بنُ عمرو فهو صَقْرٌ بدريٌّ، وهو أحدُ الصَّقْرَيْن اللذين قَتَلا أبا جهلٍ في غزوةِ بدر، وأَمَّا الصَّقرُ الآخرُ فهو معوِّذُ بن الحارث الأنصاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* شهدَ ابنُها الصَّقرُ معاذُ بيعةَ العقبةِ، وشهدَ بدرًا وأُحدًا والمشاهدَ جميعَها مع الصَّادقِ المصدوقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحظي بشهادةٍ نبوية عنوانها: «**نِعْمَ الرَّجُلُ معاذُ بنُ عمرو ابن الجموح**»[٣].

هَل لكَ أنْ تسْمَعَ من ابنِكَ؟

* يمكنني أنْ أقولَ: «المرأةُ الحصيفةُ نعمةٌ عظمى من أَتمِّ نِعمِ الله على العباد»، والسيدةُ هندُ أُمُّ معاذ من هذا الصِّنف من النِّساء، إذ استطاعَتْ أنْ تأخذَ بيدِ زوجها وترشدَه إلى الإسلامِ في أدبٍ هامسٍ وهدوءٍ محبَّبٍ، ودلفتْ إلى قلبهِ بفكرةٍ وقَّادةٍ انتشَلَتْهُ من عبادةِ الأصنام، وجعلتْهُ في صف الموحدين لربِّ الأنام، واستعانَتْ بابنها معاذ في تنفيذ فكرتها المنعشةِ، وملخَّصُها: «حينما أسلمَ معاذٌ وإخوتُه، ما بَرِحَ أبوهم عن شركهِ، وما انفكَّ عن صَنَمه، فقالتْ له أمُّهم هندُ: هل لكَ أنْ تسمعَ من ابنكَ ما رُويَ عنه؟

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص٧٣).

(٢) اقرأ سيرته في الباب الثاني من كتابنا: علماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٩٥)، والنسائي في فضائل الصحابة برقم (١٢٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٣و٢٦٨) وغيرهم، واقرأ سيرة معاذ بن عمرو في الباب الثاني من كتابنا: أبناء الصَّحابة (ص٤٠٣-٤٢٢).

-أي من القُرآن- فقال عمرو لابنه: أخبرني ما سمعْتَ من كلامِ هذا الرَّجل -أي النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقرأَ معاذٌ عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٢-٦][1]، فقال عمرو: ما أَحْسَنَ هذا الكلام وأجمله، أَوَ كلُّ كلامه مثل هذا؟ فقال: نعم، يا أبتاهُ، فأسْلَمَ وشهدَ شهادةَ الحقِّ[2]، وذلك قُبيل الهجرةِ النَّبويَّةِ».

دورُها في إسلامِ زَوجِها:

* كان عمرو بنُ الجموح زوجَ هندٍ سيِّدًا شريفًا في قومِهِ، وكان له صنمٌ من خَشَبٍ يُقَال له: «مَنَاة»، فجعل معاذُ بنُ عمرو وصحبُهُ يعبثون بِمَنَاة حتى استفاقَ عمرو من غَفْلتِهِ، وانتبَهَ من غَفْوتِهِ فأسلمَ وحَسُنَ إسلامهُ، وغدا من جنْدِ الله، وفرسانِ الصَّحابة.

* فَصَلَّ أبو نُعيم الأصبهانيُّ قصَّةَ إسلامِ عمروِ بنِ الجموح، وتعرَّضَ لدورِ أُمِّ معاذ البارع في جَذْبِ زوجِها من ظُلُمات الشِّرك إلى أنوارِ اليقين والإسلام، وها نحنُ واردو دلائل أبي نُعيم لِيدلَّنَا على هذهِ القصَّةِ الجميلة.

* قال أبو نُعيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لمَّا أسلمَ فتيانُ بني سَلِمَة، أسلمَتْ امرأةُ عمروِ بنِ الجموح وولدُه، فقال لامرأتِه: يا هندُ، لا تَدَعي أَحَدًا من عيالِكِ في أهلِكِ حتَّى ننظرَ ما يصنعُ هؤلاء، قالت: أفعلُ إنْ شاء الله، ولكنْ هل لك أن تسمعَ منِ ابنكَ فلان ما روى عنه؟ قال: فلَعلَّهُ صبأَ! قالت: لا، ولكنْ كان مع القومِ. فأرسلَ إلى ابنِه، فجاءَ، فقال له: يا بُنيَّ، أخبرني ما سمعتَ من كلامِ هذا الرجلِ، فَشَرَعَ يقرأُ عليه سورةَ الفاتحة، حتَّى وصلَ إلى

---

(١) تضمَّنت سورة الفاتحة مناجاة الله عَزَّوَجَلَّ، ونزهته عن الإشراك به، لذلك لما لُقِّنَ المؤمنون هاته المناجاة البديعة، قدم الحمد عليها، ليضعه في مناجاتهم، فكان افتتاح الكلام بالتحميد، سنة الكتاب المجيد، لكل بليغ مجيد:

الحمد لله حمدًا لا انقطاعَ له ... فليسَ إحسانهُ عنَّا بمقطوع

ومن هذا المبتدأ المباركِ كان معاذ بن عمرو فطنًا ذكيًا حينما قرأ على أبيه فاتحة الكتاب، والله أعلم بالصواب، وإليه المآب.

(٢) قال ابن دريد: «عمرو بن الجموح الأعرج، آخر الأنصار إسلامًا، قُتِلَ يوم أحد» الاشتقاق (ص٤٦٧).

قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦] فقال عمرو -وكانَ شاعرًا بليغًا مجيدًا فصيحًا-: ما أحسنَ هذا وأجمل يا بنيَّ، وكُلُّ كلامِهِ مثلُ هذا؟[1] فقال: يا أبتاهُ وأحسنُ من هذا، فهل لكَ أنْ تبايعه، قد صنعَ ذلك عامةُ قومك، قال: لستُ فاعلًا حتَّى أوامرَ مَنَاة، فأتاهُ وخاطبَهُ طويلًا، فلم يردَّ عليه، فقامَ إليه فكسَّره، وآبَ وتابَ وثابَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وجعلَ يشكره إذْ أنقذَهُ مما كان فيه من العمى والضَّلالةِ والغوايةِ، وينشدُ أبياتًا منها قولُه:

أَتـــوبُ إلى اللهِ ممَّـــا مضَـى وأســتــنــقــذُ الله مـــن نـــاره

هَـدَانـي وقـد كـنـتُ في ظُلمةٍ حـلـيـفَ مـنـاةٍ وأحـجـاره

فـقـد كـدتُ أهـلـكُ في ظلمةٍ تـــداركَ ذاكَ بـمـقـداره

فَـحَـمـدًا وشُـكـرًا لـه مـا بقيـ تُ إلـهَ الأنـامِ وجـبَّـاره»[2]

* وُفِّقت أُمُّ معاذ بحصافتِها ووفائِها لدينها أنْ تنتشلَ زوجَها من غَرَقِهِ في وهْدةِ الكفْرِ، وظلمةِ الأصنام، فلله درُّها من أُمٍّ عاقلةٍ فاضلةٍ، وزوجةٍ مخلصةٍ نبيلة.

إخلاصُ زَوجِها لِدِيْنِه:

* صدقَ عمروُ بنُ الجموح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في إسلامه، وكان من الأوفياءِ المخلصين لِدِينهم، وكذلك صَدَقَتْ زوجتُه وأولادُه، فجاء ثناءُ الله عليهم في محكم التَّنزيل، وجديرٌ بنا أنْ نتَّخذَ لهم من سُويداء قلوبنا محلًا نجعلهم فيه، وجديرٌ بالأُمّهات والبناتِ والنساء

---

(١) مما يدلُّ على أنَّ عمروَ بنَ الجموح كان عاقلًا وسيدًا وحصيفًا؛ ما أخرجه ابنُ سعد عن عكرمة: «أنَّ مصعبَ بنَ عمير لما قدمَ المدينة يعلّمُ النَّاسَ القرآنَ والإسلامَ، بعثَ إليهم عمرو بنُ الجموح: ما هذا الذي جئتمونا به؟ فقالوا: إنْ شئتَ جئناكَ فأسمعناكَ القرآنَ، قال: نعم، فواعدهم يومًا، فجاء فقرأ عليهم القرآن: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف:١-٢]. الدر المنثور في التفسير المأثور (٨/ ١٧٦).

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣١١و٣١٢) برقم (٢٢٨) بتصرف، تحقيق د. محمد رواس قلعجي ورفيقه، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

أن يجعلْنَ من سير هؤلاء الأمّهات الصّحابيات وأبنائهنَّ مثلًا يُحتذى بهنَّ، وسميرًا لمجالسهنَّ في حياتهنَّ.

❋ قلتُ: «مما يدعو إلى محبَّةِ الصَّحابة أنَّ عمروَ بنَ الجموح كان أعرجَ شديدَ العرج، والعرجُ صفةٌ مانعةٌ له عن الخروجِ إلى الجهاد، ولما أزفت غزوةُ أحد، أرادَ أنْ يخرجَ مجاهدًا مع بنيهِ، فمنعوه، ومنعَتْه امرأتُه هند، فَشَكَاهم إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أمَّا أَنْتَ فقد عَـذَرَكَ الله**» ثمَّ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبنيهِ وزوجتِهِ: «**ما عليكم ألا تمنعوه لعلَّ الله يرزقُه الشَّهادة**»، فأخذَ سلاحه، وقال: اللهمَّ ارزقْني الشَّهادة ولا تردَّني إلى أهلي خائبًا، ثمَّ حمَلَ هو وابنهُ خلّادٌ فقُتِلا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

❋ وحظيَ عمرو بثناءِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: «**إنَّ منكم مَنْ لو أقسمَ على الله لأبرَّه، منهم عمرو بنُ الجموح، ولقد رأيتُهُ يطأُ في الجنَّة بعرجتِهِ**»[1].

«*يا هنْدُ ترافَقُوا في الجنَّة*»:

❋ علمنا أنَّ عَمْرًا وخلادًا وأخاها استشهدوا في أُحد، وعلمتْ هندُ بذلك، فجاءت على بعيرٍ لها، وحملتهم تريدُ بهما المدينة، فلقيتْها عائشة أُمَّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالت: «عندك الخبرُ، فما وراءك؟» قالت هندُ: «أمَّا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصالحٌ، وكلُّ مصيبةٍ بعده جَلَلٌ، واتَّخذ اللهُ من المؤمنين شهداء ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥]، قالت عائشةُ: مَنْ هؤلاء؟ قالت: أخي، وابني خلّاد، وزوجي عمرو بنُ الجموح، قالت: فأينَ تذهبينَ بهم؟ قالت: إلى المدينةِ أقبرهُم فيها. ثم إنَّ هندًا زجرتْ بعيرها نحوَ المدينة، فبركَ، فزجرتْهُ فقام، ثم وجَّهتْهُ راجعةً إلى أُحُدٍ فأسرعَ، فرجعَتْ وأخبرت النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لها: «**إنَّ الجمل**

(١) اقرأ سيرة عمرو بن الجموح في كتابنا: رجال مبشرون بالجنة من غير العشرة، طبعة دار ابن كثير الخامسة بدمشق.

مأمورٌ»، ثم قال: «**يا هندُ قد ترافقُوا في الجنَّة، عمرو بنُ الجموح، وابنُك خلاد، وأخوك عبد الله**» قالت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أنْ يجعَلَني معهم»[1].

* وفي روايةٍ أخرى أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعَ صوتَ نائحةٍ فقال: «**مَنْ هذه؟**» قالوا: ابنةُ عمرو، أو أختُ عمرو، فقال: «**فَلِمَ تبكي، فما زالتِ الملائكةُ تظلُّهُ بأجنحتها حتى رُفِعَ**»، وفي روايةٍ: «**تبكينَ أو لا تبكينَ، ما زالتِ الملائكةُ تظلهُ بأجنحتها حتى رفعتموه**»[2].

الأُمُّ المجاهدةُ:

* تعدُّ هندُ بنتُ عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من الصَّحابيات اللواتي شاركْنَ في المغازي والجهاد، فزوجُها شهيدٌ، وابنُها شهيد، وأخوها شهيد[3]، كما أنَّ ابنها معاذَ بنَ عمرو قاتلُ أبي جهل.

* شهدت هندُ غزوةَ خيبرَ مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد شهدَ خيبرَ عشرون امرأةً منهنَّ أُم معاذ، ومعظمهنَّ من نساءِ الأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أجمعين[4].

---

(١) إمتاع الأسماع (٨/ ٣٥٦) و(١٣/ ١٧٧و١٧٨)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٣١٥و٣١٦)، وشرح المواهب اللدنية (٢/ ٤٤٦و٤٤٧)، والسيرة النبوية في فتح الباري (٢/ ٢٩١)، وإنارة الدجى (ص٢٨٦و٢٨٧) وغيرها كثير.

(٢) المستفاد من مبهمات المتن والإسناد (٢/ ٤٧٠-٤٧٢)، وغوامض الأسماء المبهمة (ص٣٥٢و٣٥٣)، والحديث أخرجه البخاريُّ في الجنائز برقم (١٢٤٤)، وفي الجهاد برقم (٢٨١٦).

(٣) المحبر (ص٤٠٤)، قال ابن عبد البرِّ، وصلاحُ الدين الصَّفديُّ: «هند بنت عمرو الأنصاري عمة جابر بن عبد الله، كانت تحت عمرو بن الجموح، فقُتِلَ عنها يوم أحد، وقُتِلَ أخوها عبد الله بن عمرو يومئذ أيضًا، ودُفنا في قبر واحد، وهي في عداد الصحابيات...» الاستيعاب (ص٩٤٢)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ٢٣٠).

(٤) إمتاع الأسماع (١/ ٣٢١)، وانظر أسماء المجاهدات في خيبر عنده. وانظر: طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٦٨).

❋ وتابعتْ هندُ حياتَها مع أبنائِها في المدينةِ النَّبويةِ، ولم تتكلم المصادرُ عن زمنِ وفاتها، ولعلَّها ماتَتْ في عَهْدِ الخلافة الراشدةِ، واللهُ تعالى أجلُّ وأعلم.

❋ رضي اللهُ عن المجاهدةِ المربيةِ أُمِّ الأبطالِ، هندِ بنتِ عمرو، وجعلَها مرافقةً لزوجها وابنها وأخيها في الجنَّة، وجعلنا برفقتهم، وحشَرنا في معيتهم. اللهمَّ اجعلنا معهم ومع الذين رضيتَ عنهم، واجعلْ آخر كلامنا من الدنيا: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».



أُمُّ النُّعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

- صحابيةٌ، أمُّ صحابي، وزوجُ صحابي، وأختُ صحابي.
- قصَّتُها مع ابنها النعمان مشهورةٌ في الصَّحيَحْين.
- مناقبُها كثيرةٌ، وهي من راوياتِ الحديثِ النَّبويِّ.



أُمُّ النُّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

صحابيةٌ أُمُّ صَحَابي:

* شاركتْ نساءُ المسلمين الرجالَ في بعض مجالات الحياةِ الاجتماعيَّةِ والدِّينيةِ والسِّياسيةِ، واشتُهِرتْ بعضُهنَّ في مضمارِ الفضائلِ والمعارفِ، وأَثْرينَ صحائفَ المكارمِ بأسمى الصُّورِ المشرقةِ في الأُمومةِ والتَّربيةِ والوفاء.

* نلتقي أُمًّا تركتْ بصماتٍ تربويةً في سجلِّ السَّخاء، والأمومة الصَّادقةِ، إنَّها: أمُّ النُّعمان بن بشير، واسمُها: عمرةُ بنتُ رواحةَ بنِ ثعلبةَ الأنصاريَّةُ الخزرجيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1].

* وعمرةُ إحدى أُمَّهاتِ الصحابة ذوات المواقف المشرقة في الإسلام، فهي أمٌّ رؤومٌ، ومربيةٌ حصيفةٌ، وصحابيةٌ كريمةٌ من خيار نساء الأنصار اللاتي عملْنَ ما بوسعهنَّ على مرضاةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، ومرضاةِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسرةُ يُمْنٍ وبركَة:

* انتظمتْ أمُّ النُّعمان في سِلْكِ المؤمنات قديمًا، وتذوَّقَتْ حلاوةَ الإيمان والقرآن، وعملت بمقتضاهما، وكانت أسرتُها ميمونةَ النَّقيبةِ، سبَّاقةً إلى المجدِ المؤثَّل الذي عنوانه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

فأخوها: عبدُ الله بنُ رواحةَ الأنصاريُّ الخزرجيُّ البدريُّ، النَّقيبُ اللبيبُ الشَّاعرُ الأميرُ السَّعيدُ الشَّهيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

---

(١) مصادر ترجمة عمرة لا تحصر، ومنها: طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٣٩)، وأسدُ الغابة (٧/ ١٩٨و١٩٩)، والإصابة (٨/ ١٤٦)، والاستيعاب (ص٩٢٢)، والمنتظم (٥/ ٣٣٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي المغازي (ص٢٨٦)، وحجة الله على العالمين (٢/ ٦٢) وغيرها كثير.

(٢) اقرأ سيرته في كتابنا: رجال مبشرون بالجنة (ص٣٤٧-٣٩٤) طبعة دار ابن كثير الخامسة بدمشق عام ٢٠٠٣م.

وزوجها: بشيرُ بنُ سعد أبو النُّعمان الأنصاريُّ الخزرجيُّ، له صحبةٌ وروايةٌ، شهدَ بدرًا والعقبةَ والمشاهد بعدهما، وبعثَه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سَريَّتَيْن إلى بني مرَّة، إحداهما بعد الأخرى، وكان يكتبُ بالعربيةِ في الجاهليةِ، ومناقبهُ غزيرةٌ، ومواقفهُ شهيرةٌ، فهو أوَّلُ مَنْ بايع أبا بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سقيفةِ بني ساعدة، وأخباره كثيرة[١].

وابنها: النُّعمانُ بنُ بشير صاحبُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابنُ صاحبه، دعا له النَّبيُّ المعصومُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

وابنتها: أُبَيَّةُ، هكذا اسمُها في طبقَات ابن سعد[٣]، وفي أسدِ الغابة، أختُ النُّعمانِ بنِ بشير[٤]، وفي بعضِ المصادر من دون اسم، كقصَّتِها يوم غزوة الخندق[٥].

* وقصصُ عمرةَ وأحوالها مع ابنها وابنتها وزوجها وأخيها منعشةٌ ومونقةٌ، فإلى السُّطور الآتيةِ نتعرَّفُ كُنْهَها.

يا رسولَ اللهِ ادْعُ له:

* أُوتيتْ أمُّ النُّعمان حصافةً، ورُزِقَتْ فطنةً، ووُفِّقتْ لكثيرٍ من الأحوالِ المباركة، فلما ولدتْ ابنَها -وكان أوَّل مولودٍ للأنصار وُلد بعدَ الهجرة- أتتْ به تحملُه في ليفِهِ[٦]

(١) انظر الباب الثاني من كتابنا: فرسان من عصر النبوة (ص٥٤٥-٥٥٥)، طبعة دار اليمامة.

(٢) اقرأ سيرة النعمان بن بشير في الباب الثاني من كتابنا: أبناء الصحابة، مكانتهم، أعمالهم (ص٤٢٣-٤٥٠) طبعة دار ابن كثير الأولى بدمشق، عام ٢٠١٠م.

(٣) طبقات ابن سعد (١٠/ ٣٤٠)، وانظر: فتح الباري (٥/ ٢٥٢) حيث قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يذكر ابن سعد لبشير والد النعمان ولدًا غير النُّعمان، وذكر له بنتًا اسمها أُبيَّة تصغير أُبيّ» فتح الباري (٥/ ٢٥٢).
وفيمن اسمها أميمة، ذكر ابن حجر في الإصابة أنها ابنة بشير بن سعد، فقال: «أميمة بنت بشير بن سعد الأنصارية، ثم الخزرجية، أخت النعمان بن بشير لأبويه، ذكرها ابن سعد، وقال: أسلمت وبايعت، ويقال لها: أبية بموحدة وتشديد» الإصابة (٨/ ١٧).

(٤) قال ابن الأثير: «أميمة بنت بشير، أخت النعمان بن بشير بن سعد الأنصارية من الخزرج» أسد الغابة (٧/ ٢٤) ترجمة رقم (٦٧٣٥).

(٥) المغازي للواقدي (ص٤٧٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي المغازي (ص٢٨٦) وغيرهما كثير.

(٦) ذكرَ ابنُ عساكر موقفًا تعليميًّا باهرًا لعمرة وابنِها فقال: «إنَّ أمَّ النُّعمان أتتْ بابنِها رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسلَّمَتْ عليهِ، فدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتمرة، فمضَغَها بِفِيهِ الشَّريف، ثم حنَّكَه بها، وما كادَ طفلُها يشعرُ بالرِّيق النَّبويِّ المباركِ حتى تتبَّعَهُ بلسانِهِ وتذوَّقَهُ، وجعلَ يمسحُ به شفتَيْه، فكادت عمرةُ تطيرُ فرحًا بهذه الإشراقاتِ السَّنية.

❋ قرَّبَ النُّعمانُ إلى الأذهانِ هذا الموقف فقال: «لما وُلدتُ، أتتْ بي أمّي عمرةُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحنَّكني بتمرة، فتلمظتُ -تذوَّقْتُ وتتبعتُ بلساني- منها، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الأنصارُ وَحِبُّها التَّمر**»(١).

❋ حقًّا إنَّ عمرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعمُرُ قلوبَ الأُمَّهات بلفتاتٍ ناجحةٍ في مضمار الأمومة المثاليَّة، فقد حملتِ ابنَها إلى يَنْبوعِ الرَّحمةِ والعطاء، فحنَّكه، ومن ثمَّ أضحى النُّعمانُ فصيحًا، مفوّهًا، أديبًا، شاعرًا، كريمًا، خطيبًا ناجحًا، ذا حكمةٍ وشجاعةٍ وَلَسنٍ، ولهُ شعرٌ جميلٌ يوزنُ بالدُّرر لنفاستِه، ومنهُ هذه الميميَّةُ المطربةُ:

وإنِّـي لأُعطي المالَ مَـنْ ليسَ سائلا ... وأدرِكُ لـلـمولى المُـعَـانـدِ بالظُّلْمِ

وإنِّــي مـتـى مـا يَـلْـقَـني صَـارِمًـا له ... فما بينَنا عندَ الشَّدائدِ من صَرْمِ

فلا تَـعْـدُدِ المولى شـريكَكَ في الغِنى ... ولـكـنَّـما المـولى شـريـكُكَ في الـعُـدْمِ

إذا مَـتَّ ذُو الْـقُـرْبَـى إلَـيْـك برحمه ... وغشَّك وَاسْتغْنى فَلَيْسَ بِـذِي رِحم

وَلَـكِـن ذَا الْـقُـرْبَـى الَّـذِي يستخفُّهُ ... أذاكَ ومَن يَرْمِي الْعَدوَّ الَّذِي تَرْمِي(٢)

=يومَ سابعه، وعليه شَعْرُ البَطْن، فأبى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يبرِّكَ عليه، وقال لهم مُعلِّمًا ومربِّيًا ومُنبِّهًا: «**احلقُوا عنه شَعْرَ البطْنِ**» فَحُلِقَ رأسُه، ثمّ برَّكَ عليه، وقال: «**عقُّوا عنه بشاة**» تاريخ مدينة دمشق (٦٢/ ١١٨) بتصرف يسير جدًا.

(١) تاريخ مدينة دمشق (٦٢/ ١١٨).

(٢) الوافي بالوفيات (٢٧/ ٨٧)، ومن الفوائد المهمة ما ذكره ابن رشيق في عمدته حيث سَرَدَ بيوتات الشعر من عصر الجاهلية، فعصر المخضرمين فالإسلاميين، وأشار إلى عمرة أم النعمان وأكد أنها من شواعر العرب المعروفات، فقال: «... وأم النعمان عمرة بنت رواحة شاعرةٌ...» العمدة (٢/ ١١١٤).

وترجم عمر رضا كحالة لعمرة، فقال: «عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير، شاعرة من شواعر العرب، قالت في أمر بدر: =

* ونستشفُّ بُعْدَ نظرِ أُمِّ النُّعمان من خلال طلبها الدُّعاء لابنها من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ذكروا أنَّها جاءتْ بالنُّعمان إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا بتمرة، ثمَّ حنَّكَه بها. واغتنمتْ عمرةُ الفُرصة، فقالت للصَّادق المصدوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا رسولَ الله، ادعُ له أنْ يكثرَ مالُه وولدُهُ»، فقال لها النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أوَمَا ترضَيْنَ أنْ يعيشَ كما عاشَ خالُه؟ عاشَ حميدًا، وقُتِلَ شهيدًا، ودخلَ الجنَّة»**(١)!!.

هديَّةٌ نبويَّةٌ لأمِّ النُّعمان:

* كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحفُ أصحابَه بطرائفِ الهدايا، وصادَفَ أنْ جاءَهُ عنبٌ من الطَّائفِ، -وكان عنبًا جيّدًا- فبعثَ عنقودَيْنِ مع النُّعمان: أحدُهُما له، والآخرُ لأُمِّه، فوجدَ حلاوةَ العنب، فأكلَه كلَّه، ولم تعلَمْ أمُّه بذلك، حتَّى التقَتْ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

* كشَفَ السَّجفَ عن هذه القصَّةِ ابنُ عساكر حيثُ روى عن النُّعمان: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثَ النُّعمانَ بقطفَيْنِ: واحد له، والآخر لأُمِّه عمرةَ، فلقيَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرةَ، فقال: **«أتاكِ النُّعمانُ بقطفٍ مِنْ عنب؟»** فقالت: لا، فأخذَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأذنِه، وقال: **«يا غُدَرُ»**(٢).

= بكَتْ عيني مَنْ يبكِ لبدرٍ وأهله وعلَّت بمثلّيها لؤيٌ وغالبُ...»

أعلام النساء (٣/ ٣٥٢و٣٥٣).

ثم جاء صاحب كتاب: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام وذكر ما ذكره عمر رضا كحالة، وأورد ثلاثة أبيات لعمرة من دون أن يشير إلى كحالة، بل أشار إلى مصادر كحالة ذاتها بعد أن قدم وأخر، ولم يذكر أرقام الصفحات، ولا تاريخ الطبعات!! معجم النساء الشَّاعرات (ص١٩) ترجمة رقم (٢٣٩).

(١) تاريخ مدينة دمشق (٦٢/ ١٢٠)، وانظر: مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٦١) بشيء من التصرف. وقيل: إن بشير بن سعد جاء بابنه النعمان إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، ادعُ لابني هذا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أما ترضى أن يبلغ ما بلغت؟ ثم يأتي الشام فيقتله منافقٌ من أهل الشام»** تاريخ مدينة دمشق (٦٢/ ١٢٠)، وانظر بعض أخبار عمرة وابنها النعمان في الوافي بالوفيات للصفدي (٢٣/ ٦٣) ترجمة رقم (٧١).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٦٢/ ١٢١)، وقوله «غُدَر»: على وزن: صُرَد، ويقال: يا غَدَارِ مثل: قَطَامِ، وكلمة غدر هنا معدولة عن غادر، قالها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيغة التّحبُّب والمزح.

* وافى الصَّفَديُّ في (وافيه) الخبرَ نقلًا عن النُّعمان قال: «أُهدِيَ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنبٌ منَ الطَّائف، فقال: هذا العنقودُ فأبلغْهُ أُمَّكَ، فأكلتُه قبلَ أنْ أُبلغَها إيّاه، فلمَّا كان بعدَ ليالٍ قال: ما فعلَ العنقودُ، هل بلَّغتَه؟ قلت: لا، فسمّاني غُدَر»[1]. وفي رواية: «فأخذَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأذني وقال: يا غُدَر»[2].

* وعن النُّعمان في سياقٍ آخر: أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاني قطفَيْن من عنب، فقال لي: «كُلْ هذا، وبلِّغْ هذا إلى أمِّك» فأكلتُهما. ثم سأَلَ أمَّه: «**هل أتاكِ النُّعمانُ بقطفٍ من عنب؟**» فقالت: لا، فأخذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأذنه وقال له مُداعبًا: «**يا غُدَر**»[3].

* خصَّ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصارَ بدعائِهِ، وأثنى عليهم رجالًا ونساءً، ودعا لأبناءِ أبناءِ الأنصار، وهذا من أكبرِ الهدايا النَّبويَّةِ وأعظمِها، وهو خيرٌ عند الأنصار من أيَّةِ مزيةٍ ماديةٍ.

تَمْرُ أُمِّ النُّعمَان:

* نحنُ نعلمُ ونوقنُ بأنَّ الصَّادقَ المصدوقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين معه -رجالًا ونساء؛ شِيبًا وولدانًا- مُؤيَّدينَ بالتَّأييداتِ الغيبيَّةِ، لَمَّا تركوا الاعتمادَ على الأسبابِ المادية، وتعلَّقُوا بالأسباب الرّوحانية، وتوكَّلُوا على الله حقَّ التَّوكُّل.

* أحسَنَتْ أمُّ النُّعمان التَّوكُّلَ على العزيزِ الرحيم، وأخذَتْ بالأسبابِ، وشاركتِ المسلمينَ في الجهاد والعملِ في أقسى الظُّروفِ، وأصعبِها، فباركَ اللهُ في سعيها، وصارتْ تاريخًا مونقًا للمسلمات، ومصدرًا تستلهمُ منه الأُمَّهاتُ الإخلاصَ واليقينَ بنصرِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) الوافي بالوفيات (٢٧/ ٨٦)، وانظر: الاستيعاب (ص٧٢٤).
(٢) الاستيعاب (ص٧٢٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٣٦٨).
(٣) انظر: الاستيعاب (ص٧٢٤)، والاستبصار (ص١١٣) مع الجمع والتصرف.

* مرَّتْ ظروفٌ حرجةٌ على المسلمين أيَّامَ غزوةِ الخندق، حيث كان ذلك العام عامَ مجاعةٍ عند المسلمين، ولا يكادُ أحدهُم يجدُ طعامًا ليسدَّ رَمْقَه، وإنَّما كان جُلُّ طعامهم التَّمر في تلك الآونة.

* ظهرتْ مكرمةٌ نفيسةٌ لأمِّ النُّعمان زمانَ حفْرِ الخندق، فكانت تبعَثُ لزوجها وذويها بحفنةِ تمرٍ مع ابنتِها ليتغدوا، وذاتَ مرَّةٍ كانتِ العنايةُ الإلهيَّةُ تنتظرُ البنْتَ وأمَّها، وباركَ اللهُ في تمرِ أمِّ النُّعمان.

* فإلى أحداثِ تلكم القصَّة نسمعُها من ابنتِها قالت: «دعتْنِي أمِّي عمرةُ بنتُ رواحةَ، فأعطتني حفْنَةً من تمرٍ، وقالت لي: يا بُنَيَّةُ، اذهبي إلى أبيكِ، وخالِكِ بغدائهما، فأخذتُها، وانطلقتُ بها ألتمسُ أبي وخالي، فمررتُ برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرآني، فقال: «**تَعالَي يا بُنيَّةُ! ما هذا مَعَكِ؟**» فقلتُ: يا رسولَ الله، هذا تمرٌ بعثَتْني بهِ أُمِّي إلى أبي وخالي يتغدَّيان به، فقال لي: «**هاتيهِ**» فَصَبَبْتُه في كفَّيهِ فما ملأَتْهُما، ثمَّ أمرَ بثوبٍ، فَبُسِطَ له على الأرض، ثمَّ دحَا بالتَّمر عليه، فتبدَّدَ فوقَه وتفرَّقَ، ثم قال لإنسانٍ عنده: «**اصرخْ في أهلِ الخندق، هَلُمَّ إلى الغَداء!**» فتقاطرَ أهلُ الخندق، واجتمعوا على التَّمر، وجعلوا يأكلون منه، وجعلَ يزيدُ ويكثرُ، حتى صدرَ أهلُ الخندق عنه، وإنَّه ليسقطُ من أطرافِ الثَّوب، ثمَّ أمرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثوبٍ آخر فَبُسِطَ له، ثم دعا بالتَّمر فألقاهُ فوق الثَّوب»[1].

* ولْنُمتعِ الأسماعَ بالهمسَاتِ الأدبيَّةِ؛ التي تشدو بصَنيعِ عمرةَ وابنتِها:

المُسلمونَ يواصِلُون الحَفْر والهادي الأمين

ظَهرتْ من الآياتِ يومَ الحفْرِ تُرضي المؤمنين

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٥) و(٨/ ٦٥٨)، وقال ابن كثير: «هكذا رواه ابن إسحاق، وفيه انقطاع، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه، ولم يزد» البداية والنهاية (٦/ ٢٥)، ودلائل النبوة (٣/ ٤٢٧)، والسيرة النبوية (٢/ ٢١٨)، وحجة الله على العالمين (٢/ ٢٠٣و٢٠٤).

وبُـنـيَّـةٌ صُغْـرى تجـيءُ ببعضِ تَمْـرِ الآكلين

أخـذَ الـرَّسـولُ الـتَّـمَـر في كفَّيْهِ حتَّى يستبين

أمـرَ الـرَّسـولُ مُـناديًا نـادى جميعَ المُسلمين

قـد قـالَ هَـيَّـا لـلـغَـداء أَتَـوا جميعًا مُسرعين

الكلُّ قد شبعوا وفَاضَ التَّمرُ يُغري الطَّامعين

هـي آيـةٌ أُخـرى أمـامَ الـكلِّ كانوا ناظرين[١]

❁ أشادَ أحمدُ محرَّم (١٨٧٧-١٩٤٥م) بما قدَّمَتْهُ عمرةُ بنتُ رواحةَ، وأشارَ إلى ابنتِها وإلى بركةِ تمرِها، فقال من قصيدةٍ قوامها (٧٧بيتًا)، ومنها:

كـانَتْ فتاتُك يـا ابـنَ سعدٍ إذ أتتْ ... غـوثًـا وخـيـرًا لـلـغُـزاةِ عميما

جـاءَتْ ببعضِ الـتَّـمر تُطعمُ والـدًا ... بـرًّا وخـالًا في الـرِّجـالِ كريما

ألـقـى عـلـيـهِ اللهُ مِـنْ بـركـاتِـهِ ... فـكـفـى بـرحـمـتِـهِ وكـان رحيما

أخـذَ الـنَّـبيُّ قـليـلَه فـدعـا الطّوى ... داعـي الـرَّحـيـل ومـا يـزالُ مقيما

جمـعَ الجـنـودَ وقـال هـذا رزقـكُـم ... فـكُـلُـوا هـنـيـئًا واشـكُـروهُ نعيما

فـرحـوا بـنـعـمـةِ ربِّـهـم وتـبـدَّلُـوا ... حـالًا تـزيـدُ الـكـافـريـن وجـومـا[٢]

(١) تغريدة السيرة النبوية (٣/ ١٤٦)، وليوسف النبهاني همزية عارض بها همزية البوصيري، سماها: «طيبة الغرّاء في مدحِ سيِّد الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وهي همزية ألفية، مطلعها:

نـورُكَ الـكـلُّ والـورى أجـزاءُ ... يـا نـبـيًـا مِـنْ جُـنْـدِهِ الأنـبـيـاءُ

ثم دلف إلى ذكرِ البركةِ في تمر عمرةَ، فقال:

رُبَّ قـوتٍ لا يـشـبـعُ الـرَّهـطُ منه ... كـان لـلألـفِ والألـوف اكتفاءُ

قـد كـفـى جـيـشَـه بـصـاعِ طـعـامٍ ... فـتـعـجَّـبْ أَمَـا لهـم أمـعـاءُ

وختمها بقوله:

مـا قـضـى الله في الـورى لـك مدحًا ... ولـه الحـمـدُ كـلُّـه والـثَّـنـاءُ

(٢) ديوان مجد الإسلام (ص١٥١) لأحمد محرم، صححه محمد إبراهيم الجيوشي، دار العروبة، مصر ١٩٦٣م.

بُكَاءُ عمرةَ وتعليمُها:

❋ نقلَ النُّعمانُ بنُ بشير عن أمِّه عن أخيها عبدِ الله قصَّةً فيها توجيهٌ وتعليمٌ لهذه الصَّحابيةِ الكريمةِ، فقد أخرجَ البخاريُّ عن النُّعمانِ بنِ بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أُغميَ على عبد الله بنِ رواحة، فجعلتْ أختُهُ عمرةُ تبكي: واجَبَلاه، واكذا واكذا، تعدِّدُ عليه، فقال حين أفاق: ما قُلتِ شيئًا إلا قيلَ لي: آنتَ كذلك»[1].

❋ ولما وجَدَ عبدُ الله خفَّةً، وتماثَلَ للشِّفاء قال معلِّمًا أختَه عمرة: «كان مَلَك قد رفعَ مرزبَّةً من حديدٍ يقولُ: آنت كذا؟ فلو قلتُ نعم لَقَمَعَنِي بها» وفي روايةٍ: «آنتَ جبلُها، آنت عزُّها»؛ لأنَّ عمرةَ كانت تقول: واجَبَلاه، واعزَّاهُ، واظهراهُ، وأرشدَها عبد الله إلى النَّهجِ القويمِ، فنَهاها عن البكاءِ عليه، لذلك لما مات عبدُ الله لم تبكِ عليه[2]؛ امتثالًا لأمره، وبهذا تعلَّمتْ عمرةُ هذا الحكم وعلَّمته ابنها الذي نقلَ لأُمَّةِ الإسلامِ هذه الأحاديث المباركة[3].

عَمرةُ وابنُها وقصَّةُ الهبَة:

❋ التزمَ الصَّحابةُ بهدي القرآنِ الكريم، والهدي النَّبويِّ، فكانوا لا يخرجون عن السَّبيل القويم قِيْدَ أَنْملة، وكانوا يستشيرون رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمورهم وأحوالهم وأموالهم ليرشدوا ويسعدوا ويفوزوا بمرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ، ومرضاة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم تكنْ عواطفُ الأمومةِ أو الأُبوَّة لِتَطْغَى على حدودِ الشَّريعة.

❋ استأثَرَ النُّعمانُ بفؤادِ أُمِّه، فأحبَّتْ أنْ تخصَّه ببعض الأشياء الموهوبة؛ كالخادم، أو البستان، أو المال، أو ما شابه ذلك، فسألت زوجها أنْ يهبَه بعضَ الموهوبة، فمطلَها سنَةً، ثمَّ أجابَها، فرغبتْ أنْ يكونَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الشَّاهد على الهِبَة.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي برقم (٤٢٦٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٢٦٨).
(٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٥١٦و٥١٧)، والبداية والنهاية (٦/ ٦٥٩) مع الجمع بينهما.

* وسنشهدُ ما أخرجَ مسلمٌ وغيرُهُ بسندٍ عن الشَّعبيِّ عن النُّعمانِ بنِ بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنَّه حدَّثه: «أنَّ أمَّه بنتَ رواحة سألت أباهُ بعضَ الموهوبةِ من مالِهِ لابنها، فالتوى بها سَنَةً، ثمَّ بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تُشهِدَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما وهبْتَ لابني، فأخذَ أبي بيدي، وأنا يومئذٍ غلامٌ، فأتى رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ أُمَّ هذا؛ بنتَ رواحة، أعجبَها أنْ أُشْهِدَكَ على الذي وَهَبْتُ لابنها، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا بشيرُ، أَلَكَ ولدٌ سوى هذا؟»** قال: نعم، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أكلُّهم وهبْتَ له مثْلَ هذا؟»** قال: لا، قال: **«فلا تشهدني إذًا، فإنّي لا أشهدُ على جَوْر»**[1].

* وأخرج مسلمٌ أيضًا عن النُّعمان بنِ بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «تصدَّقَ عَلَيَّ أبي ببعضِ ماله، فقالت أُمّي عمرةُ بنتُ رواحة: لا أرضى حتّى تُشِهدَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فانطلقَ أبي إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ على صَدَقتي، فقال له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أفعلْتَ هذا بولدِكَ كُلِّهم؟»** قال: لا، قال: **«اتَّقُوا الله واعدلوا في أولادكم»** فرجعَ أبي، فَرَدَّ تلك الصَّدقة»[2].

---

(١) أخرجه مسلمٌ بهذا اللفظ في الهبات برقم (١٦٢٣/ ١٤)، وهو عند البخاري برقم (٢٥٨٧ و٢٥٨٦ و٢٦٥٠)، وعند أحمد في أكثر من عشرة مواضع، والترمذي برقم (١٣٦٧)، وابن ماجه برقم (٢٣٧٦)، والنسائي (٦/ ٢٥٨)، وكما ذكرها النووي في المهذب في أوائل باب الهبة، ومعنى قوله: «الموهوبة»: الموهبة، وهو بعض الأشياء الموهوبة. و«التوى»: أي: مطلها. قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «في هذا الحديث: أن هبة بعض الأولاد دون بعض صحيحة، وأنه إن لم يهب الباقين مثل هذا استحبَّ ردّ الأوّل. قال أصحابنا: يُستحبُّ أن يهب الباقين مثل الأول، فإن لم يفعل، استحب رد الأول ولا يجب فيه. وفيه جواز رجوع الوالد في هبته للولد، واللهُ أعلمُ» المنهاج (ص١٢٣٦و١٢٣٧).
وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ ما خلاصته: «تجب التَّسويةُ في عطيَّةِ الأولاد... ويجوزُ التَّفاضل إذا كان له سببٌ، كأن يحتاج الولد لمرضٍ مزمنٍ، أو دين... وذهب الجمهور إلى أنَّ التسوية مستحبة، ولا فَرْقَ في العطاء بين الذكر والأنثى، وظاهر الأمر بالتسوية يشهد لهم... والله تعالى أحل وأعلم» فتح الباري (٥/ ٢٥٣) بتصرف.

(٢) أخرجه مسلمٌ برقم (١٦٢٣/ ١٣)، وانظر: الأسماء المبهمة للخطيب البغدادي (ص٢٤٢و٢٤٣)، وأخرجه البخاري برقم (٢٤٤٧)، وغيرهم. وللمزيد من فوائد هذا الحديث وشروحاته الماتعة النافعة، انظر: البدر التمام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للقاضي حسين محمد المغربي (٣/ ٣٥٦-٣٦٤).

* وشارك جابرُ بنُ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في نَقْل قصَّة الهِبَةِ فيما أخرجهُ مسلمٌ عنه قال: «قالتِ امرأةُ بشير: انْحَل ابني غلامَكَ وأشهدْ لي رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتى رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنَّ ابنةَ فُلان سألتني أنْ أنحلَ ابنها غلامي، وقالت: أشهدْ لي رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إنَّ ابنةَ فلان سألتني أنْ أنحلَ ابنَها غلامي، وقالت: أشهدْ لي رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أَلَهُ إخوةٌ؟**» قال: نعم: قال: «**أَفكُلَّهم أعطيتَ مثلما أعطيتَه؟**» قال: لا، قال: «**فليسَ يصلحُ هذا، وإنِّي لا أشهدُ إلا على حقٍّ**»[(١)].

* فتحَ ابنُ حجر بعضَ المغاليق، وأوضحَ بعضَ الأحكام في قصَّةِ عمرةَ وابنها فقال ما مفادُه: «امتنعتْ عمرةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من تربيةِ النُّعمان إلا أنْ يَهَبَ له أبوهُ بشيرٌ شيئًا يخصُّهُ به، فوهَبَهُ حديقةً تطييبًا لخاطرِها، ثمَّ بدا له فارتجعَها... فعاوَدتْه عمرةُ في ذلك فَمَطَلَها سنةً أو سنتَيْن، ثمَّ طابتْ نفسُه أنْ يهبَ له بَدَلَ الحديقةِ غلامًا، ورضيتْ عمرةُ بذلك، إلا أنَّها خشيتْ أنْ يرتجعَ الغلامَ أيضًا، فقالت لزوجِها بشير: أشهدْ على ذلك رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تريدُ بذلك تثبيتَ العطيةِ، وأنْ تأمنَ من رجوعهِ فيها، ويكونَ مجيئُهُ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإشهاد مرَّةً واحدةً... وعمرةُ هي أختُ عبدِ الله بنِ رواحةَ الصَّحابي المشهور... كانت ممن بايعَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النِّساء...»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٢٤)، وفي روايةٍ لمسلم أيضًا قال: «فأشهد على هذا غيري، ثم قال: أيسرك أن يكون لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذن».
وللمزيد من أحكام عطية الأولاد، انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي (٤/ ٧٠٤-٧٠٦)، فقد قدم الأدلة الشافية الكافية، وذكر في هذا لجنة الفتوى بالأزهر. انظر الحاشية رقم (١) (ص٧٠٦) ففيها النفع بإذن الله.

(٢) فتح الباري (٥/ ٢٥٢) بشيءٍ من الاختصار والتصرف.

نموذجٌ منْ رواياتها:

* تعدَّدَتْ مناقبُ أُمِّ النُّعمان، ومنها: إِسْهامُها في نقلِ الحديثِ النَّبويِّ وروايتِهِ، وجاءت رواياتُها في عددٍ من كتبِ الحديثِ المتخصِّصَةِ، وبعض التَّواريخ والتَّراجم التي استوفت سيرتها.

* وعن حُكم خروج النِّساء إلى العيدَيْن أخرجَ الطَّبرانيُّ وأبو يعلى بسندٍ عن عمرةَ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وجَبَ الخروجُ على كلِّ ذي -أو ذات- نِطاق**»[١] يعني: في العيدَيْن[٢].

* ولعمرةَ رواياتٌ أخرى، ومنها حديثُ العطيَّةِ والهِبةِ لابنها النُّعمان، وقد مرَّ معنا، ورواهُ عددٌ من أهل العِلم[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني (٢٤/ ٣٣٨و٣٣٩) برقم (٨٤٦و٨٤٧)، وأبو يعلى (ص١٢٨٨) برقم (٧١٤٧)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٦٣)، وهو عند أحمد، وأبي نُعيم في معرفة الصحابة، وغيرهم.

(٢) لخروجِ النِّساء إلى صَلاةِ العيدِ ضوابطُ، فقد اتَّفق فقهاءُ من الحنفيةِ والمالكيةِ بأنَّه لا يُرخَّصُ للشَّابَّات الخروجُ إلى الجمعة والعيدين خشية الفتنة... أمَّا العجائزُ فلا خوف في أنْ يُرخّص لهنَّ الخروج... ولا بأس بحضور النِّساء مصلَّى العيد من دونِ زينةٍ أو طيب، لما روت أمُّ عطيّة، قالت: «كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخرجُ العواتقَ والحُيَّض، وذواتَ الخدور في العيد، فأمَّا الحُيَّض؛ فكُنَّ يعتزلنَ الصَّلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين» رواه الجماعة.

وإذا أراد النِّساءُ الحضور تنظَّفْنَ بالماء، ولا يتطيبْنَ، ولا يلبسْنَ الثِّياب الفاخرة، ويعتزلْنَ الرِّجال، ويخرجن تفلات. الفقه الإسلامي وأدلته (٢/ ٣٢٥و٣٢٦) بتصرف.

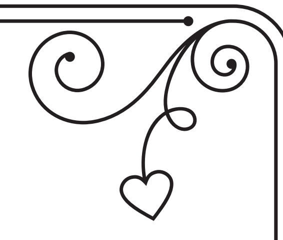
ومعنى «العواتق»: جمعُ عاتق، على وزن فاعل، وهي خاصَّةٌ بالمرأة، يقال: عاتِقٌ، حامِلٌ، حائِضٌ، عانِسٌ... والعواتقُ: البناتُ الأبكارُ البالغات، وقيل: الشَّابات. و«الخدور»: جمع خِدْر: وهو ناحيةٌ في البيت يُجعل عليها سِتْر، فتكون فيه البنتُ البِكْر، وهي المخدّرةُ. و«الحيّضُ»: جمعُ حائض، وهذه ذات الدَّمِ في العادةِ الشَّهرية، و«تَفلات»: أي: غير عَطِرات.

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ٣٣٨) برقم (٨٤٥)، وانظر تخريج الحديث فيه، وانظر: معرفة الصحابة (٥/ ٢٧٥و٢٧٦).

* ظلَّت أمُّ النعمان تنعُمُ بالوصيَّةِ النَّبويَّةِ، إلى أنْ خَطَبَتْها المَنيَّةُ لدار المقام، ولبَّتْ نداءَ ربِّها في المدينةِ المنوَّرة.

* رضي اللهُ عن عمرةَ، وعَمَرَ قلوبَنا بمحبَّةِ الصَّحابةِ، ونَفعَنا بسيرتها، وحشَرنا في معيَّتها ومعيَّةِ ابنها وزوجِها وأخيها، إنَّه سميع عليمٌ، وغفورٌ رحيم.





البَابُ الثَّالِث

أُمَّهَاتٌ من قبائلَ متفرِّقة

وفيــه:

١- **أُمُّ بلال** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

٢- **أُمُّ شُرَحْبيل** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

٣- **أُمُّ عبدِ الله بنِ مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

٤- **أُمُّ عثمانَ بنِ طلحةِ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

٥- **أُمُّ أبي هريرةَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

أُمُّ بِــلَال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

- ابنها بلال أوَّلُ مَنْ أَذَّن، ومناقبه جمَّهُ، ومبشَّرٌ بالجنة.
- لها ولدان صحابيان آخران هما: خالد وغُفْرة.
- كان ابنها بلال يذكرها دائمًا ويفتخر بها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.



أُمُّ بــلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

سَيِّدُنا وأُمُّه:

* نلتقي الآنَ صحابيةً كريمةً، وأمًّا صابرةً جليلةً، ووالدةً صادقةَ الإسلامِ، وامرأةً طاهرةَ القلبِ، كان ابنُها سابقُ قومِهِ، ومنّ السَّبعةِ الأوائلِ الذين أظهروا الإسلام في مكَّةَ، وهو من أطولِ النَّاس أعناقًا يومَ القيامة، زِدْ على ذلك أنَّ حبيبنَا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهدَ له بالجنَّةِ، حيث سمع دفَّ نعليه بين يديه في الجنة[1].

* سمَّى عبقريُّ الأُمَّةِ ومُحَدِّثُها وفاروقُها ابنَ هذه الصَّحابيةَ سيِّدًا، بل كان يقولُ عنه: سيِّدُنا، فأكرِمْ بهم جميعًا!.

* لِنَنْظُرْ إلى هذا السيِّد من بين رقائقِ ستُور السُّطور، ولنقرأْ ما أخرجَهُ يعسوبُ أهلِ الحديث وفارسهُم أبو عبد الله البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ بسندِهِ عن جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان عمرُ يقول: أبو بكر سيِّدُنا، وأعتقَ سيِّدَنا»، يعني بلالا[2].

* وبلالٌ هو مؤذِّنُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أحدُ السَّابقين الأوَّلين الذين عُذِّبُوا في الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو سابقُ الحبَش، ومن النُّجباء الرُّفقاء، شهدَ بدرًا، وشهدَ له رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التَّعيين بالجنَّة، ومناقبهُ جَمَّةٌ لا تُستقصى ولا يُلْحقُ شأوها.

* وأما والدتُهُ التي غرست فيهِ هذه الخصائل فهي: حمامَةُ، وعُرِفُتْ بهذا الاسم: حمامَةُ أُمُّ بلال[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) أخرجَهُ البخاريَّ برقم (١١٤٩)، ومسلمٌ برقم (٢٤٥٨)، وغيرهما.

وانظر: درّ السَّحابة للشوكاني (ص٣٦٩و ٣٧٠)، واقرأ سيرة بلال في كتابنا: رجال مبشرون بالجنة.

(٢) أخرجَه البخاريَّ برقم (٣٧٥٤)، باب مناقب بلال من رباح مولى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) الإصابةُ (٨/ ٥٣)، ومعرفةُ الصحابة (١/ ٣٧٣) برقم (٢٧١)، وتاريخُ مدينة دمشق (١٠/ ٣٤٧)، =

* يمدُّ البلاذريُّ محبِّي الصَّحابيات بهذه النُّبذةِ الموجزةِ عن الصَّحابيَّة حمامة[١]، من خلال ترجمتِهِ للأسرةِ البِلاليَّةِ المباركةِ فيقول: «قالوا: كان ربَاحُ حبشيًّا وسَبْيًا؛ وكان ابنهُ بلال من مولَّدِي السَّراة، وكانت أُمُّه حمامة سَبيَّةً أيضًا، وكانت تلقَّب سُكينة ....»[٢].

* وزاد ابنُ سعدٍ المعلومات عن حمامةَ لما تكلَّمَ عن ابنها بلال فقال: «..... وكان من مولّدي السَّراة، واسمُ أُمِّه حمامة، وكانت أَمَةً لبعضِ بني جُمَح»[٣].

أمُّ الصَّحابة:

* حمامةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من النِّساء المُسْتَضعفَات اللاتي عُذِّبْنَ في الله، واشتُهرت بابنها الصَّابر المُصَابر بلالِ بنِ رباح، ولكنَّها كانت أُمًا لِصَحابيَيْن آخرين، هما: خالد[٤]، وغُفْرة[٥]؛ أو غُفيرة. قال البخاريُّ: «بلالُ، أخو خالد، وغُفرة أخته»[٦].

* وننعُمُ بقراءة ما أوردَهُ أبو نُعيم عن حمامةَ وبلالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بلالُ بنُ رباح أبو عبد الله، واسمُ أُمِّه حمامةُ، من السَّابقين الأوَّلين، شهدَ بدرًا والمشاهدة كلَّها مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان من المعذَّبين في الله، فاشتراهُ الصديق، فأعتقهُ.... وكان يؤذِّنُ

=والمنتظمُ (٤/ ٢٩٧)، والمستدركُ (٣/ ٢٨٣)، ونهايةُ الأرب للنويري (١٨/ ١٥٠)، ومعجمُ الصحابة للبغوي (١/ ٢٥٩)، وغيرها كثير.

(١) «**حمامةُ**»: من معاني الحمامة: المرأة، أو: الجميلة (تاج العروس ٣٢/ ٢٣) بتصرف يسير.

(٢) أنسابُ الأشراف (١/ ١٨٤).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (٣/ ٢١٣) و (٩/ ٣٨٩).

(٤) «**خالدُ بنُ رباح**»: أخو بلال بن رباح المؤذّنُ، له صحبةٌ الاستيعاب ص٢٠٢ ، ترجمة برقم (٦٢٨) .

(٥) «**غفرةُ**»، أو غفيرةُ بنتُ رباح، هي أختُ بلال المؤذِّن، وأختُ أخيه خالد.

قال جعفرُ: هما أخوان وأخت، قاله محمدُ بنُ إسماعيل البخاريُّ. أسدُ الغابة (٧/ ٢٠٦)، والإصابة (٨/ ١٥٣) مع الجمع والتصرف اليسير.

(٦) تاريخُ مدينة دمشق (١٠/ ٣٣٤)، وسيرُ أعلام النبلاء (١/ ٣٥١)، وتأمَّلْ عزيزي محبّ الصَّحابة، إذا كانت حمامةُ مستضعفةً، وربَّت ثلاثةً من الصحابة، فما قولك في غيرها؟ وهل تستفيد نساؤنا من سير هؤلاء الأمهات؟!.

لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياته سفرًا وحضرًا، وكان خازنهُ على بيتِ ماله، وهو سابقُ الحبشة...»[(١)].

❋ وما أجمل نَظْم أحمد البدوي بن محمدا الشَّنقيطي:

بِــلالُ الــسَّــابـقُ جِـيْـلَ الحـبـشَـةْ ... ومَـنْ لَـهُ وسْـطَ الجِـنَـان خَشْخَشَةْ

أذَّنَ لـلـنَّـبيِّ والـعَـتِـيـق ... ومـــرّةً أذَّنَ لـلـفَـاروق[(٢)]

❋ وأحكمَ «الحاكمُ» الكلامَ عن هذه الأُمِّ السَّابقة، وعن ابنها، وابنتها، وعن إسلامهما فقال: «وكانت أُمُّه اسمُها حمامة، وكانا أسلمَا جميعًا»؛ وقال أيضًا: «بلالُ بنُ رباح، أمُّه حمامة، وأختهُ غُفرة»[(٣)].

الصَّابِران:

❋ إذا ذُكرَ الصَّابرونَ والصَّابراتُ من الصَّحابة كان بلال وأمُّه في المقدمة، فقد صَبَرا على عذابِ قريش وفجورِ كبارها، وكان أميةُ بنُ خلف الجمحيُّ يعذِّبُ بلالًا في حَرِّ الشَّمس، ويأمرهُ أن يرجعَ إلى عبادةِ اللاتِ والعزَّى ومناةَ الثَّالثة الأخرى، وأنْ يكفرَ بالإسلام والدِّين الحنيفِ، ولكنَّ بلالًا لم يلتفتْ إلى هذا كلِّه، ولم يضعُفْ، وكان يشدو بقولهِ الجميل: «أَحَدٌ، أَحَدٌ»، فنجَّاهُ الواحدُ الأحدُ، فمرَّ بهِ سيِّدُنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاشتراهُ من سِّيده، فأعتقَّه لحظةَ أنْ ملَكَهُ، وهو يبتغي وجْهَ الله عَزَّ وَجَلَّ، ويسعى للحُسْنى ولو لَمْ يفعلْ أبو بكر في الإسلام إلا أنَّه أعتقَ بلالًا ابنَ حمامةَ، لكان سَابقًا في الفَضْل والمكارمِ، ولله درُّ مَنْ قال:

---

(١) معرفةُ الصحابة (١/ ٣٧٣)، ترجمة رقم (٢٧١).

(٢) عمودُ النسب (ص٦٦)، وقوله «خشخشة»: صوتٌ في الصَّدر، وذلك أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أُسرى به في الجنة سمع خشخشة، فقال: «يا جبريل، ما هذه الخشخشةُ»؟ قال: صوت بلال. (الطبراني ٢٢/ ١٣٧) برقم (٣٦٣).

(٣) المستدرك (٣/ ٢٨٣).

أبــو بَـكْـرٍ حَــبَــاهُ الله مَــالا وأَعْــتَــقَ في محـبَّـتِـهِ بِـلالا
وقَــدْ وَاسَــى الـنَّـبيَّ بكلِّ فَضْـلٍ وأسْــرَعَ في إجَـابَـتِـهِ بِـلا: لا
لـو أنَّ الـبَحَـر يبغضُـه اعتقادًا لمـا أبـقـى الإلـهُ بِـه بَـلالا[(١)]

* ورووا أنَّ سيِّدَنا عمَّارَ بنَ ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -وهو وأُمُّه وأبوهُ من المعذَّبين في الله- كانَ يجلُّ بلالًا وأمُّه حمامة، وأصحابه، وإذا ذكرَ ما كانوا فيه من البلاءِ، وعتاقة أبي بكر إيَّاهم، أنشدَ فقال:

جـزَى اللهُ خيرًا عن بلالٍ وصحبِه عتيقًا وأخزى فاكهًا وأبا جَهْل
عـشيَّـةَ هَـمَّـا في بـلالٍ بِـسَـوءةٍ ولم يحذرا ما يحذرُ المرءُ ذو العقل
بـتـوحـيـدِهِ ربّ الأَنَـام وقـولـه شـهـدتُ بـأنَّ الله ربِّـي عـلى مهل
فـإنْ يقْتُلوني يقْتُلوني ولم أكنْ لأُشرِكَ بالرحمنِ من خيفةِ القتل[(٢)]

أَعَيَّرتَه بأُمِّه؟

* لم تغبْ حمامةُ أُمِّ بلال، بل أُمُّ الصَّحابة عن أذهانِ المسلمين ووجدانهم، وكان لها مكانةٌ لأئقةٌ في نفوسهم، وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرفُ حقوقَ أصحابِهِ رجالًا ونساءً، شيبًا وشبابًا، ومنهم السَّيِّدةُ حمامةُ، فقد انتصرَ لها، ووفَّاها حقَّها، ودلَّ على مكانتِها، ومكانةِ ابنها مؤذِّنِ الإسلام الأوَّل، وصاحبِ أجمل حَنْجَرةٍ في تاريخِ المؤذنين في الإسلام، وصاحب الفَصَاحة والبَيان[(٣)].

(١) التبصرةُ لابن الجوزي (١/ ٤١٢)، وهذه الأبيات لأسعدِ بن عليّ بن أحمد الزوزني المعروف بالبارع. انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي (ص٦٣٢).

(٢) تاريخُ مدينة دمشق (١٠/ ٤٤١)، ومختصر تاريخ دمشق (١٨/ ٢٠٩و ٢١٠)، ومن الجدير بالذكر أنَّ سيدنا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أعتقَ عددًا من الموالي المستضعفين، منهم: حمامةُ والدةُ بلال، وعامرُ بنُ فهيرة، وأمُّ عبيس، وزنّيرة، والنَّهديةُ، وابنتها، وجاريةُ بني عدى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين... (السِّيرةُ النبويةُ في ضوء المصادر الأصلية، ص١٩٠-١٩١).

(٣) وافى ابنُ كثير محبِّي الصَّحابة بمعلوماتٍ مهّمة جدًا عن فصاحةِ بلال، فقال من خلالِ ترجمتِهِ لبلال وأمّه: «بلالُ بنُ رباح الحبشيُّ، وُلدَ بمكَّةَ... وكان يُعرفُ ببلالِ ابن حِمامة، وهي أمُّه. وكان منْ أفصحِ النَّاس، =

* بَيَّنَ ابنُ عساكر مكانةَ حمامة، فيما أخرجَهُ بسندهِ عن أبي أُمامة، قال: «عيَّرَ أبو ذرٍّ بلالًا بأمِّه، فقال: يابنَ السَّوداء، وأنَّ بلالًا أتى رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَخْبَرَهُ فغضِبَ، فجاء أبو ذرّ؛ ولم يشعُرْ؛ فأعرضَ عنه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما أعرضَك عنِّي إلا شيءٌ بَلَغَك يا رسولَ الله، قال: «**أَنْتَ الذي تُعَيِّر بلالًا بأُمِّه**»!! قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي أنزلَ الكتابَ على مُحمَّد -أو مَا شاءَ اللهُ أن يحلفَ- ما لأَحدٍ على أَحدٍ فَضْل إلا بعمل، إن أنتم إلا كَطَفِّ الصاع**»[1].

حَمَامَةُ على لسَان بلال:

* نتناولُ بعضَ المعارفِ المفيدةِ من رصيدِ الصَّحابية حمامةَ، حيثُ ذكرتْ أخبارهُا أنَّ ابنهَا بلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يذكرها دائمًا. روى أنسُ بنُ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ بلالًا صَعِدَ ليؤذِّن وهو يقول:

=لا كما يعتقدُهُ بعضُ النَّاس أنَّ سِينَهُ كانت شيئًا، حتى إنَّ بعضَ النَّاس يروي حديثًا في ذلك لا أصْلَ له عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: إنَّ سينَ بلال عند الله شينًا، وهو أوَّلُ مَنْ أذَّن» (البداية والنهاية ٨/ ٣٠٥) بتصرف.

وكان بلالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فصيحًا لبيبًا فطنًا، فقد قيلَ له: «مَنْ سَبَقَ»؟

فقال: «رسوُل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»،قالوا: «سألْنَاك عن الخَيْل»، قال: «وأنا أجبتكُم عن الخير» (البصائر والذخائر ٥/ ١٩٩).

وكان سيِّدنا بلال ندى الصَّوت، ومعنى ندى الصَّوت: أي أرفع وأعلى، وأحسن وأعذب، والله تعالى أجَلُّ وأعلمُ.

(١) تاريخُ مدينة دمشق (١٠/ ٤٦٤)، وللحديث أصلٌ عند البخاريِّ بمعنى قريب برقم (٣٠و ٢٥٤٥و ٦٠٥٠)، وشَرَحَ ابنُ حجر الحديثَ وافيًا، وبيَّنَ معنى العَار والسَّبَّ، فمن أرادَ الاستزادةَ، فليرجعْ إلى فتح الباري (١/ ٨٤-٨٧) أمَّا أبو ذرّ فاسمه: جندبُ بنُ جنادة الغفاريُّ، وأمُّه: رملةُ بنتُ الوُقَيعة من بني غفار أيضًا. (الاستيعاب، ص١١٠).

قال ابنُ الأثير في ترجمتها: «رملةُ بنتُ الوقيعة بنِ حرام بن غفار الغفاريةُ، وهي أمّ أبي ذر.... ووردَ إسلامها في قصّة إسلام أبي ذرّ، ولم تُسَمَّ في الحديث». (أسد الغابة٧/ ١١٩) بتصرف يسير.

وانظر: الإصابة (٨/ ٨٦).

مَــالــبِــلَالٍ ثــكِـلَــتْـهُ أُمُّــه وابـتَـلَّ مـنْ نَـضْـحِ دمٍ جَبِينُه[١]»

* وتبقى حمامة أمُّ بلال ماثلةً في الوجدان، وعلى كل لسان، وتظل من أمهات الصحابةِ الخالداتِ ذواتِ الآثارِ الكريمةِ في حسن التربية.

* عاش ابنها بلال بضعًا وستين سنة، ومات بدمشق إبان الخلافة العمرية سنة (٢٠هـ)، ودفن بمقبرة باب الصغير[٢]، لكننا لا نعرفُ متى ماتت أمُّه حمامة.

* رضي الله عن حمامةَ وأولادِها، وحشرنا في معيتهم تحت رايةِ المشفَّع الشَّفيع حبيبنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) طبقاتُ ابنُ سعد (٣/ ٢١٦)، وتاريخُ مدينة دمشق (١٠/ ٤٦٧)، وأنسابُ الأشراف (١/ ١٨٧)، وبغيةُ الطلب في تاريخ حلب (ص١٠٠٠) وغيرها.

(٢) تهذيبُ الأسماء واللغات (١/ ١٣٧)، ومختصرُ تاريخ دمشق (٥/ ٢٥٣).

وانظر: الروضة الرَّيا فيمن دُفن بداريا (ص٩٩-١٠١) لعبد الرحمن العمادي (٩٧٨-١٠٥١هـ) تحقيق عبده على كوشك، دار المأمون للتراث، دمشق (ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

أُمُّ شُرَحبيل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

- من السَّابقات إلى الدوحة الإيمانية، ومن مهاجرات الحبشة.
- زوجُها صحابي، وأولادُها جميعهُم صحابيون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.
- ابنهُا شُرحبيل من كبارِ قادةِ الجيوش ومن الفاتحين.



أُمُّ شُرَحْبيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أسلمتْ وهَاجَرتْ:

* امرأةٌ كريمةٌ استجابتْ لله ورسولِهِ منذُ البداية، ولم تتأخرْ عن ركْبِ السَّابقات، بل كانت منَ اللبناتِ النِّسوَّية الأولى في بناءِ صرحِ الدِّينِ القيِّم الذي ارتضاه الله للناس.

* دلفتْ إلى الدَّوحَةِ الإيمانيةِ في مرحلةِ الزَّهْرِ النَّديِّ، وأقبلَ معها نساءٌ ورجالٌ من قريش، فآمنوا بالرِّسالةِ المحمديَّةِ، واتَّبعوا الدِّينَ الحنيفَ، هنالك انفجرَ كفَّارُ قريش، واضطربتْ عقولهُم، وجعلوا يؤذون المسلمين والمسلمات، ويْقَسون عليهم قسوةً عجيبة؛ إلى أنْ تلقَّوا الإذنَ بالهجرة إلى الحبشةِ، فخرجوا تاركين الدِّيار حتى يقضيَ اللهُ بالفرج، وكان من بينهم: حَسَنَةُ[1] أُمُّ شرحبيل الذي اشتُهِرَ بالنَّسب إلى أُمِّه فقيلَ: شرحبيلُ ابنُ حَسَنَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

* أحسنَ ابنُ سعد القولَ حينما هذَّبَ سيرةَ حَسَنَةَ[2] بهذه الكُليمات فقال: «حَسَنَةُ؛ أُمُّ شرحبيل ابن حَسَنة، وهو ابنُ عبدِ الله المطاعِ بنِ عمروِ الكِنديّ. أسلَمَتْ بمكَّة قديمًا، وبايعَتْ وهاجرَتْ إلى أرض الحبشَةِ الهجرة الثَّانية مع ابنها شُرحْبيل ابن حسنة»[3].

---

(١) المعارفُ (ص٣٢٥)، وطبقاتُ ابن سعد (١٠/ ١٧٢)، وتاريخُ مدينة دمشق (٢٢/ ٤٦٤و ٤٦٦-٤٧١)، والإصابةُ (٨/ ٥١)، وأسدُ الغابة (٧/ ٦٧)، والبدايةُ والنهاية (٤/ ١٧١)، ومعرفةُ الصحَّابة برقم (٣٨٢٤)، وإتحافُ الورى (١/ ٢٢١)، ونوادرُ المخطوطات (١/ ١١٩)، وغيرها.

(٢) «حَسَنة»: «امراةٌ، وهي أمّ شرحبيل القُرشيّ، ولها صحبةٌ. (تاج العروس ٣٤/ ٤٢٥) بتصرف. وقال الصَّالحي: حَسَنَة بلفظ ضد السَّيئة؛ أمَّ شرحبيل». (سبل الهدى والرشاد ٢/ ٥٣٧).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (١٠/ ٢٧٢).

* حبَّرَ ابنُ حبيب بمدادِ قَلمِهِ نبذةً عنها فقال: «حَسَنَةُ أُمُّ شرحبيل ابن حسنة، من مهاجراتِ الحبشَةَ»(١).

* بينما أكَّد العِجْليُّ صحبتَها فقال: «حَسَنَةُ والدةُ شرحبيل ابن حَسَنة، لها صحبةٌ».

كلاهُمَا مُهَاجِرَان:

* للمُهاجرين إلى الحبشةِ سِجِلٌّ يضمُّ أسماءهم، وقد عدَّ أسماءهم مصنِّفو السِّيرة، وكاتبو التَّراجم، وكان من بينهم: «شرحبيلُ ابنُ حَسَنَةُ، هاجرتْ أمُّه حَسَنَةُ إلى أرضِ الحبشة»(٢).

* وأَرَّخَ الذَّهبيُّ في تاريخِهِ هجرةَ الأُمِّ وابنها فقال عنهما: «هاجَرَ هو وأُمُّه إلى الحبشَةَ»(٣)، وكذلك ذكرهما أبو نُعيم فيمن هاجر من مكَّة إلى أرضِ الحبشَة(٤).

* ولكنْ هل كانت حَسَنَةُ وابنهُا وحدَينْ في هذه الهجرةِ الحبشيَّة؟ وهل لحسنَةَ أبناءٌ غير شُرحبيل؟ هذا ما تجلوهُ رقائقُ السُّطور الآتية بإذن الله.

امرأةُ صَحَابيٍّ وأُمُّ صَحَابةٍ:

* تُعدُّ حَسَنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الصَّحابيات المُهاجرات، ولها هجرتان، كما أنَّها تُعدُّ ممَّنْ هاجرتْ مع أسرتها، فهي زوجُ صحابي، وأُمُّ ثلاثةٍ من الصَّحابة من أصحابِ الهجرتَينْ.

* نقل ابنُ عساكر أنَّ محمدَ بنَ إسحاق كان يقول: «كانت حَسَنَةُ أُمُّ شرحبيل امرأةَ سفيانَ بنِ معمر(٥)... وكان له منها من الولد: خالدٌ، وجنادةُ ابنا سفيان بن معمر،

---

(١) المحَّبرُ (ص٤١٠).
(٢) المستدركُ (٣/ ٢٧٦)، والمغازي لموسى بن عقبة (ص٧٩).
(٣) تاريخُ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين،ص١٨١).
(٤) معرفةُ الصحابة برقم (٣٨٢٤).
(٥) انظر ترجمته في أسد الغابة (٢/ ٤٩٩و ٥٠٠) برقم (٢١٢٤).

فخرجَ بامرأتِهِ حَسَنَة، وخرجَ بولدِهِ خالدٍ وجنادةَ، وأخرجَ معهم أخاهم لأُمِّهم شرحبيل ابن حسنة في الهجرة الثَّانية إلى أرضِ الحبشة»[١].

* وأدلى النَّوويُّ دَلْوَهُ في جُبِّ المعلومات، وأخبرنا بأنَّ هذه الأُمَّ الكريمةَ والدةُ ثلاثةٍ من الصَّحابة فقال حينما ترجم لِشُرحبيل: «..... أسلمَ شرحبيلُ قديمًا، وأخواه لأُمِّه جنادة وجابر، وهاجروا إلى الحبشة، ثم إلى المدينة»[٢].

* زادتِ الهجرةُ الحبشيَّةُ حَسَنَة عزمًا ومُضيًا في طريق الحقِّ، فأخذتْ توقظُ في نفوس بنيها الأخلاقَ الفاضلةَ، والمكارمَ المُؤْنسةَ، وقد تخلَّقَ أبناؤها بهذه المُثُلِ النَّبيلةِ، وبخاصة الأمانةَ والمروءةَ، مما جعل النَّجاشيُّ يدركُ نجابةَ أبناء حسنة، فاختَصَّ ابنها شُرحبيل بمكرمةٍ عظيمة، إذ بعثَ أُمَّ المؤمنين أُمَّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى المدينة بصحبته[٣]، فقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صبورًا، عالي الهمة، وجيهًا، مخلصًا لله ولرسوله كما كان أحد الكتبَةِ الفَصَحة[٤].

أُمُّ النَّبيل:

* بلغَ عددُ المهاجرات إلى الحبشة ثماني عشرة امرأة، منهنَّ إحدى عشرة قرشيات، وسبعُ نساءٍ غرائب[٥]، وكانت السيدةُ الحسبيةُ النسبيةُ أُمُّ حبيبة بنتُ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، من صُويحبات حَسَنَة في الهجرة.

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ٤٦٤).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٣).

(٣) قال المؤرخ محمودُ شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الأمر: «..... طلب رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النجاشي أنْ يخطبهَا له -أي: أم حبيبة- ، ففعل، وأرسلهَا مع شرحبيل بن حسنة الذي كانت أمُّه معه.... (التاريخ الإسلامي ٢/ ٣٤٤).

(٤) قال ابنُ أبي حُديدة الأنصاريُّ: «شرحبيلُ ابنُ حسنَةَ نُسِبَ إلى أُمِّه حسنَةَ، وهو أوَّلُ مَنْ كتبَ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان من مهاجرةَ الحبشةِ، معدودٌ في وجوه قريش، وكان أميرًا على ربْعٍ من أرباع الشَّام، ومواقفُهُ في فتوح الشَّام معروفةٌ مشهورةٌ». (المصباح المضي، ص١٠٦).

(٥) شرح المواهب اللدنية (٢/ ٣٢)، وسبل الهدى والرشاد (٢/ ٥١٧)، وإتحاف الورى (١/ ٢٢١).

* ولما مات عبيدُ الله بنُ جحش الأسديُّ؛ زوجُ أمِّ حبيبة، جعلت حسنةُ تواسيها، وتهتمُّ ببعض شؤونها، وخاصَّة لما علمَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر السَّيِّدة الصَّابرة أُمِّ حبيبة، أرسلَ إلى النَّجاشي ليخطبَها له، ففعل ذلك، ثم دفعَ المهرَ منه، وبعثَ بها إلى المدينة مع شرحبيل ابن حسنة(١)، وأَوْلَمَ للنَّاس بعد ذلك. وصارت أُمُّ حبيبة أُمًا للمؤمنين بعد أنْ ماتَ زوجُها عُبيد الله(٢)، وتزوَّجتْ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصيَّةٍ من عُبيد الله كما جاء عند ابن حبَّان(٣).

---

(١) السِّيرةُ النبويةُ في ضوء المصادر الأصلية (ص٧٠٦) بتصرف يسير، وانظر: المستدرك (٣/ ٢٧٦)، وشرح المواهب اللدنية (٢/ ٤٠٤و ٤٠٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٥٩)، ونضرة النَّعيم (١/ ٢٤٠)، وحسن الأسوة (ص٤٨١)، والمفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم (١١/ ٤٧١)، وغيرها، والحديث أخرجه أبو داود والنَّسائي.

(٢) ذكرَ بعضُ أهلِ العلْمِ والتَّحقيق أنَّ عبيدَ الله بنَ جحش زوجَ أُمِّ حبيبة لم يفارقْ دينهَ، ولم يَتَنَصَّرْ، وإنما ماتَ. قال ابنُ حجر في ترجمةِ أُمِّ حبيبةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عُبيد الله بنِ جحش، وماتَ هناك، فتزوَّجها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنةَ ست، وقيل سنة سبع». (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١٩).
وروى الإمامُ أحمدُ بسنده عن أمِّ حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «..... أنَّها كانت تحت عُبيدِ الله بنِ جحش، وكان أتى النَّجاشيَّ، فماتَ، وأنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوَّج أمَّ حبيبة، وإنّها بأرضِ الحبشة، زوَّجها إياهُ النَّجاشيُّ، وأمهرَهَا أربعةَ آلاف». (الفتح الرباني ١٦/ ١٧٠)، والحديثُ عند أبي داود، والنَّسائي أيضًا.
ومما يعضدُ ما نقولُ، أنَّه يبعدُ أنْ يرتدَّ أحدُ السَّابقين الأوَّلين عن دينه، وعبيدُ الله بنُ جحش ممَّن هاجر فرارًا بدينهِ مع زوجه إلى أرضٍ بعيدةٍ غريبةٍ، خاصة أنَّ عبيدَ الله ممن هَجَرَ الأصنام وفارقَها، وخَالفَ قريشًا وعبادتها الوثنية.
ونجدُ كذلك دليلًا آخر في الصَّحيح يؤيّدُ ما ذكرناه بأنَّ عبيدَ الله لم يرتدَّ ولم ينتصَّرْ، ما جاء في حوارِ هرقْلَ مع أبي سفيان والد أم حبيبة -وكان حينذاك مُشركًا- فقد سأله أسئلةً عديدة منها: «.... هل يرتدُّ أحدٌ منهم سخطةً لدينهِ بعد أنْ يدخلَ فيه؟ فأجابَ أبو سفيان لا»، ولو كان عبيدُ الله بنُ جحش قد تنتصَّرَ لوجدها أبو سفيان فرصةً ملائمةً كي ينالَ من رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن دعوتهِ، ومن أصحابهِ. ولكنَّه لم يكذبْ، وقال مقالة الصِّدق والصَّواب، والله تعالى أجَلُّ و أعلم.

(٣) أخرجَ ابنُ حبَّان في صحيحه بسند عن أمنا الصِّدِّيقةِ بنتِ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالت: «ثم هاجرَ عبيدُ الله ابنُ جحش بأُمِّ حبيبة بنتِ أبي سفيان؛ وهي امرأتهُ إلى أرضِ الحبشة، فلما قدمَ الحبشة مرضَ، فلما حضرتْه الوفاةُ، أوصى إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتزوَّج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ حبيبة، وبعثَ معها النَّجاشيَّ شرحبيل ابن حسنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ». (صحيح ابن حبان ١٣/ ٣٨٦)، والله تعالى أعلم.

* وهكذا كان ابنُ حَسَنَة رجُلًا شهمًا نبيلًا مُؤْتَمَنًا كريمًا، إذ رافقَ أُمَّنَا أُمَّ حبيبة من الحبشة إلى المدينةِ النَّبوية، وكان من خيرِ الرِّجال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والدةُ قائدٍ فَاتح:

* يُعَدُّ شرحبيلُ ابنُ حسنة من الذين عُرِفوا بالنَّسبِ إلى أُمَّهاتهم، وهو من خيرةِ العُقلاء، ومن أصحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو حليفُ بني زُهرة، وأحدُ أمراء الأجناد الذين وجَّههم سيِّدنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفتح بلاد الشَّام، وهو أخو عبد الرحمن بن حَسَنة، وحسنة أُمّهما[١].

* وكان لحسنةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بصماتٌ واضحاتٌ في تربيةِ ابنها شرحبيل ليكونَ من فُرسان مدرسةِ النُّبوَّةَ، فهو من الشُّجعان والعُقلاء المذكورين، كما أنَّه أَوَّلُ مَنْ كتبَ لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكَّةَ المكرمةِ، وغزا مع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزواتٍ، وهو أحدُ الأُمراء الكبار في جيشِ أبي بكر الصِّدِّيق، وقد افتتح شرحبيلُ الأردنَّ كُلَّها عنوةً، ما خلا طبرية، فإنَّ أهلهَا صالحوه، قال أحمدُ البدوي بنُ محمدا الشَّنقيطيُّ في نَظْمه عن نَسبِ مُزينة:

وشُرحبيلُ منْهُمُ ابنُ حَسَنَةْ ... رائي الفتوحِ لِلْعَتيق في السَّنَةْ[٢]

* هذه حَسَنَةُ الصحابية أمّ الصحابة الكرام؛ أُمٌّ نجيبةٌ ولدتْ العلماءَ والأمراءَ والأولياءَ والأبطالَ والفاتحين؛ ولا نعلمُ أكثر من هذا عن حَسَنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

* أمَّا تاريخُ وفاتها فلم تُشِرْ إليه المصادرُ، ولم تفصحْ عن زمنِه، ولعلَّها ماتت أيَّام الخلافةِ الرَّاشدة في حياة ابنها، ولكنَّ تواريخَ الصَّحابة لم تُغْفِل وفاةَ ابنها شرحبيلَ،

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (٢٢/ ٤٦٤).

(٢) عمودُ النَّسب الشَّريف (ص٤٩)، وقوله «للعتيق»: العتيق: هو سيدنا أبو بكر الصُّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. و«السَّنَة»:النّوم.

وأشارت إلى أنَّه ماتَ بالشَّام[١] سنة (١٨هـ). وكان عمرهُ إذ ذاك (٦٧ عامًا)، وكانت وفاتُه أيَّام طاعون عِمواس[٢].

* رضي الله عن الصَّحابيةِ المربيةِ الأُمّ المُحسنَة حَسَنة أمُّ شرحبيل، وعن سائرِ أولادها، وعن زوجِها، وجمعنا معهم تحت الرايةِ المُحمديَّة المُصطفوية ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].



(١) البدايةُ والنهاية (١٠/ ٧٧)، ومختصر تاريخ دمشق (١٠/ ٢٩٠)، وغيرها.

(٢) «**عِمْواسُ**»: قريةٌ من قُرى الشَّام بين الرَّملة وبيت المقدس، وإليها يُنْسَبُ الطَّاعون، لأنَّه منها بدأ، فيقال: طاعونُ عمواس، مات فيه خمسةٌ وعشرون ألفًا، فيهم: أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح، والحارثُ بن هشام، وشرحبيلُ بن حسنة، ومعاذُ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وكان هذا الطاعون سنة ثمان عشرة من الهجرة. (الروض المعطار، ص٤١٥).

وأفاد ياقوتُ الحموي في «معجم البلدان» أنَّ عِمواسَ: بكسر أوَّله وهو حرف العين، وسكون الثاني وهو حرف الميم. هكذا: عِمْوَاس.

أُمُّ عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

ﮩ والدةٌ فاضلةٌ مُقَربةٌ من بيت النُّبوّة.

ﮩ ابناها وحفيدُها من صحابةِ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ﮩ لها روايةٌ في صفةِ صلاةِ الوترِ، وأخبارُها منعشةٌ.



أمُّ عبدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أمٌّ ميمونةٌ وجَدَّةٌ كريمةٌ:

* بلغَتْ هذه الأمُّ الميمونةُ مرتبةَ الشَّرفِ بفضلِ السَّبْق والصُّحبة، كما فازَ وَلَداها وحفيدُها بذلك، فكانوا من نُجباء الصَّحابة وفقهائهم، ومن المقربين إلى بيتِ النُّبوَّة الطَّاهر.

* كانت والدةً فاضلةً من المؤمناتِ اللواتي أسلمْنَ وبايعنَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وممَّن نطالعُ اسمهَا في الصَّفحة الأولى لسجِلِّ السَّابقات، إنَّها: أمُّ عبد بنتُ عبد ودّ بنِ سُوَي[1] -أو: سواء- من هُذَيل.

* وابناها: عبدُ الله بنُ مسعود، أوَّل مَن جَهرَ بالقرآن بعد مَنْ أنْزِل عليهِ القرآنُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَهِدَ له بالفطنَة والعِلْم فقال: «**إنَّكَ غلامٌ مُعَلَّمٌ**»، أو: «يرحُمكُ اللهُ؛ إنَّك غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»، وتعلَّم من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعًا وسبعين سورة مشافهةً ما نازعَهُ فيها أحدٌ، وكان من النُّجباء والرُّفقاء، وسادسُ الإسلام سبقًا وإيمانًا، ومنْ أَشْبَهِ النَّاس هديًا ودَلًّا برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحدِ حفَّاظِ القُرآن الكريم، بل إنَّ ابنَ أُمِّ عبد هذا إمامٌ، حَبْرٌ، عالمٌ، ذكيٌّ، من علماء الصَّحابة وأعيانهم، ومن المهاجرين الأوَّلين، ومن البدريين الذين سعدوا بمرافقةِ سيِّد المرسلين، فسيرتهُ ريحانةُ الجليس، وزهرةُ الأنيس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

---

(١) العقدُ الثمين (٥/ ٢٨٤)، وذيولُ تاريخ الطبري (ص٦٢٤)، والاستيعابُ (ص٩٥٦)، والإصابةُ (٨/ ٢٥٧)، وأسدُ الغابة (٧/ ٣٥٢)، وأعلامُ النِّساء (٣/ ٢٣٥)، وتاريخُ بغداد (١/ ٤٨١)، وتاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ٣٥و ٥٥)، وذكر ابنُ عساكر أنَّه يقال لأُمِّ عبد الله بن مسعود: أمُّ عبد بنتُ عبد الحارث بنت زهرة، ويقال إنَّها من القارة -اسم قبيلة- ويقال: أم عبد، إحدى بني صاهلة بن كاهل. (تاريخ مدينة دمشق ٢٣/ ٥٦و ٥٨و ٦٠و ٦٢).

* وابنُها الآخر: عتبةُ بنُ مسعود الهذليُّ أخو عبد الله لأبويه، وهو من المهاجرين ومن الفُقهاء، فهو معدودٌ فيمن هاجرَ إلى الحبشة الهجرة الثَّانية، فأقامَ بها، ثم قدمَ المدينةَ النَّبويَّةَ، وشهدَ أُحدًا وما بعدها من المغازي النَّبويَّةِ، وكان سيِّدنا عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يؤمِّرُهُ، ولما مات عتبةُ؛ بكى أخوهُ عبد الله وقال: «أخي في النَّسب؛ وصاحبي مع رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحبُّ النَّاسِ إليَّ إلا ما كان من عمر»، وقيل: لما توفى عتبةُ، انتظرَ عمرُ أُمَّ عبد، فجاءَتْ فَصَلَّتْ عليه[1]...

* أمَّا حفيدُها: عبدُ الله بنُ عتبة، فَلَهُ إدراكٌ، وصحبةٌ، وروايةُ حديثٍ، وهو والدُ أحدِ الفُقهاء السَّبعةِ عُبيدِ الله بن عبد الله بنِ عتبةَ بنِ مسعود، كان عبدُ الله بنُ عتبةَ صغيرًا على عَهْدِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حفظَ عنه يسيرًا، وسأله ابنهُ حمزةُ بنُ عبد الله: أَيّ شيءٍ تذكرُ من رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: «أذكرُ أنَّه أَخذَني وأنا خُماسيٌّ أو سُداسيٌّ -ابنُ ستّ سنوات- فأجلسَني في حجره، ومسحَ على رأسي بيده، ودعا لي ولذُريَّتي من بَعْدُ بالبركة». وقد استعملَ عمرُ حفيد أُمِّ عبد هذا على السُّوق، وكان رفيعَ القدر، كثيرَ الحديث والفُتيا، فقيهًا، ماتَ سنة (٧٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

كَنَّةُ أُمِّ عَبْد:

* لا يفوتنا أنْ نضيفَ فضيلةً متميزةً في صحيفةِ أُمِّ عبد، فنذكرُ جانبًا من سيرة كَنَّتها ريطةَ أو رائطةَ بنتِ عبدِ الله الثَّقفية، امرأةِ عبدِ الله بنِ مسعود وأُمِّ ولده.

---

(١) المعجمُ الكبير (٢٥/ ١٧٤)، وقال الهيثميُّ: «وإسنادهُ حسنٌ». (مجمعُ الزوائد ٣/ ٤٣). وانظر: سير أعلام النّبلاء (١/ ٥٠٠)، والإصابة (٤/ ٢١٦ و٢١٧).

وقال الصَّفديُّ: «توفي عتبةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمدينةِ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». (الوافي بالوفَيات١٩/ ٢٩٣)، و(نكتُ الهميان ص١٩٩).... وعتبةُ بنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوَّلُ مَنْ سمَّى المصحفَ مصحفًا، قال في«روض النُّهاة»: «أسلم عتبةُ قبل أخيهِ عبدِ الله، واستُشهد يومَ اليمامة، ونحو ابني مسعود هَذْين ابنا الخطّاب: عمرُ وزيدٌ، قال عمرُ: رحمَ اللهُ أخي، سبقَني إلى الحسنيين: الإسلام؛ والشَّهادة». (إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ص٣٠١).

(٢) أسد الغابة(٣/ ٣٠٦و٣٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٠)، والإصابة (٤/ ١٠٠) مع الجمع والتصرف.

❋ كانت هذه الكَنَّةُ الصَّحابيةُ امرأةً صَنَاعًا، وليسَ لزوجها مالٌ، فكانت تبيعُ من صنعتها، وتنفِقُ عليه وعلى ولدِهِ وبيتِهِ من ثمن صنعيتها، وتفوتُها الصَّدقَةُ أحيانًا، فقالت لزوجها: «والله؛ لقد شغلْتَني أنتَ وولدُكَ عن الصَّدقة، فما أستطيعُ أنْ أتصدَّقَ معكم بشي» فقال لها: «ما أحبُّ، إن لم يكن لكِ في ذلك أجرٌ أنْ تفعلي». فسأَلَتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي وهو؛ فقالت: «يا رسولَ الله، إنِّي امرأةٌ ذات صَنْعةٍ أبتغي بها -أو: فأبيعُ- وليس لي، ولا لزوجي شيءٌ، ولا لولدي؛ ويشغلونني فلا أتصدَّقُ، فهلْ لي في النَّفقَةِ عليهم من أَجْر»؟ فقال: «لكِ في ذلك أجر ما أنفقتِ عليهم» وفي روايةٍ قال: «أنفقي عليهم، فإنَّ لك في ذلك أجرَ ما أنفقتِ عليهم»[(١)].

❋ ولعلَّ ريطةَ كانت تنفقُ على زوجِها وحماتِها وأولادِها، فأشغلوها عن الصَّدقة، فأخذتْ رخصةً من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإنفاقِ عليهم، واللهُ تعالى أعلمُ.

أُمُّ عَبْد في وجدان الصَّحابةِ:

❋ مع ابتسامةِ فجرِ الإسلام وإشراقِهِ على أُمِّ القرى، أشرقَ قلبُ الصَّحابيةِ أُمِّ عبدِ بالإيمان، فأسلمتْ، وكان ابنها عبدُ الله لا يزالُ غُلامًا، ولذلك فإنَّه يُنْسَبُ إليها أحيانًا، لأنَّ زوجَها قد ماتَ في زمنِ الجاهلية.

❋ كان ابنُها عبدُ الله من السَّابقين، وممن هاجر الهجرتين، ومن أذكياءِ علماء الصَّحابة[(٢)] ومشاهيرهم وأعيانِهم، وقد فَشَا علمُهُ بكثرةِ أصحابِهِ والآخذين عنه في الأَمْصَار، وكان لأُمِّه الفَضْل الأوفى في تربيتِهِ وتوجيهِهِ لما فيه النَّجاحُ والنَّجاةُ، والرِّيادةُ والسَّعادة.

---

(١) المعجمُ الكبير للطبراني (٢٤/ ٢٦٣-٢٦٥) برقم (٦٦٦و ٦٦٧و ٦٦٨و ٦٦٩و ٦٧٠)، والحديث صحيح. وانظر المسند بتحقيق شاكر برقم (١٦٠٣٠و ١٦٠٣١)، وطبقات ابن سعد (١٠/ ٢٧٤)، وأسد الغابة (٧/ ١٢٢)، والاستيعاب (ص٩٠٣)، والإصابة (٨/ ٨٩)، وغيرها.

(٢) اقرأ سيرته في الباب الأول من موسوعتنا: علماء الصحابة (ص٢٢١-٢٨١).

* اشتُهرت هذه الصَّحابيةُ باسم: أُمّ عبد على لسانِ العُلماء، ولسانِ الصَّحابة، فهذا الصَّحابيُّ النَّجيبُ اللبيبُ حذيفةُ بنُ اليمان[١] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقول: «لقد علمَ المحظوظون من أصحابِ محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّ ابنَ أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلةً يوم القيامة»[٢].

* وهذا الصَّحابيُّ اليمانيُّ الأنيقُ أبو موسى الأشعريُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان يظنُّ أنَّ أمَّ عبد من أهلِ بيتِ النُّبَّوة، فكيفَ كان ذلك؟

* أخرجَ أبو عبد الله البخاريُّ بسندهِ عن أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «قدمتُ أنا وأخي من اليمن، فمكثْنَا حينًا ما نرى إلا أنَّ عبدَ الله بن مسعود رجلٌ من أهلِ بيتِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لما نرى من دخولهِ، ودخول أُمِّه على النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[٣].

* ويتكرَّرُ اسمُ أُمِّ عبد على لسان فاروقِ الأُمَّةِ وعبقريها سيِّدِنا عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فاقرأْ هذه القبسةَ الفاروقيةَ المباركةَ عن عبدِ الله، وأُمِّه، قال سيِّدُنا عمرُ: «كنتُ مع رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومعه أبو بكر، ومَنْ شَاءَ اللهُ، فمررنا بعبدِ الله بنِ مسعود وهو يصلِّي، فقال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ هذا الذي يقرأُ؟**» فقيل له: هذا عبد الله ابنُ أُمِّ عبد: فقال: «**إنَّ عبدَ الله يقرأُ القُرآن غضًا كما أُنْزِل**»[٤]، وفي روايةٍ: «مَنْ سرَّهُ أنْ يقرأَ القُرآنَ رطبًا كما أُنزِلَ، فليقرأْهُ على قراءةِ ابنِ أُمِّ عبد»[٥].

* وحُفِظَ عن سيِّدنا عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قوله: «يرحمكَ اللهُ يابنَ أُمِّ عبد، أُوتيتَ من العِلْم غير قليل»[٦].

---

(١) اقرأ سيرة حذيفة بن اليمان في كتابنا: علماء الصحابة.

(٢) المعجم الكبير (٩/ ٨٦و ٨٧و ٨٨)، وتاريخ بغداد (١/ ٤٨٤)، وصفة الصفوة (١/ ٣٩٨و ٤٠٢).

(٣) أخرجه البخاريُّ في المناقب برقم (٣٧٦٣) وبرقم (٤٣٨٤)، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٣٣/ ٨٣).

(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ٩٦).

(٥) تاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ٩٧و ٩٨و ٩٩و ١٠٠و ١٠١و ١٠٢)، والمعجُم الكبير (٩/ ٦١و ٦٢)، وتاريخُ بغداد (١/ ٤٨١و ٤٨٢)، وطبقاتُ ابن سعد (٢/ ٢٩٦)، وصفةُ الصفوة (١/ ٣٩٩)، وغيرها.

(٦) تاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ١٤٩).

* أَجَلْ فسيِّدُنا عبدُ الله بنُ مسعود يُنسَبُ إلى أُمِّه، ويعرفُ بها أيضًا[١]، وكان يسمِّي نفسه: ابن أُمِّ عبد، كما جاء في الصَّحيح.

* أخرجَ مسلمٌ بسندٍ عن أبي وائل شقيقِ بن سَلمة[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «غدونا على عبدِ الله بنِ مسعود يومًا بعدما صلَّينا الغداة» إلى أنْ قال لهم ابنُ مسعود: «ظننتُم بآل أُمِّ عبدٍ غَفْلة؟»[٣].

ابنُ أمِّ عَبد:

* جرى ذِكْرُ أُمِّ عبد كثيرًا في أحاديثِ خيرِ البرية، فقد كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشيرُ إلى مكانتِها ومكانةِ ابنها في أكثر من مناسبةٍ، ومنها قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كنتُ مؤمِّرًا على أُمتي أحدًا من غيرِ مشورةٍ لأمَّرتُ عليهم ابنَ أُمِّ عبد**»[٤].

وكقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تمسَّكُوا بعهدِ ابنِ أُمِّ عبد**»[٥]، وقولِهِ: «إنِّي رضيتُ لأُمتي ما رضيَ لهم ابنُ أُمِّ عبد»[٦].

* ونلمسُ فيما رواهُ أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكانةَ ابن أُمِّ عبد عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قال: «خطبَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ أبو بكر، ثم عمرُ، ثم قال: «**يابنَ أُمِّ عبد، قُمْ فاخطُبْ**»، فقامَ فخطبَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أصابَ ابنُ أُمِّ عبد، وصدقَ،**

---

(١) الاستيعابُ (ص٩٥٦).

(٢) اقرأ سيرة شقيق بن سلمة في كتابنا: علماء التَّابعين.

(٣) أخرجه مسلمٌ برقم (٨٢٢)، و«ابن أمّ عبد» يعني نفسه، والنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّحابة كانوا يقولون لابن مسعود: ابن أُمّ عبد، وأمُّه: أمُّ عبد هُذَليَّةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) تاريخ مدينة دمشق (٣٣/ ١٠٥و ١٠٦و ١٠٧و ١٠٨).

(٥) العقدُ الثمين (٥/ ٢٨٤)، وتاريخُ بغداد (١/ ٤٨٤)، والمعجمُ الكبير (٩/ ٦٨)، وتاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ١١٩).

(٦) المعجمُ الكبير (٩/ ٧٧)، وتاريخ مدينة دمشق (٣٣/ ١٢٠).

رضيتُ ما رضيَ اللهُ لي ولأُمَّتي، وابنِ أُمِّ عبد، وكرهتُ ما كرهَهُ اللهُ لي، ولأُمَّتي، وابنُ أُمِّ عبد»[١].

* وفي روايةٍ أخرى تصرِّحُ بخطبةِ ابنِ أُمِّ عبد: «يابنَ أُمِّ عبد، قُمْ فاخطُبْ»، فقامَ ابنُ أُمِّ عبد، فَحَمِدَ اللهَ تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ ربُّنا، والقرآنُ إمامُنا، وإنَّ البيتَ قبلتنا، وإنَّ هذا نبينا، ثمَّ أومأَ بيده إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أصابَ ابنُ أُمِّ عبد وصدَقَ -مرتَيْن-، رضيتُ بما رضىَ اللهُ به لي ولأُمَّتي، وابن أُمِّ عبد، وكرهتُ ما كرهَ اللهُ لي ولأمتي، وابن أُمِّ عبد»[٢].

نَقلُهَا لِسُنَّةٍ نَبويَّةٍ:

* لهذهِ الصَّحابيةِ الكريمةِ أُمِّ عبد فَضْلٌ جسيمٌ على محبِّي السُّنَن النَّبويَّةِ، واتِّباع الشَّمائل المصطفويةِ، فقد عُرِفَتْ بِحُبِّ أهلِ البيتِ، وشُغِفَتْ بالعِلْم، فكانت تلزمُ نساءَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلًا، وتتعلَّمُ منهنَّ، وتُعلِّم ابنهَا وجماعةَ المؤمنين والمؤمنات ما تعلَّمَتْهُ.

* وثَّقَ ابنها عبدُ الله عملَها الطَّيِّب فقالَ: «كانت أُمِّي تكونُ مع نساءِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالليل، وكنتُ ألزمُهُ بالنَّهار»[٣].

* كما أنَّ أُمَّ عبد نقلَتْ صفةَ صلاةِ الوِتْر[٤] التي كان يصلِّيها نبيُّنا وحبيبُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. روى عنها ابنُها عبدُ الله بنُ مسعود أنَّها قالت: «رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَنَتَ في الوترِ قبل الرُّكوع»[٥].

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ٢٢١).
(٢) تاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ١٢١و ١٢٢).
(٣) تاريخُ مدينة دمشق (٣٣/ ٨٥).
(٤) «**صلاة الوتر**»: هي صلاة تُفْعَلُ ما بين صلاة العشاء وطلوع الفجر، تُختم بها صلاة الليل، سميت بذلك لأنها تُصلي وترًا، ركعة واحدة، أو ثلاثًا، أو أكثر، ولا يجوز جعلها شفعًا، والوتر: بفتح الواو وكسرها.
(٥) أسد الغابة (٧/ ٣٥٢).

* رغبَ ابنُها عبدُ الله أنْ يأتيَ برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاةِ الوتر، فبعثَ أُمَّه إلى البيتِ النَّبوي، ودخلَتْ على أُمَّهات المؤمنين، ورأت كيفَ صلى النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الوتر.

* فَلْنَشهدْ هذه الصَّلاةَ المباركةَ، ونتعلَّمْها، كما رواها ابنها عبدُ الله، قال: «أرسلتُ أُمِّي ليلةً لِتَبيتَ عندَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتنظرَ كيفَ يُوتر، فباتَتْ عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلَّى ما شاءَ اللهُ أنْ يصلِّيَ، حتى إذا كان آخر الليلِ، وأرادَ الوترَ قرأَ بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] في الرَّكعةِ الأولى، وقرأَ في الثَّانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، ثمَّ قَعَدَ، ثمَّ قامَ، ولم يفصلْ بينهما بالسَّلام، ثم قرأَ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤] حتى إذا فرغَ كبَّر، ثمَّ قَنَتَ، ودعا بما شاءَ اللهُ أنْ يدعوَ، ثم كبَّرَ، وركَعَ»[1].

* وأخرجَ ابنُ أبي شيبةَ عن علقمةَ عن عبدِ الله بنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقنُتُ في الوتر قبلَ الركوع. قال: ثمَّ أرسلتُ أُمِّي أمَّ عَبْدٍ، فباتَتْ عند نسائِهِ، فأخبرتني أنَّه قَنَتَ في الوترِ قبلَ الرُّكوع»[2].

أزفَ الرَّحيلُ:

* حظيَتْ أمُّ عبد الله بن مسعود بمكانةٍ جيّدةٍ عند سيدنا عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد ذكروا أنَّه فرضَ للنِّساء المهاجرات في ألفَين ألفَين، منهنَّ أمُّ عبد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[3].

---

(١) الاستعيابُ (ص٩٥٦)، والإصابة (٨/ ٢٥٧)، وقال ابن حجر: «وهذا سندٌ ضعيف جدًّا من أجلِ أبانَ ابنِ أبي عياش الراوي عنه».

(٢) المصنَّفُ لابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٥) برقم (٦٩٨٤)، وانظر: ذيول تاريخ الطبري (ص٦٢٣).

(٣) المعجمُ الكبير (٢٥/ ١٧٤) برقم (٤٢٦)، وانظر: الإصابة (٨/ ٢٥٧)، وأسد الغابة (٧/ ٣٥٢)، وغيرها كثير.

* وفي ظلالِ الخلافةِ الراشدةِ ظلَّتْ أمُّ عبد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تنعُم تحت أفيائِها، وقد أكرمَ الخلفاءُ الراشدون مثْواها، وعرفُوا قَدْرها، وأَوْلَوها كلَّ اهتمام. وإذا تطرَّقْنا إلى عالم ناقلاتِ الحديثِ فإنَّ الصَّحابيةَ أُمَّ عبد واحدةٌ من رواياته، روتْ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عنها ابنُها عبدُ الله بنُ مسعود[1].

* عاشَتْ أمُّ عبدٍ تعملُ بما تعلَّمَتْه في بيتِ النُّبوة، وربَّت وَلدَيها وحفيدَها ومَنْ حولهَا على هذه الخصالِ الحميدة، وظلت حالهُا طيبةً إلى أنْ توفاها اللهُ إبَّان خلافةِ سيِّدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللهُ تعالى أَجَلُّ وأعلمُ.

* رضي الله عن أُمِّ عبد الصَّحابيةِ العالمةِ المربيةِ، وأُمِّ الصَّحابين العَالِمَيْن، وجدَّةِ الصَّحابي العَالِمِ، وحَماةِ الكَنَّة العالمةِ العاملةِ ورضيَ الله عن أصحابِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللهمَّ هَبْنَا لهم، واغفرْ لنا، فإنَّنا مُقَصِّرون، وإلى عفوكَ مفتقرون.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥].



(١) أعلام النساء (٣/ ٢٣٥).

أُمُّ عثمانَ بن طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

ꕥ مربيةٌ ناجحةٌ، علمت ابنها أصول المروءة والوفاء.

ꕥ قصَّتُها متداولةٌ في كتب الحديث ومصادر السيرة.

ꕥ ابنُها عثمانَ صاحبُ مفتاحِ الكعبةِ المشرَّفة.



أُمّ عثمان بن طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

متى نَعِمَتْ بالهداية؟

* قال فاروقُ الأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يعرفُ الإسلامَ مَنْ لمْ يعرفِ الجاهلية»، هذه تَجرِبةٌ عُمريةٌ ميمونةٌ صدرَتْ عن بصرٍ وبصيرةٍ نفَّاذةٍ، وخبرةٍ واعيةٍ أَخَّاذةٍ، فكثيرٌ من أصحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -رجالًا ونساء- تبيَّنُوا حقيقةَ الدِّينِ الحنيفِ ورشْدَه؛ بعد أنْ رقُدوا زمنًا طويلًا في منعرجاتِ الجاهليَّة، ولما فاوؤا إلى دينِ الله واستبانُوا نُصْحَه أبدعُوا، وخلَّفُوا آثارًا قيمةً لا نزالُ ننعمُ في ظلالِ بساتينها؛ نداعبُ رياحينَها وأزاهرهَا، ونجني من ثمارِها اليانعةِ ما تتغذَّى به النُّفوسُ والأرواحُ.

* ومن رياضِ الصَّحابة المُستطابة، وحدائقهم الغُلْب، نستجمُّ مع قصَّةِ أُمٍّ من الأُمَّهات النَّبيلات، دخلَ الإيمان قلبهَا بعد عشرين عامًا من البعثةِ النَّبويَّة، وكانت خلالَ تلك السَّنوات تتخبَّطُ في غياهبِ الشِّرك وظلماتِهِ، ولما أشرقَ نورُ الإسلام في قلبِها؛ صارت تكثرُ من الحمْدَلَةِ والسَّبحْلَة، وتشكرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ هداهَا إلى الدِّينِ القيمِ، في حينِ أنَّ كثيراتٍ ممن عاصرَنْها ظللنَ مُشْركاتٍ، ولم يذُقْنَ حلاوةَ الإيمان، فَخِبْنَ وخسرن[1].

(١) من العجائبِ العاجبةِ ما ذكرَهُ الكلبيُّ قال: «لما ماتَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَمتَ به - أو: سمعَ بموته- نساءُ كندةَ وحضرموت، فخضَبْنَ أيديهنَّ، وأظهرْتَ السُّرورَ لموتهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضربْنَ بالدفوفِ، فقال رجلٌ منهم:

أَبْلِغْ أبا بكْر إذا ما جئْتَه ... أنَّ البَغَايا رُمْنَ كُلَّ مَرامِ
أظْهرَنَ من موتِ النَّبيِّ شمَاتةً ... وخَضَبْنَ أيديهنَّ بالعنَّامِ
فاقْطَعْ هُدِيتَ أكفهُنَّ بِصَارمٍ ... كالبرقِ أومضَ في مُتُون غمامِ

فكتبَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المهاجر بنِ أبي أميةَ المخزوميِّ -وهو أخو أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين لأبيها وأمّها- عاملَه، فأخذهنَّ، وقطعَ أيديهنَّ. (الآداب الشَّرعية ١/ ٣٣٩)، (ربيع الأبرار ٣/ ٣٨٠) مع الجمع بينهما والتصرف اليسير!!!.

❊ فلندخلْ واحةَ الصَّحابة، لنلتقيَ السَّيدة؛ سُلافةَ بنتَ سعدٍ بنِ شهيدٍ الأنصاريَّةِ، وهي من الأوسِ، وابنها: عثمانُ بنُ طلحة العبدريُّ، قال ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُلافةُ بنتُ سعد الأنصاريَّةُ؛ والدةُ عثمانَ بنِ طلحةَ»[1].

وقال ابنُ سعد في ترجمةِ ابنها عثمان: «وأُمُّهُ: السُّلافَةُ الصُّغرى بنتُ سعد بنِ شهيد، من بني عمرو بن عوف من الأنصار»[2]. بينما سمَّاها الطَّبرانيُّ: «أُمَّ سعيد بنتُ شهيد من بني عمرو بن عوف من أهل قباء الأنصار[3].

❊ كان لسلافةَ أولادٌ غير عثمان، وهم: أمُّ مسافع، والحارثُ، وكلابُ، وجُلاسُ بنو طلحة بن أبي طلحة[4]»، وذكرَهم ابنُ هشام في سباقِ كلامهِ عن النِّساء اللاتي خرجْنَ يومَ أُحُدٍ مع المشركين، فقال: «..... سلافةُ بنتُ سعد بن شهيد الأنصاريَّةُ، وهي أُمُّ بني طلحة: مسافعٌ، والجلاسُ، وكلابُ، قتُلِوُا يومئذٍ هم وأبوهم.....»[5]. وقال ابنُ قتيبةَ وغيرهُ: «وقُتلوا جميعًا يومَ أحد، إلا عثمانَ بنَ طلحة، فإنَّه أسلمَ، ودفعَ إليه النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفتاحَ الكعبة، وابنه: شيبةُ بنُ عثمان، وفي ولدهِ المفتاح إلى يومنا هذا»[6].

تربيتُها ابنَها على المُروءَةِ:

❊ عنيتْ أُمُّ عثمانَ بن طلحة بمكارمِ الأخلاق، ووَعَتْ أهميَّةَ التَّربيةِ القويمةِ في مجتمعها، وعلى الرِّغمِ من تفشِّي بعضِ العاداتِ المذمومة؛ إلا أنَّ كثيرًا من محاسنِ الشَّمائل متأصِّلَةٌ في النِّساء القرشيَّات والعربيات، ومنهنَّ سلافة التي أَولتْ ابنهَا عثمان كلَّ

---

(١) الإصابةُ (٨/ ١٠٩)، وانظر: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام (ص٢٥٨)، وسُلافةُ على وزن ثُمامة؛ وانظر: الدّرر في اختصار المغازي والسير (ص١٥٩و ١٦٠).

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ١٥).

(٣) المعجمُ الكبير (٩/ ٥٣).

(٤) المغازي (ص٢٠٢).

(٥) السِّيرةُ النبوية (٢/ ٦٢).

(٦) المعارفُ (ص٧٠)، والاشتقاق (ص٩١).

رعايةٍ، فكان من ذوي المروءاتِ وأُولي النَّخوة والنَّجدة، وكان شريفًا ذا صِنَاعةٍ، ففي فَصْل «صِناعَات الأشراف» أشارَ ابنُ قتيبة إليه فقال: «وكان عثمانُ بنُ طلحة الذي دفَعَ إليه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفتاحَ البيتِ -الكعبة- خيَّاطًا»[1].

* ما غادرتْ مكارمُ الأخلاق مخيِّلَةَ هذه الأُمِّ، وكانت تحضُّ ابنها على سلوكِ سُبُلِ المروءةِ والوفاء مع كونهما لا يزالان على الكُفْر.

* عرضَتِ المصادرُ المتنوعةُ من مكنوناتها إحدى صور المروءةِ النَّادرة لابنِ سُلافةَ، حينما بلَّغَ أُمَّ سلمةَ وطفْلَها المدينةَ المنوَّرةَ أيَّامَ الهجرة، وها هو الفاسيُّ بكشفُ اللثامَ عن أثرِ تربيةِ سلافةَ في ولدِها عثمانَ فيقولُ: «وكان ذا مروءةٍ، وله خبرٌ عجيبٌ في ذلك، روتْه أُمُّ سلمةَ أنَّها لما خرجَتْ مهاجرةً إلى المدينةِ، خرجَ معها رجلٌ من المشركين، وكان ينزلُ بناحيةٍ منها إذا نزلَتْ، ويسيرُ معها إذا سارتْ، ويُرحِّلُ بعيرهَا، ويتنحَّى إذا ركبتْ، فلمَّا رأى نَخْلَ المدينةِ؛ قال لها: النَّخلُ الذي تريدين، ثم سلَّم عليها وانصرفَ، وهذا الرجلُ هو عثمانُ بنُ طلحة الحجبيُّ»[2].

* وقال ابنُ عساكر: «.... وهو الذي بلَّغَ بأُمِّ سلمةَ المدينةَ حين هاجرت، فأثنَتْ عليه أمُّ سلمة، فقالت: ما رأيتُ صاحبًا أكرمَ من عثمانَ»[3].

* انسكبَ ثناءُ أُمِّ المؤمنين أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على عثمانَ بنِ طلحة، وأشارَتْ إلى خُلُقِهِ السَّامي، فقالتْ من حديثِ هجرتها: «..... خرجْتُ أريدُ زوجي بالمدينةِ، وما معي

(١) المعارفُ (ص٥٧٥).

(٢) العقدُ الثمينُ في تاريخ البلد الأمين التقي الدِّين الفاسيِّ المكيِّ (٦/ ٢٣)، تحقيق فؤاد سيِّد، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وذكر الفاسيُّ فوائد جمة تتعلَّقُ بالحجابة وأهلها، فقال ما خلاصتُه: «الحجابةُ منصبُ بني شيبة، ولّاهم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياها..... ولا يجوزُ لأحدٍ أنْ ينزعَها منهم» (العقد الثمين ٦/ ٢٣) بتصرف يسير.

(٣) تاريخ مدينة دمشق (٣٨/ ٣٨٢).

أحدٌ من خَلْقِ الله، فقلتُ: أتبلَّغُ بمَنْ لقيتُ حتَّى أقدمَ على زوجي، حتى إذا كنْتُ بالتَّنعيم -موضع بين مكَّة والمدينة- لقيتُ عثمانَ بنَ طلحة، فقال: إلى أينَ يا بنْتَ أبي أميَّة؟ فقلتُ: أريدُ زوجي بالمدينةِ، قال: أوَ مَعَكِ أحدٌ؟ فقلتُ: لا والله، إلا الله؛ وبُنيَّ هذا، قال: والله ما لكِ من مَتْرك، فأخذَ بخطامِ البعير، فانطلقَ معي يهوي بي، فوالله ما صحبتُ رجلًا من العَرب قطّ، أرى أنَّه كان أكرمَ منه، كان إذا بلغَ المنزلَ أناخَ بي، ثمَّ استأخرَ عنِّي، حتَّى إذا نزلتُ استأخرَ ببعيري، فحطَّ عنه، ثم قيَّده في الشَّجرة، ثم تنحَّى عنِّي إلى شجرةٍ، فاضطجَع تحتها، فإذا دنا الرَّواحُ، قامَ إلى بعيري فقدَّمه فرحَّلَه، ثمَّ استأخرَ عنّي، وقال: اركبي، فإذا ركبتُ واستويتُ على بعيري؛ أتى فأخذَ بخطامِهِ، فقاده، حتى ينزلَ بي، فلم يزلْ يصنعُ ذلك بي حتى أقدمَني المدينةَ، فلمَّا نظرَ إلى قريةِ بني عمرو بنِ عوف بقباء، قال: زوجُك في هذه القريةِ -وكان أبو سلمة نازلًا بها- فادخُليها على بركةِ الله، ثمَّ انصرفَ راجعًا إلى مكَّة.... فوالله ما رأيتُ صاحبًا قطّ كان أكرمَ من عثمانَ بنِ طلحةَ»[1].

* إنَّ هذه الشَّمائلَ العظيمةَ، والخلائقَ الكريمةَ، من أرفعِ الأخلاق، وقد اقتبسَها عثمانُ من أُمِّه سُلافةَ.

على مَسْمع سُلافة ومَرْآها:

* أزفَ خروجُ مشركي قريش إلى أُحُدٍ، فخرجَتْ سُلافَةُ مع ذويها، وخرجت ثلةٌ من النِّسوة لأجلِ الحفيظةِ والثَّبات، وكُنَّ خمسَ عشْرةَ امرأةً، وكانت سلافةُ مع زوجِها طلحة بنِ أبي طلحة الحجبيِّ، وأولادِها، وجميعهم مُتورِّمُون بالأكاذيبِ الفاجرة، والعَداءَات السَّافرة؛ للإسلامِ ولأهلِهِ، ولأقاربهم ممن هُدِيَ إلى صراطِ العزيزِ الحميد.

* وكانت سلافُة ونساءُ المشركين -قبل التقاء الجمعين- أمامَ صفوفهم، يضربْنَ بالأكْبَار والدِّفافِ والغَرابيل، ثم يرجعْنَ، فيكُنَّ في مؤخَّر الصَّف، فإذا دنا القُومُ بعضُهم

---

(١) السيرة النبوية (١/ ٤٦٩ و٤٧٠).

من بعض، تأخَّر النِّساءُ؛ وقُمْنَ خَلْفَ الصُّفوف، فجعلْنَ كلَّما ولَّى رجلٌ حَرَّضْنَه وذكَّرنَهُ قتلاهم ببدرٍ، وكان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سمَع قولهنَّ قال: «اللهمَّ إنِّي بكَ أجولُ وأصولُ، وفيك أقاتلُ، حسبي اللهُ ونعْمَ الوكيل»(١).

* أما زوجُها طلحةُ فكان يحملُ لواءَ المشركين، ولما قامتِ الحربُ على ساقِها، صاحَ: «مَنْ يبارز؟» فبرزَ له صنديدُ الإسلام ويعسوبُه سيدنا عليُّ بنُ أبي طالب، وتَصَاوَلا بين الصَّفَيْن، وبادره سيُّدنا عليٌّ بضربةٍ هاشميَّةٍ على رأسِهِ، فَلَقَ هامتَه، فخرَّ صريعًا لليَدْينِ وللفَمِ....

* لكنَّ ابنَ كثير روى أنَّ زوجَ سلافةَ طلحة، دعا يوم أُحُدٍ إلى البرازِ -وكان حامل لواء المشركين- فأحجمَ عنه النَّاس، فبرزَ إليه سيِّدنا الزُّبيرُ بنُ العوام، فوثَبَ وثبةً صارَ معه على ظَهْر جَمَلِةِ، ثمَّ رماه أرضًا، وذبَحَهُ بسيفِهِ، فأثنى عليه ابنُ خالِهِ الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «إنَّ لكلِّ نبيٍّ حواريًا وحواريّ الزُّبير». وقال: «لو لم يبرزْ إليهِ لَبَرزتُ أنا إليهِ لِما رأيتُ من إحجامِ النَّاسِ عنه».

* نظرتْ سلافُة لما انجلى الغبار فرأَتْ مصرعَ زوجها الذي كان كبشَ الكتيبة، وكبَّرَ لمقتله النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين معه سرورًا بذلك، وكان أخوه عثمانُ بنُ أبي طلحة العبدريُّ قد رفعَ اللواء من الأرض، فحملَ عليه أسدُ الله سيِّدُنا حمزةُ؛ وضَرَبَهُ ضربةً عظيمةً على كاهله، فقطعَ يدَهْ وكتفَهُ حتَّى انتهى إلى مؤتَزره، وبدأ سَحْرَهُ، ورجعَ وهو يقولُ: «أنا ابنُ سَاقَي الحجيج».

* ثمَّ حملَ اللواءَ أخوهما: أبو سعد بنُ طلحة، فرماهُ سيِّدنا سعدُ بنُ أبي وقَّاص بِسَهمٍ، فأصاب حَنْجَرته، فأَدْلَع لسانَه ادَّلاعَ الكلْبِ العقور، فقتلَه، فَسَقَطَ اللواءُ صريعًا مع حامله.

---

(١) إمتاع الأسماع (١/ ١٣٩و ١٤٠) بتصرف يسير.

* كانت سلافةُ ترى مصرع ذويها واحدًا تلوَ الآخر، فخرجَ ابنُها كلابُ بنُ طلحة، فتناولَ اللواء فجندلَه الزُّبيرُ بنُ العوام، ثم حمَلَ اللواءَ ابنُها الآخر الجلاسُ بنُ طلحة، فألحقَه سيِّدنا طلحةُ بنُ عبيد الله بأخيهِ كلاب وقَتَله، وهكذا تتابَعُ حَمَلَةُ اللواء في مصارعهم، وكانوا كلّهم فُرسَانًا، ولم يبقَ حاملًا للوائهم إلا عبدٌ أسودُ لهم يدعى: صؤاب، فقاتلَ به حتى قُتِل[1]، فقال سيدنا حسان بن ثابت يهجو بني عبد الدار ويعيرهم بأن لواءهم لم يجد مَنْ يرفعُه ويقاتلُ به إلا غلامٌ أسودُ من غلمانهم، وقد نكلُوا عنه جميعًا جُبْنًا ورعبًا:

فَخَرتُّم باللواءِ وشرُّ فَخْرٍ ... لِواءٌ حينَ رُدَّ إلى صُؤاب

جَعَلتُم فخرَكُمْ فيهِ لعبدٍ ... مِنْ الأَمِ مَنْ يَطا عَفْر التُّراب[2]

* وهكذا قُتِلَ المشركون حَمَلَةُ اللواء واحدًا إِثْر واحدٍ، وكانوا ثمانية كلُّهم من أبطالِ العبدريين الطَّلحيين، وأكثرهم من ولدِ عثمانَ بنِ أبي طلحة، وهذا جميعُه كان على مسمعِ سلافةَ ومرآها.

النَّذْرُ السُّلافيُّ العَجيب:

* روى ابنُ إسحاق وغيرُهُ أنَّ سيّدنا عاصمَ بنَ ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريَّ الأوسيَّ، قد قَتَلَ مسافعَ بنَ طلحة وأخاه الجلاسَ أو الحارثَ، كلاهما رماهُ عاصمٌ بِسَهمٍ فما أخطأَ فؤادَهُ، فيأتي أُمَّه سلافةَ، فيضعُ رأْسَه في حجرها، فتقول: يابنيّ مَنْ أصابك»؟ فيقول: «سمعتُ رجلًا حين رمَاني وهو يقولُ: خُذْها وأنا ابنُ الأقلح» فنذَرَتْ إنْ

(١) نهاية الأرب للنويري (١٧و ١٨/ ٦٨).

(٢) شرحُ ديوان حسان بن ثابت (ص٦٢) للبرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٤٧هـ -١٩٢٩م، وانظر: إمتاع الأسماع (١/ ١٤٣و١٤٤). وصؤاب هذا لم يُقْتَل بيد مسلم، وإنَّما قتلَه قُزمان الذي خرجَ وهو كافرٌ مع المسلمين يقاتل حمية عن أحساب قومه، لا للإسلام، وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ قزمان من أهل النار، فمات قزمان منتحرًا.

أمكنهَا اللهُ من رأسِ عاصم أنْ تشربَ فيه الخمر!!! وكان عاصمُ قد عاهدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن لا يمسَّ مشركًا أبدًا، ولا يمسَّه مشرك[١].

* تركتْ غزاةُ أُحدٍ جرحًا غائرًا في قَلْبِ سلافةَ، حيثُ قَتَلَ عاصمُ بنُ ثابت لها ابنَيْن في يومٍ واحد، وكانت تقولُ: «لئن قدرتُ على رأسِ عاصم هذا لأشربنَّ الخمر في قَحفِهِ....»!!!

* صاغَ ابنُ الجوزي نَذْرَ سلافةَ لما تعرَّض لترجمة عاصم فقال: «...... وكان من الرُّماة المذكورين، وقَتَلَ يوم أُحدٍ من أصحاب ألويةِ المشركين: مُسَافعًا والحارثَ، فَنَذَرَتْ أُمُّهما سلافةُ بنتُ سعد أنْ تشربَ في قَحْفِ -رأسِ- عاصم الخمرَ، ونذرتْ لمن جاءَ برأسهِ مئة ناقة....»[٢].

* أرأيتم هذا النَّذرَ النَّادرَ الغريب؟ حقًّا إنَّ بعضَ النِّساء المشركات يكُنَّ أشدَّ قسوةً من الرجال، إذا تمكَّن الغِلُّ من قلوبهنَّ، وقد يكُنَّ أكثرَ حقدًا، ولا سيَّما في مضمارِ الثَّأْر، فيبذلْنَ الحليَّ والمالَ وكلَّ شيءٍ في سبيلِ تحقيق نذرهنَّ.

هَلْ تحقَّقَ نَذْرُ سُلافةَ؟

* مكَثَتْ هذه المرأةُ الموتُورةُ حينًا من الدَّهْرِ تنتظر أنْ يتحققَ نذرُها؛ ولكنَّ أمانيَّها تلاشَتْ، ولم يتحقَّقْ نذرُهَا، والسُّطورُ الآتيةُ تشفُّ عمَّا ذكرناه.

* أوردتْ مصادرُ شتى أنَّه: «قدمَ ناسٌ من بني هُذيل على رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فسألوه أنْ يوجِّه معهم مَنْ يعلِّمهم، فوجَّه عاصمًا في جماعة، فقال لهم المشركون: استأسِروا فإنَّا لا نريدُ قَتْلكُم، وإنَّما نريدُ أنْ نُدخلَكم مكَّة فنصيبَ بكم ثمنًا، فقال عاصم: لا أقبلُ

---

(١) السيرةُ النبويةُ (٢/ ٧٤)، والمنتظمُ (٣/ ٢١٢) مع الجمع والتصرف، وانظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٤٢٨).

(٢) المنتظمُ لابن الجوزي (٣/ ٢١٢).

جوار مشرك، فجعل يقاتلهم حتَّى فنيتْ نبله، ثمَّ طاعَنَهم حتى انكسرَ رمحه، فقال: اللهمَّ إنِّي حميتُ دينَكَ أوَّلَ النَّهار، فَاحْمِ لي لحمي آخره، فجرحَ رجلَيْن وقَتَلَ واحدًا، وقتلُوه وأرادوا أنْ يحتزّوا رأسَه، فبعثَ الله الدَّبْرَ فَحَمَتْهُ، ثمَّ بعثَ اللهُ سيلًا في الليل فحملته، وذلك يوم الرَّجيع[١].

* رثى سيِّدنا حسَّانُ بنُ ثابت أصحابَ الرجيع، وختم قصيدته في رثاءِ عاصمِ بنِ ثابت، فقال:

والعَاصمُ المقتولُ عند رجيعهم ... كَسَب المعالي إنَّه لكَسُوب[٢]

* وأفادَ ابنُ هشام وغيره فقالوا: «كان عاصم قد أعطى الله عهدًا أن لا يمسّه مشركٌ، ولا يمسّ مشركًا أبدًا تنجُّسًا، فكان عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ حين بلغه أنَّ الدَّبْرَ منعته: يحفظُ الله العبد المؤمن، كان عاصم نَذَرَ ألا يمسَّه مشركٌ، ولا يمسُّ مشركًا أبدًا في حياته، فمنعَهُ اللهُ بعد وفاتِهِ، كما امتنعَ منه في حياتِهِ»[٣].

* لقد كانت سلافةُ حينذاكَ صاحبةَ نذرٍ غريبٍ في التَّاريخ النِّسويِّ، وصاحبةَ مزاجٍ عجيب، ولكنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يحقِّقْ نْذَرها -بل هداها فيما بعد لدينِهِ الحنيف- فتعالوا نشدو بهذه الهمسة اللطيفةِ التي تعانقُ الأسماءَ لتحكيَ قصَّة سلافة ونذرها الآثم:

المُشْركونَ لقد أرادوا رأْسَ عاصم طالبين

ليقِّدموهُ إلى سلافةَ أختِ نذرِ الفَاسقين

كيما توفِّي نذرَها يابئسَ نَذْرَ المجرمين

---

(١) المنتظمُ (٣/ ٢١٢)، وأسدُ الغابة (٣/ ١٠٨)، وإمتاعُ الأسماع (١/ ١٨٥)، والجليسُ الصالح (٤/ ٦٦-٦٨)، وطبقاتُ ابن سعد (٣/ ٤٢٨و ٤٢٩). وكان يوم الرجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة النَّبوية، واللهُ تعالى أعلم.

(٢) شرحُ ديوان حسَّان (ص٢٩).

(٣) السيرة النبوية (٢/ ١٧١)، وانظر: فتح الباري (٧/ ٣٨٤).

نــذَرَتْ لـتـشْـرَبَ خمـرةً في رأسِ أَحَـدِ المؤمنين

في رأسِ عـاصـم عـاقـلٍ أولادهــا في الهالكين

الـغـادرون لـقـد أرادوا الـسُّـور بالمستشهدين

جاؤوا لقطعِ الرأسِ من جَسَدِ الشَّهيد مشوهين

كـي يـرسـلـوهُ إلى سلافـةَ مـن أشـرِّ النَّاذرين

وجـدوا بـأنَّ الـدَّبْـر تمنعهُم كـجـنْـدٍ حارسين

اللهُ أكـرمَ عاصمًا مـن مـسِّ أيـدي المُشركين

الـسَّـيلُ يحـمـلـهُ ويـذهـبُ ضَـلَّ كيـد الكافرين

هَديَّةٌ حسَّانيَّةٌ لسلافةَ:

* ما غادرتْ سلافةُ أُمُّ عثمانَ مكَّة، وظلَّتْ ماكثةً قرب البيتِ العتيق، فابنُها من حَجَبةِ الكعبة، ومن أشرافِ بني عبد الدار. وكان البيتُ السُّلافيُّ من البيوتِ العريقةِ المرموقة، وربما يقصدُهُ بعضُ النَّاس ليجدوا فيه الحِماية، لذلك قَدِمَ إليها رجلٌ من المدينةِ، فآوتْهُ، ولما علمت بحقيقتِهِ طردته.

* وقصَّةُ هذا الرجل ساقَتْها مصادرُ متعددةٌ ومفادُها: «أنَّ بُشَيرَ بنَ أُبيرق أبا طعمة الظَّفريَّ سرقَ درعَ حديدٍ في المدينةِ، فأقبلَ رجالٌ منْ قومه من الأنصار، فعذروهُ عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذبوا عنه، وكان الصَّادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حلفَ له أحدٌ صدَّق، فأنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥].

وكان بُشَيرُ رجلًا منافقًا يهجو أصحابَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينْحَلُ الشِّعْر غيره، فيقولُ المسلمون: والله ما هو إلا شِعْرُ الخبيثِ، فقال شعرًا يتنَصَّلُ فيه، ومنه قوله:

أوَ كُـلَّـمـا قَــالَ الـرِّجـالُ قصيدةً نُـحِـلَـتْ وقـالـوا ابـنُ الأُبــيرق قالها

وطرحَ ابنُ الأبيرق الدِّرعَيْن في منزلِ يهودي ليبرأَ منهما، ويُؤْخذَ بهما اليهوديُّ، فلمَّا أنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الآية، فَرَقَ وخافَ أنْ يُقامَ عليه الحدُّ؛ وتُقطعَ يدُهُ، فهربَ، ولحقَ بمكة، فنزلَ على سلافةَ بنتِ سعد بن شهيد الأنصاريَّة أمّ عثمان بن طلحة، فبلغَ ذلك حسَّانَ بنَ ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال أبياتًا يُعرِّضُ فيه بها، ومنها:

وما سَارقُ الدرعَيْن إنْ كنْتَ ذاكرًا ... بذي كَرَم منَ الرِّجال أُوَادِعُه

فقد أنزَلَتْهُ بنتُ سعدٍ فأصبحتْ ... ينازِعُها جِلْدَ اسْتِها وتنازِعُه

ظننتمُ بأنْ يخفى الذي قد صَنَعتُمُ ... وفينا نَبيٌّ عنده الوحيُ واضعه

فلمَّا بلغَتْها مقالة حسَّان فيها قالت لبُشَير: قبَّحكَ اللهُ إنَّما أَهديتَ إليَّ شِعْرَ حسَّان!! ما كنتَ تأتيني بخير. ثم أخذَتْ رحله، فوضعَتْه على رأسِها، ثم خرجَتْ به فرمَتْه خارجَ المنزل في الأبطح، فهربَ إلى خيبر، وارتدَّ، ثمَّ إنَّه نَقَبَ بيتًا ذاتَ ليلةٍ ليسرقَ، فسقَطَ الحائطُ عليه فماتَ مرتدًا»(١).

أُمُّ عثمانَ ومفتاحُ الكَعْبة:

* مكثَتْ سلافةُ أمُّ عثمان على شركها إلى أيامِ فتحِ مكَّة، ثمَّ مَنَّ اللهُ عليها بالإسلام، فدخلَتْ في دين الله مع أفواج الدَّاخلين، وبايَعتْ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

---

(١) شرحُ ديوان حسَّان بن ثابت (ص٢٧١و ٢٧٢)، وتفسيرُ القرطبي مع الجمع بينهما والتصرف اليسير. وانظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٦٢- ٤٧٠). والتَّحرير والتنوير (٥/ ١٩١و ١٩٢) وتفسير الدر المنثور (٤/ ٦٧٨-٦٨٨)، وتفسير قطف الأزهار في كسف الأسرار للسّيوطي (ص٤٧٦و ٤٧٧) تحقيق د. أحمد الحمادي، وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، وتاريخ مدينة دمشق (٤٩/ ٢٧٠-٢٧٢). والجليس الصالح (٢/ ٣٤٨-٣٥١) وغيرها كثير جدًّا. ومعنى قوله «أُوَادعُهْ»: من الموادعةِ، والتَّوارع شبه المُصَالحة والتَّصالح، وحقيقة الموادعة: المُتاركة، يريد أتركه فلا أهجوه. و «نبت سعد»: سلافةُ والدةُ عثمان بن طلحة. و«واضعه»: يعني مقيمُه ومبلّغه.

(٢) انظر: المحبّر لابن حبيب (ص٤١٠) بشيء من التَّصرُّف.

* ولأُمِّ عثمانَ قصَّةٌ شائقةٌ مشهورةٌ تتعلَّقُ بمفتاح الكعبةِ المشرَّفة، رواها عبدُ الله ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أقبلَ رسولُ الله أصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامَ الفتح، وفيه: ثم دعا عثمانَ بنَ طلحة، فقال: «ائتني بالمفتاح» فذهبَ إلى أمّه، فأبتْ أنْ تعطيَه....» الحديث[1].

* وفي صحيحِ مسلمٍ عن سيِّدنا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أقبلَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامَ الفتح؛ على ناقةٍ لأسامةَ بنِ زيد، حتَّى أناخَ بفناء الكعبةِ، ثم دعا عثمانَ بن طلحةَ، فقال: «ائتني بالمفتاح» فذهبَ إلى أُمِّه، فأَبتْ أنْ تُعطَيه، فقال: والله لَتُعْطِينِهِ أو ليخرجنَّ هذا السَّيف من صلبي، قال: فأعطَنْهُ إيَّاه، فجاء به إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فدفَعَه إليه، ففَتَحَ البابَ»[2].

يا بُنيَّ خُذِ المفْتَاح:

* امتدَّتْ قصَّةُ أُمِّ عثمان ومفتاح الكعبة، لتشملَ جوانبَ ومساحات من كتبِ مُؤرِّخي الإسـلام، حيثُ قالوا: «انـصرفَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجلسَ ناحيةً من المسجدِ، والناسُ حولهَ، ثم أرسلَ بلالًا إلى عثمانَ بنِ طلحةَ يأتيه بالمفتاح، فجاءَهُ بلالٌ؛ فقال: إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمُركَ أنْ تأتيَ بمفتاحِ الكعبة، قال عثمانُ: نَعَم، فخرجَ إلى أُمِّه، ورجعَ بلالٌ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره أنَّه قالَ نعم، ثمَّ جلسَ بلالٌ مع النَّاس، فقال عثمانُ لأُمِّه: -والمفتاح يؤمئذٍ عندها- يا أُمّه، أعطني المفتاحَ، فإنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أرسلَ إليَّ، وأمرني أنْ آتي به إليه، فقالت أُمُّه: أعيذُكَ بالله أنْ تكونَ الذي تذهب مَأْثرةُ قومهِ على يديه، قال: فوالله لتدفعيهِ أو ليأتينَّك غيري فيأخذه منك، فأدخلَتْه في حُجزتها، وقالت: أيّ رجلٍ يدخلُ يدَهُ ههنا؛ فبينما هما على ذلك وهو يكلِّمُها إذ سمعَتْ صوتَ أبي بكر؛ وعمرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الدَّار، وعمرُ رافعٌ صوتَه حين رأى

---

(١) المستفادُ من مبهمات المتن والإسناد (ص١٢٨٧و ١٢٨٨) خبر رقم (٤٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (١٣٢٩/ ٣٩٠).

إبطاءَ عثمانَ: يا عثمانُ اخرجْ، فقالت أمُّه: يابُنيَّ خُذِ المفتاحَ؛ فإنْ تأخذْهُ أَنْتَ أحبّ إليَّ من أنْ تأخذَه تَيْمٌ؛ وعَدِيٌّ، قال: فأخذَه عثمانُ، فأتى به رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَاوَلَهُ إيَّاهُ، فلمَّا ناولَهُ إيَّاه فتحَ الكعبة.....»[1].

* وتفيدُ روايةٌ أخرى بأنَّ سلافةَ مَاطَلَتْ في دفْعِ المفتاح، وظنَّتْ بأنَّه خرجَ من أيديهم، ولكن كان الأمرُ خلافَ ذلك، فلنقرأْ مفادَ الرِّواية وخلاصتَها: «... قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعثمانَ يومَ الفتح: «ائتني بمفتاحِ الكعبةِ» فأبطأَ عليه، وجعلت أمُّ عثمان سلافةُ تقولُ: إنْ أَخَذَهُ منكم لا يعطيكموه أبدًا، فلم يزلْ بها حتَّى أعطتِ المفتاحَ، فجاءَ به، ففتحَ به، ثمَّ دخلَ البيت..... ثم دعا عثمانَ بنَ طلحة، فدفعَ المفتاح إليه، وقال: «خُذْها خالدةً مخلَّدةً، إنِّي لمْ أدفَعْها إليكم، ولكنَّ اللهَ دفَعهَا إليكم، ولا ينزعها منكم إلا ظالمٌ» وفي روايةٍ أنَّها نزلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]، فدعا عثمانَ فقال: «خُذوها يابني شيبة خالدةً تالدةً، لا ينزعها منكم إلا ظالم»[2].

إنَّهُ عنْد أُمِّي:

* لا نزالُ نمتعُ الأسماعَ بقصَّة مفتاح الكعبةِ، وسلافة، وابنها عثمان، ونطَّلعُ على هذه الرِّواية الجميلة التي تُظهِرُ تمسُّك أمّ عثمان بمفتاح البيت الحرام، وتُبيِّنُ حرصها على

---

(١) تاريخُ مدينة دمشق (٣٨/ ٣٨٦و ٣٨٧)، والسيرة النبوية في فتح الباري (٣/ ١٢٤) وإتحاف الورى بأخبار أم القرى (١/ ٥٠٨و ٥٠٩).

(٢) فتحُ الباري (٨/ ١٨و ١٩) بتصرف، وانظر: فتح الباري أيضًا (٣/ ٤٦٤)، وإمتاع الأسماع (١/ ٣٩١-٣٩٤)، والوافي بالوفَيات (٢٠/ ٢٣)، وإتحاف الورى بأخبار أم القرى (١/ ٥٠٨-٥١٠)، وغيرها: ويُقالُ لعثمانَ بنِ طلحة: الحَجَبيُّ، ولآل بيته: الحَجَبَة لحجبهم الكعبة، ويُعرفون بالشَّيبيين نسبةً إلى شيبةَ بنِ عثمان بن أبي طلحة، وهو ابنُ عم عثمان بن طلحة، لا ولده. (فتح الباري ٣/ ٤٦٤) و (تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام ص٢٥٨).

ومن الجدير بالذكر أنَّ عثمانَ بنَ طلحة كان يفخرُ بمفتاح الكعبة الذي ظلَّ في بني شيبة، وأقرَّهم عليه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولعثمانَ صحبةٌ وهجرةٌ، وروايةٌ عند مسلم وأبي داود، مات سنة (٤٢هـ). (الأسماء المبهمة، ص٢٧٢و ٢٧٥).

بقائِهِ في يَدِ ابنها، وخلاصتها: «أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلَ بلالًا إلى عثمانَ بنِ طلحة أنْ يأتيَ بالمفتاحِ؛ فقال: إنَّه عند أُمّي، فرجعَ بلالٌ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأخبره أنَّ المفتاحَ عند أمِّه، فبعثَ إليها رسولًا تُسلِّمُهُ، فقالت: لا واللاتِ والعُزَّى لا أوصلُه إليك أبدًا، ولا أبعثُ إليك بالمفتاح، فأرادَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يبعثَ إليها فيأخذه منها قَسْرًا، فقال عثمانُ بنُ طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسولَ الله؛ إنَّها حديثةُ عَهْدٍ بالكُفر، فابعَثْني إليها، فأرسَلَهُ إليها، فقال لها: يا أُمّي! ادفعيهِ إليَّ، فإنَّه قد جاء أمرٌ؛ غير ماكُنَّا عليه، فاعلمي أنَّكِ إنْ لم تفعلي قُتِلْتُ أنا، ويأخذُهُ منكِ غيري، فأدخلَتْه حجزتها وقالت: أيّ رجلٍ يده ههنا.؟! وقالت له: أَنْشُدكَ الله أن يكونَ ذهاب مأثرة قومك على يديك.. ثم قالت له: يابني خُذِ المفتاح»(١).

إسلامُها وبيعتُها:

❋ بعد فتحِ مكَّةَ حلَّتِ الهدايةُ في قَلْبِ سلافةَ أُمِّ عثمان: وآمَنَتْ بالله ربًّا واحدًا، وبالإسلام دينًا قيمًا، وجاءت إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلمتْ، وبايعتْ، وهجرتِ الأوثانَ، وفارقتِ الأصنامَ، وشاءَ اللهُ لها أنْ تكونَ من عدادِ الصَّحابيات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين.

❋ أمَّا ابنهُا عثمانُ بنُ طلحة القرشيُّ العبدريُّ حاجبُ البيت الحرام، فهو أحدُ المهاجرين، هاجرَ مع خالدِ بنِ الوليد، وعمرو بنِ العاص(٢) مُسْلمًا قبل الفتح...

(١) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ١٨)، والرسالة المحمدية (ص٥٠٠) مع الجمع والتصرف.
وانظر: المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٥٤)، وشرح المواهب اللدنية (٣/ ٤٦٩).

(٢) نظمَ هجرةَ عثمان طلحة مع خالد وعمرو أحمد البدوي بن محمدًا فقال:

وانْسبْ لِطَلحةَ ابنَه عثمانًا ... رفيقَ خالدٍ وعمروٍ كانا
لهُ ولابنِ عمِّه شيبة رَد ... نبيُّنا أمانةً طولَ الأبد

(عمود النَّسب الشريف، ص٧٢)، ومعنى قوله «أمانة»: هي مفاتيح الكعبة المشرفة. =

قال صلاحُ الدِّين الصَّفديُّ «هاجرَ عثمانُ بنُ طلحة إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هدنةِ الحديبية مع خالد بنِ الوليد، فَلَقِيا عمروَ بنَ العاص مُقبلًا من عند النَّجاشيّ يريدُ الهجرةَ، فاصطحبوا وقدموا على رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآهم: «رمتكم مكّة بأفلاذِ كبدها»، يريدُ أنَّهم وجوهُ أهلِ مكة»[(١)].

* ولم يزلْ عثمانُ في المدينةِ حتى خرجَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغزوة الفتح؛ فخرجَ معه، وظلَّ في المدينةِ حتى لحقَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفيقِ الأعلى، فرجعَ عثمانُ إلى مكَّة فنزلَهَا حتَّى مات في أوَّل خلافةِ سيِّدنا معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. ولا نعلمُ كثيرًا عن حياةِ أمِّهِ سلافة، وأغلبُ الظَّنِّ أنَّها بقيتْ بمكة إلى أنْ وافتهْا المنيُّة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



= وما أجمل أنْ نشدو بهذه التَّغريدة التي تتكلَّم عن مفتاحِ الكعبةِ وصاحبه عثمان:

وقفَ الرسولُ أمامَ بيتِ الله وقفةَ خاشعين
نادى لعثمانَ بنِ طلحةَ حاجبِ البيتِ الأمين
ورثَ الحجابةَ عن أبيهِ عن الجدودِ الأولين
مفتاحُ بيتِ الله معه دون مكة أجمعين
أعطى له مفتاحَ بيتِ الله في بِرٍّ أمين

(١) صاغ أحمد محرم إسلام هؤلاء الأعلام الثلاثة بقصيدة قوامها (٤٧ بيتًا)، مطلعها:

قمْ ودّعِ الأوثانَ والأصناما ... أفما ترى برهانَ ربّكَ قاما

ومنها قولهُ مع الذي يوافق الفكرة العامة وهي سرورُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم:

ومشوا فما بلغَ الرسولَ حديثهُم ... حتَّى بدا مُتهلّلًا بسَّاما
سرّته مكّة إذر مَتْ أفلاذها ... كبدًا تكن الحبّ والإعظاما
وفدوا كرامًا يؤمنون بربّهم ... ورسوله بيض الوجوه وساما
نفضلوا الهوان عن الجباه فأصبحوا ... شمَّ المعاطس يرفعون الهاما

أُمُّ أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

۞ أخذت مكانةً لائقةً بين الأُمهات، فابنُها سيد الحفاظ.

۞ شرفَتْ مع ابنها بدعاءٍ نبوي مبارك مسطور في الصحيح.

۞ ربَّت ابنها على السخاء، وكان شديد البِرِّ بها.



أُمُّ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

شَرِيفَةٌ في قَومِهَا:

* كانت ذاتَ شرفٍ ومكانةٍ في قومها، فهي من علْيةِ النِّساءِ؛ ولما سكَنَتِ المدينةَ المنوَّرةَ تبوَّأَتْ مكانةً واضحةَ المَعالمِ بين أُمَّهَاتِ الصَّحابةِ، حيثُ اختُصَّتْ بدعاءٍ نبويٍّ ميمونٍ أخرجهَا من الظُّلماتِ إلى النُّور بإذنِ الله العزيزِ الحميد.

* وابنُها واحدٌ من مشَاهير الصَّحابة ونبلائهم وأذكيائهم، كان اسمُهُ في الجاهليَّةِ: عبد شمس، فغيَّره النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمَّاه: عبدَ الرَّحمن، وكان من أوعيةِ العِلْم، وقد انفردَ في زمانِهِ، وفاقَ على أقرانِهِ.

* بَسَطَتِ المصادرُ أكفَّها، وصرَّحَتْ عن اسمِها، فإذا هو: أميمةُ بنتُ صفيح بنِ الحارث مِنْ دوس[1]، وأخوها: سعدُ بنُ صفيح كان من أشدِّ أهل زمانه، ومن أشداء بني دوس[2].

* وابنُ أميمة[3] عبدُ الرَّحمن عَلَمٌ متفرِّدٌ في حفظِهِ وحافظتِهِ، فهو الأوَّلُ، إذ كان حفظُه الخارق من معجزات النُّبوَّةِ ودلائلِها، وإليه المُنتهى في حفظِ ما سمعَه من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأدائه بحروفه.

---

(١) المعجمُ الكبير (٢٥/ ٤٠و ٤١) وسماها: ميمونة بنت صبيح، وأسدُ الغابة (٧/ ٢٦٥)، والمستفاد (٢/ ٥٣٨)، وسيرُ أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٩)، والغوامض والمبهمات (ص٤٩٢)، وغيرها.

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٠)، والمعارف (ص٢٧٧).

(٣) «أميمةُ»: الأُميمةُ: تصغيرُ الأم، وقال الليثُ: تفسيرُ الأم في كلِّ معانيها أُمَّة؛ لأنَّ تأسيسه من حرفَين صحيحَين، والهاءُ فيه أصلية ولكنَّ العربَ حذفت تلك الهاء؛ إذ أمنوا اللَّبْس. ويقولُ بعضُهم في تصغير أمّ: أُميمة، والصَّواب: أُميهه، تُرَدُّ إلى أصلِ تأسيسها، ومَنْ قال أُميمة صغَّرها على لفظها، ويُجْمَعُ الأمُّ من الآدميات أُمَّهات، ومن من البهائم أُمّات، وأميمةُ وأمامةُ: اسمُ امرأة. وأميمةُ اثنتا عشْرةَ صحابية =

* اشتُهِرَ ابنهُا بكنيتِهِ أبي هرّ، أو: أبي هُريرة -وأبو هريرةَ علَمُ الأعلام يعرفُه الخاصُّ والعام-، وعن سَبَبِ تسميته بهذا الاسم قال: «كان اسمي في الجاهليَّة عبدَ شمس بنَ صخر، فسمّيتُ في الإسلام عبدَ الرحمن[١]، وإنَّما كنَّوني بأبي هريرة، لأنيّ كنتُ أرعى غنمًا لأهلي؛ فوجدتُ أولادَ هرَّةٍ وحشيَّةٍ، فجعلتُها في كمي، فلمَّا رجعتُ إليهم سمعوا أصواتَ الهرِّ من حجري، فقالوا: ما هذا يا عبد شمس؟ فقلتُ: أولادُ هرَّةٍ وجدتُها، قالوا: فأنْتَ أبو هُريرة، فلَزِمَتْني بعدُ»[٢].

اللهُمَّ اهْدِها:

* كانت أميمةُ زوجًا لِصَخرٍ، لكنَّ حياتَه لم تطُلْ معها، ومات، وتركَ ابَنه أبا هريرة يتيمًا، فكان أبو هريرة يقول: «نشَأْتُ يتيمًا، وهاجرتُ مسكينًا»[٣].

* وتولَّت أُمُّه رعايتَه، وتركَتْ فيهِ أثرًا طيِّبًا، بعد أنْ هُدِيَتْ إلى الطَّيِّب من القولِ، قال عنها ابنُ عساكر: «وأُمُّ أبي هريرة بنتُ صفيح بنِ الحارث بنِ أبي صعب... أسلَمَتْ، وماتَتْ مسلمةً»[٤].

* يرتبطُ إسلامُ أُمِّ أبي هريرة بدعاءٍ مباركٍ من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حينما قال: «اللهمَّ اهدِ أُمَّ أبي هُريرة» فاستجابَ الله عَزَّ وَجَلَّ الدُّعاء، واهتدتْ أُميمةُ، وسجَّلَتْ فضيلةً باهرةً في

=معروفاتٌ في مصنَّفاتِ التَّراجم والسِّير (تاج العروس ٣١/ ٢٥٢) و (لسان العرب، مادة: أمم) مع الجمع والتَّصرف.

(١) قال الفيروزأبادي عن سيّدنا أبي هريرة: «واختُلفَ في اسمهِ على نيف وثلاثين اسمًا» ثم ساقَ الأسماء، وذكر خمسة وثلاثين قولًا في اسمه، ثم قال: «والأصحُّ من هذه الأقول كلّها عبد الرحمن بنُ صخر... (تاج العروس ١٤/ ٤٢٦ و ٤٢٧).

(٢) المستدركُ (٣/ ٥٠٦)، وسنده صحيح، وأقرَّهُ الذَّهبيُّ في مختصره للمستدرك.
وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٦٩/ ٢٩٨)، وتاج العروس (١٢/ ٤٢٦).

(٣) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ٢٣١).

(٤) تاريخُ مدينة دمشق (٢٩/ ٣١٢)، وانظر: البداية والنهاية (١١/ ٣٦٣).

صحيفتِها، ثم حازَتْ مكرمةً أخرى، فدعا لها ولابنها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الدعاءِ الخالدِ الوضيء فقال: «اللهمَّ حبِّبْ عُبيدَك هذا، وأُمَّه إلى عبادِكَ المؤمنين، وحبِّبْ إليهم المؤمنين»[١].

* أعرضَتْ أُميمةُ باديَء الأَمْر إعراضًا واضحًا عن الإسلام، في حين أنَّ أعراضَها فيه إيلامٌ لابنها الوفيِّ للإسلام ولنَبيِّ الإسلام، لكنَّه لم ييأسْ، ولم يستسلمْ للأوهام، ولم يقنطْ من رحمةِ الله تعالى، وودَّ لو تنتظمُ أُمُّه في عِقْد الصَّحابيات.

* ومرَّتِ الأيَّامُ، وآنَ أوانُ هدايتها، فالتحقَتْ بركبِ المؤمنات، وكان هو السَّببُ في إسلامها، وهدايتها، ودعا لهما النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فربحا وفازا ونَعِما وسعدا بالإسلام.

* فَصَّلَ قَصَّةَ إسلامِ السَّيِّدة أُميمةَ مُسْلمٌ وغيرُهُ من أهلِ العِلْم، بما أخرجوه عن أبي هريرة ابنها، قال: «كنتُ أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركةٌ، فدعوتُها يومًا فأسمعَتْني في رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أكْرَهُ، فأتيتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وأنا أبكي، قلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي كنتُ أدعو أمِّي إلي الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيكَ ما أكْرَهُ، فادْعُ اللهَ أنْ يهدي أُمَّ أبي هريرة، فقال: رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهمَّ اهْدِ أمَّ أبي هريرة» فخرجتُ مُسْتَبشرًا بدعوةِ نبيِّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا جئتُ فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مجافٌ، فسمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَّي، فقالت: مكانَكَ يا أبا هريرة! وسمعتُ خَضْخَضَةَ الماء، قال: فاغتسلَتْ ولبستْ درعَها، وعجلَتْ عن خمارِها، ففتحتِ البابَ، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله؛ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

قال: فرجعتُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتيتُه وأنا أبكي من الفَرح، قال؛ قلتُ: يا رسولَ الله، ادعُ الله أَنْ يحبِّبني أنا وأُمِّي إلى عبادِهِ المؤمنين، ويحبِّبَهم إلينا. قال: قال

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٩١).

رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ حبِّبْ عُبيَدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمَّه إلى عبادِك المؤمنين، وحبِّبْ إليهم المؤمنين**» فما خُلِقَ مؤمنٌ يسمعُ بي، ولا يراني إلا أحبني»[١].

* إذن، من علامات صدقِ المؤمنين حبُّهم أُمِّ أَبِي هريرة، وحبُّ ابنها أبي هريرة، وهذا شيءٌ أوضحُ من شمس الظَّهيرة، فاللهمَّ ارزقنا حبَّهما، وحبَّ الصَّحابة أجمعين..

سنُعْطِيكَ لأُمِّكَ:

* لم يدعِ ابنُ أُميمةَ بابًا من أبواب الإحسانِ إلى أُمِّه إلا طرقَه وفَتَحه، ولا مجلسًا فيه خيرٌ إلا ذكرَهَا، وقد فازتْ أُميمةُ بشيءٍ من الإفْضَال النَّبويِّ.

* روى أبو هريرة أنَّه دخلَ مع نَفَرٍ من أصحابِهِ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وقد أخرجهم الجوعُ، قال: «..... فدعا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطَبَقٍ فيه تمرٌ، فأعطى كلَّ رجلٍ منَّا تمرتَيْن، فقال: «كلُوا هاتَيْن التَّمرتَيْن، واشربوا عليهما من الماء، فإنَّهما ستجزيانكم يومَكم هذا» قال أبو هريرة: فأكلتُ تمرةً، وجعلتُ تمرةً في حُجْزَتي -مَشَدَّ الإزار- فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا هريرة، لِمَ رفعتَ هذه التَّمرة؟» فقلتُ: رفعتُها لأُمِّي، فقال: «كُلْها فإنَّا سنُعطيكَ لها تمرتَيْن»، فأكلتُها فأعطاني لها تمرتَيْن»[٢].

---

(١) أخرجَه مسلمٌ في فضائل الصَّحابة برقم (٢٤٩١)، باب: من فضائل أبي هريرة الدَّوسيِّ.

وانظر: معرفة الصَّحابة برقم (٤٠١٧)، وغوامض الأسماء المبهمة (٢/ ٤٩١و ٤٩٢) برقم (٤٦٧)، والمستفاد (٢/ ٥٣٨) برقم (٥٠٥)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٣)، والبداية والنّهاية (١١/ ٣٦٥و ٣٦٦)، وقال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الحديثُ من دلائلِ النُّبوة، فإنَّ أبا هريرة مُحبَّبٌ إلى جميعِ النَّاس، وقد شَهرَ الله ذِكْره بما قدَّره من إيرادِ هذا الخبر عنه؛ الذي رواه عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإنصات يوم الجمعة عند الخطبة، على رؤوس النَّاس في المحافل الكثيرة المتعددة في سائر الأقاليم، وهذا قدَّره اللهُ ويسَّره من شهر ذِكْره، ومحبَّة النَّاس له، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». (البداية والنهاية ١١/ ٣٦٦).

(٢) طبقاتُ ابن سعد (٥/ ٢٣٤)، وتاريخُ مدينة دمشق (٦٧/ ٣٢٢)، ومختصرُ تاريخ دمشق (٢٩/ ١٨٤).

لولا بِرُّ أُمِّي:

* بلغَ أبو هريرة السُّها في برِّ أمِّه، وكان يذكرهُا في كلامِهِ ومجالسِهِ وأحاديثه، وقد تواترتِ الأخبارُ التي تؤكِّدُ برَّه بها، وترسمُ مدى تأثيرها في ابنها الذي لم يَنْسَ فَضْلَها في حلِّهِ وترحالِهِ، وإليكَ بعضها.

* أخرجَ مسلمٌ عن سعيدِ بنِ المسيب، قال: «قال أبو هريرة: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للعبدِ المملوكِ المُصلحِ أجران» والذي نفسُ أبي هريرة بيده: لولا الجهادُ في سبيل والحجُّ، وبرُّ أُمِّي، لأحببتُ أنْ أموتَ وأنا مملوكٌ. قال: وبلغَنَا أنَّ أبا هريرة لم يكنْ يحجُّ حتَّى ماتَتْ أُمُّه، لِصُحبتها»[١].

* وهذا معناه: أنَّ ابنَ أميمة أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أدَّى فَرْضَ الحجّ مع سيِّدنا أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما ولَّاه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمارةَ الحجِّ، ثمَّ إنَّه حجَّ مع النَّبِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجَّةَ الوداع، ولم يحجَّ بعد ذلك حتَّى ماتَتْ أمُّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

* ولم يتوقَّفْ برُّ أبي هريرة ههنا فحسب، وإنَّما أتحفَ البَرَرَةَ بصُور متألقةٍ تظهرُ اهتمامهَ بأُمِّه، قالوا: «كان أبو هريرة يدخلُ على أُمِّه كُلَّ يومٍ فيقول: جزَاكِ اللهُ يا أُمُّ خيرًا كما ربيتني صغيرًا، وتقول هي: جزاكَ الله يا بنَّي خيرًا كما بررتني كبيرًا».

أطْعمينا شَيئًا:

* سخاءُ السَّيدة أُم أبي هريرة سجيةٌ لديها، فقد كانت تكرمُ مَنْ ينزلُ ضيفًا في رحابها، وكان ابنُها أبو هريرة إذا ما نزلَ أضيافٌ بدارِهِ، ضاحَكَهم، ثم يفيءُ إلى أُمِّه لتجودَ عليهم بما عندها.

---

(١) أخرجه مسلمٌ: وانظر طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤).

* عن حُميد بنِ مالك بنِ خُثَيم، قال: «كنتُ جالسًا عند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرضه بالعقيق، فأتاهُ قومٌ، فنزلوا عنده، فقال: اذهبْ إلى أَمي، فقُلْ: إنَّ ابنَكَ يقرئكِ السَّلام، ويقولُ: أطْعمينا شيئًا، قال: فوضَعَتْ ثلاثةَ أقراص في الصَّحفة، وشيئًا من زيتٍ وملحٍ، ووضعتُها على رأسي، فحملتهُا إليهم. فلمّا وضعْتُه بين أيديهم، كبَّر أبو هريرة، وقال: الحمدُلله الذي أشبَعَنَا من الخبزِ، بعد أن لم يكنْ طعامُنا إلا الأسْوَدَينْ: التَّمرُ والماءُ....»[1].

أَنَا ابنُ أُميمةَ:

* أنا ابنُ أميمة: عبارةٌ لطيفةٌ كانت تداعبُ شفتَي أبي هريرة، ولم تغبْ عن وجدانِهِ، وذكرها أمامَ فاروقِ الأُمَّةَ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخبرَ: «أنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاه ليستعملَه، فأبى أنْ يعملَ له، فقال: أتكرهُ العملَ وقد طلَبَهُ مَنْ كان خيرًا منك؟ قال: مَنْ؟ قال يوسُف بنُ يعقوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فقال أبو هريرة: يوسفُ نبيٌّ ابنِ نبيٍّ، وأنا أبو هريرة ابنُ أُميمةَ....»[2].

* وقد وردَ ذكْرُ أُمِّ أبي هريرة على لسانِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك فيما رواهُ محمدُ ابنُ قيس قال: كان أبو هريرة يقول: «لا تكنوني أبا هريرة، كنَّاني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبا هِرٍّ، قال: «ثكلتْكَ أُمُّك أَبا هِرٍّ» والذَّكَرُ خيرٌ من الأُنثى»[3].

---

(١) سيرُ أعلام النبلاء (٢/ ٦١٠) نقلًا عن الموطأ، والأدب المفرد. وقد جاء في لغةِ العرب من المثنى أشياء كثيرة منها: الأسودان: التَّمر والماء. والأسمران: الرّمح والماء. والأكذبان: الظَّنّ والسَّراب. والأبيضان: الشَّحم والشّباب؛ واللبن والماء. والأزهران: الشَّمس والقمر. والرَّجَبَان: رجب وشعبان. والصَّفَران: محرم وصفر. والرَّافدان: دجلةُ والفرات، والأمرَّان: الفَقْر والهَرَم. والأجدَّان: الليل والنَّهار. والخافقان: المشرق والمغرب، والحرمان: مكة والمدينة.

(٢) الإصابة (٨/ ١٩) وقال ابن حجر: «سنده ضعيف جدًّا، ولكن أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب فقوي، وكان عمر استعمل أبا هريرة على البحرين. وفي سند الحديث: يحيي بن العلاء؛ رُمي بالوضع.

(٣) تاريخ مدينة دمشق (٦٧/ ٣١٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٨٧). وقوله: «ثكلتك أمك»: أي فقدتك، وهي من الألفاظ التي جرت على ألسنة العرِب، ولا يُراد بها الدعاء كقولهم: تربت يداك، وقاتلك الله. (لسان العرب، مادة:ثكل).

❁ إنَّ الحديثَ عن أُمِّ أبي هريرة شائقٌ رائقٌ منعشٌ، وكُنَّا نوُّد أن تكونَ الرحلةُ أطولَ، ولكنَّنا مضطرون للوقوفِ عند هذا القدر، لنقولَ: «إنَّ أمَّ أبي هريرة توفيتْ في حياةِ ابنها، ولعلَّ وفاتها كانت في المدينةِ النَّبويَّةِ أيَّام الخلافة الرَّاشدة، واللهُ أعلم» نسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يحشُرَنا في معيَّتِها ومعيَّةِ ابنها. وسائرِ الصَّحابة والصَّحابيات، والصَّالحين، وحسُنَ أولئك رفيقًا.



خاتمة المطاف

* تمَّ الكتابُ بفضلٍ منَ الله عَزَّوَجَلَّ، وتوصَّلْتُ إلى نتائجَ مهمَّةٍ تبيِّنُ ألوانَ التَّربيةِ النِّسويَّةِ، لأُمَّهاتِ الصَّحابة، وترسمُ شيئًا من وفائهنَّ وصدقهنَّ وفضائلهنَّ. ومن النَّتائج البارزةِ، والمعالمِ الواضحةِ التي استهدفَها الكتابُ:

أولًا: تبيَّنَ أنَّ الإسلامَ دينُ علمٍ وعَمَلٍ، فقد اهتمَّ بالأُمَّهات، وأحاطهنَّ بالرعايةِ الكاملةِ، فكَرمهنَّ القُرآنُ العظيمُ، والرسول الكريمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وظهرَ لنا معنى كلمةِ الأُمِّ والصَّحابةِ في بساتينِ المعاجمِ اللغويةِ، وكتبِ المصادرِ المتنوعة.

ثانيًا: ظهرَ لدينا أنَّ كثيرًا من أُمَّهات الصَّحابة راوياتٌ للحديثِ، عالماتٌ، حصيفاتٌ، وبعضُهنَّ شاعراتٌ كاتباتٌ ذواتُ فصاحةٍ وبلاغةٍ وحكمةٍ، وآثارُهُنَّ التَّربويةُ تشهدُ لهنَّ بالكمالِ والجلالِ وفَصْل الخطاب.

ثالثًا: رأينا أنَّ عددًا من النِّسوة كُنَ سوابقَ إلى دينِ الله، صواحبَ فَضْلٍ وعلْم، يسألْنَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمورِ دينهنَّ، وشؤونِ أولادهنَّ وحياتهنَّ.

رابعًا: لم يَخْفَ على القارئ الكريمِ إسهامُ الأُمَّهات في بناءِ مجدِ الإسلام وتاريخِهِ، ومشاركتُهنَّ في العِلْم والمعرفة، والسِّلم والجهاد، وفلاحُهنَّ في تربية أولادهنَّ وبناتهنَّ، فكانوا نجومًا زواهرَ بينَ الورى.

خامسًا: أدركْنَا أنَّ هؤلاء الأُمَّهات صحابياتٌ فاضلاتٌ شرفْنَ بِمُبَايعةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان لشطرٍ منهنَّ صِلَةٌ مع أزواجِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونَقَلْنَ للأُمَّةِ شيئًا من الأحكامِ والأحاديث والشَّمائل والفضائل، وكانت أُمَّهاتُ المُكثرينَ من الرِّواية، وحفَّاظ الحديثِ صحابيات لهنَّ مكانةٌ في تاريخِ نساءِ الإسلام، وفي العهد النَّبويِّ.

سادسًا: لهؤلاءِ الأُمَّهات، وسائرِ الصَّحابياتِ حقوقُ عظيمةُ على أُمَّةِ الإسلامِ، ومنها:

(أ) تقديمُ سيرة حياتهنَّ للنِّساء كي يقتفينَ آثارهنَّ في أمورِ التَّربية، والعِلْم، والوفاء، والصِّيانة.

(ب) الدفاعُ عنهنَّ، وإزالةُ الشُّبهات التي ألحقهَا الكائدون بسيرة بعضهنَّ، وكشف زيوفِ الماكرين الحاقدين.

(جـ) التَّرضي عنهنَّ وعن أبنائهنَّ كلَّما ذكِرْنَ، وبيانُ دورهنَّ المعطار في بناء الحضارة الإسلامية.

سابعًا: اطلعنا على شيءٍ من الفوائدِ المُتنوعةِ، والمحاسنِ والأوَّليات المباركةِ لهؤلاء الأُمَّهات، وربَّما عرفنا بعضَها للمرة الأولى، كما تعرَّفنا سيرَ أُخريات لم يُكتبْ عنهنَّ بالتَّفصيل من قَبْلُ.

ثامنًا: لمسنا أثرَ الأدبيَّاتِ والهوامشِ المانعةِ النَّافعةِ في تلوينِ الكتابِ وتزيينه، فالأدبُ يغذِّي الأرواحَ، والرّقائقُ تصقلُ النَّفوسُ، والمعارفُ تزيِّنُ العقولُ، وقد وشَّيْنا الكتابَ بما لذَّ وطاب.

* اللهمَّ إنا نسألُك في نهايةِ هذه الخاتمةِ حُسْن الخاتمة، وأنْ تسدِّدَ أقوالنَا وأعمالنَا، وأنْ تلهَمنا سُبُلَ الرَّشاد، وأنْ تغفرَ لنا يومَ لا ينفعُ مالُ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

* اللهمَّ ثبِّتْنا بالقولِ الثَّابت في الحياةِ الدُّنيا، وفي الآخـرةِ، ووفِّقْنا لما تحَّب وترضى...

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وكتبَ

خادم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبهم

أحمد خليل جمعة

الحرستاني الدمشقي

فهرس المصادر والمراجع[1]

١- القرآنُ الكريم: أحكامُهُ، تفاسيرُه، علومُه المتنوِّعَةُ.

٢- الحديثُ النبويُّ: الصَّحيحان، السُّننُ، المسانيدُ، وسائرُ كتبِ الحديث المعروفة مع شروحها.

٣- معاجمُ اللغة: القديمةُ والمعاصرةُ.

٤- الموسوعاتُ المتنوعةُ: نضرةُ النَّعيمُ، الموسوعةُ الفقهيةُ الكويتيةُ.

٥- الآدابُ الشَّرعيةُ: لابن مفلح، تحقيق: شُعيب الأرنؤوط ورفيقه، مؤسسةُ الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦- إتحافُ الورى بأخبارِ أُمّ القرى: للنَّجم عمر بن فهد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧- الاستبصارُ في نَسَب الصَّحابة من الأنصار: لابن قدامة، تحقيق: علي نويهض، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

٨- الاستيعابُ: لابن عبد البرِّ، صحَّحه: عادل مرشد، دار الأعلام، عمَّان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٩- أسدُ الغابة: لابن الأثير، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٠- الأسماءُ المبهمةُ في الأَنْباء المْحكمة: للخطيب البغداديِّ، أخرجه: دكتور عزّ الدين علي السَّيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(١) كانت المصادرُ كثيرةً، ولا يمكنُ أنْ نوردهَا ههنا، ولكنَّا سنذكرُ بعضها، وقد نوَّهنا إلى الباقي في الكتابِ مع الإشارة إلى الطَّبعات وأرقامها. والله من وراء القصد.

١١- الاشتقاقُ: لابن دريد، تحقيق وشرح: عبد السَّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٢- الإصابةُ: لابن حجر، طبعة مصوَّرة عن طبعةِ كلكتا عام ١٨٥٣م.

١٣- أعلامُ النِّساء: لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٨٩م.

١٤- الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

١٥- ألفُ با: للبلوي، تصحيح: مصطفى وهبي: المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٧هـ.

١٦- أَلفيةُ السِّيرة النبوية: للحافظ العراقي، تحقيق: محمد علوي المالكي، دار المنهاج.

١٧- إمتاعُ الأسماع: للمقريزي، تحقيق: محمد بن عبد الحميد النَّميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٨- إنارةُ الدُّجي في مغازي خير الورى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شرح حسن المشاط، دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

١٩- أنباءُ نجباءِ الأبناء: لابن ظفر الصِّقلي، لا يوجد اسم دار نشر.

٢٠- أنسابُ الأشراف: للبلاذريّ، تحقيق: سهيل زكار ورفيقه، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢١- البدايةُ والنهايةُ: لابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٢- البدرُ التمام شرحُ بلوغِ المرام: لحسين المغزبي، تحقيق: د. محمد خرفان، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٣- البصائرُ والذخائرُ: للتَّوحيديِ، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٤- بُغيةُ الطَّلب في تاريخ حلب: لابن العديم، حققه: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت.

٢٥- بهجُة النَّفوس وتحليها بمعرفةِ مالها وما عليها: لابن أبي جمرة الأندلسي، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ.

٢٦- بيعةُ النِّساء في القُرآن والسيرة: د.أحمد خليل جمعية الحرستانيّ الدمشقيّ، دار اليمامة، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٧- تاريخُ الإسلام: للذَّهبي، تحقيق د. عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٨- تاريخُ بغداد: للخطيب البغدادي، حققه د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٩- تاريخُ دمشق: لابن عساكر، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٠- التاريخُ القويمُ لمكةَ وبيتِ الله الكريم: لمحمد طاهر الكردي، دار خضر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣١- التبصرةُ: لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٢- التَّبيينُ في أنساب القرشيين: لابن قدامة المقدسي، حققه: محمد نايف الدليمي، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢م.

٣٣- تجريدُ الأغاني: لابنِ واصل الحموي، تحقيق: طه حسين وإبراهيم الأبياري، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

٣٤- تحصيلُ المرام في أخبار البيت الحرام: لمحمد أحمد المالكي المكي الصبّاغ، تحقيق: د. عبد الملك دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٥- تربيةُ الأولادِ في الإسلام: لعبد الله علوان، طبعات مختلفة.

٣٦- تغريدة السيرةِ النبويةِ: لمحمد عايش عبيد، مكتبة دار التراث، القاهرة، دون تاريخ.

٣٧- تقريبُ التهذيب: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ، وطبعات أخرى.

٣٨- تلقيحُ فهومِ الأثر في عيون التاريخ والسير: لابن الجوزي، مكتبة الآداب، مصر، دون تاريخ، وطبعات أخرى.

٣٩- تهذيبُ الأسماء واللغات: للنَّوويِّ، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، أو ذكر رقم الطبعة.

٤٠- تهذيبُ الكمالِ في أسماء الرجال: للمِزِّيِّ، حقَّقه د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

٤١- ثمارُ القلوبِ: للثَّعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م. وطبعة دار البشائر.

٤٢- جمهرةُ أنسابِ العرب: لابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٤٣- حُسْنُ الأسوةِ بما ثَبَتَ من الله ورسولهِ في النسوة: لمحمد صديق القنوجي، حققه: د. مصطفى الخن ورفيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٤- حليةُ الأولياء: لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

٤٥- الخلافةُ الراشدةُ والدولةُ الأمويةُ من فتح الباري: إعداد يحيى اليحيى، دار الهجرة، دون تاريخ.

٤٦- درُّ السَّحابة في مناقب القرابة والصَّحابة: للشَّوكاني، تحقيق: د. حسن العمري، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م.

٤٧- الدررُ في اختصارِ المغازي والسِّير: لابن عبد البرّ النّمري، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٨- الدرُّ المنثورُ في طَبَقات ربَّات الخدور: لزينب فواز العاملية، طبعة مصورة في مكتبة ابن قتيبة، الكويت، دون تاريخ.

٤٩- دلائلُ النُّبوة: للأصبهاني، حققه د. محمد رواس قلعجي ورفيقه، دار النفانس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٠- دلائلُ النبوة: للبيهقيّ، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٥١- ديوانُ أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حققه وشرحه محمد شفيق البيطار، شراع للدراسات، ط١، ١٩٩٣م.

٥٢- ديوانُ مجد الإسلام: لأحمد محرم: صححه: محمد إبراهيم الجيوشي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣١٣هـ -١٩٦٣م.

٥٣- ذخائرُ العقبى في مناقبِ ذوي القربى: للمحبّ الطَّبري، حققه: أكرم البوشي، ط١، لا يوجد اسم دار.

٥٤- ذيولُ تاريخِ الطَّبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

٥٥- ربيعُ الأبرار: للزَّمخشري، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، وطبعات أخرى.

٥٦- رفْعُ الخفا شرحُ ذات الشِّفا: لمحمد الآلاني الكردي، تحقيق: حمدي السلفي ورفيقه، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٧- الروضةُ الأنيقةُ في نُصرة العفيفةِ الصِّديقة: ليحيى عطية الصَّامولي الأزهري، دار التقوى، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ - ٢٠١١م.

٥٨- الروضُة الرّيا فيمن دُفِنَ بداريّا: لعبد الرحمن العمادي بتحقيق: عبده علي كوشك، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٩- الرياضُ النَّضرةُ في مناقبِ العشرة: للمحب الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٦٠- زادُ المعَاد: لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ورفيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٥، ١٩٩١م.

٦١- سُبلُ الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد: للصَّالحي الشَّامي، تحقيق: مجموعة من العلماء والأفاضل، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦٢- سيرُ أعلام النُّبلاء: لشمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من العلماء والأساتذة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣- ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٦٣- السيرةُ الحلبيةُ: لابن برهان الدِّين الحلبي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٦٤م، وطبعة مصرية قديمة جدًّا.

٦٤- السيرةُ النبويةُ في ضوءِ المصادرِ الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦٥- السيرةُ النبويةُ في فتحِ الباري: جمع وتوثيق: د. محمد الأمين محمد الشنقيطي، لا يوجد اسم دار ولا تاريخ طبع الكتاب.

٦٦- شاعراتُ العربِ: جمع وتحقيق: عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، وشاعرات العرب لبشير يموت.

٦٧- شذراتُ الذهب في أخبار مَنْ ذهب: لابن العماد الحنبلي، حققه: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦٨- شرحُ ديوان حسان بن ثابن الأنصاري: لعبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

٦٩- شرحُ قصيدة ابن عبدون: لابن بدرون، طبعة ليدن، ١٨٤٦م.
٧٠- شرحُ المواهبِ اللدنية: للزُّرقاني، صححه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٧١- الشريعةُ: للآجري: تحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
٧٢- الشَّيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما برواية البلاذري، تحقيق د. إحسان صدقي العمد، دار المؤتمن للنشر، لا يوجد رقم ولا تاريخ الطبعة.
٧٣- صَبُّ العَذاب على مَنْ سبَّ الأصحاب: لمحمود شكري الألوسي، تحقيق: عبد الله البخاري، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٧٤- صحيحُ السِّيرة النَّبويةِ: لإبراهيم العلي، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٧٥- صحيحُ وضعيفُ تاريخ الطَّبري: للطبري، حققه محمد البرزنجي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٧٦- صفةُ الصَّفوة: لابن الجوزي، حققه: محمود فاخوري ورفيقه، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٧٧- طبقاتُ الشَّافعية: للسّبكي، تحقيق: محمود الطناحي ورفيقه، طبعة مصورة.
٧٨- الطبقاتُ الكبيرُ: لابن سعد، تحقيق: د. علي محمد العمير، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٧٩- عِشْرةُ النِّساء: للنَّسائي صاحب السُّنن: حقَّقه: عَمْرو علي عمر، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٨٠- العقدُ الثَّمين في تاريخ البلد الأمين: لتقي الدين الفاسي المكي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٨١- العِقدُ الفريدُ: لابن عبد ربه، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٨٢- عمودُ النَّسب الشَّريف: لأحمد البدوي بن محمد الشنقيطي، أعدّه: محمد محفوظ بن أحمد، المكتب العربي للخدمات الثقافية، مورتانيا، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٨٣- عيونُ الأثر في فنون المغازي والسّير: لابن سيد الناس، تحقيق د. محمد العيد الخطراوي ورفيقه، دار ابن كثير، دمشق ط١، ١٩٩٢م.

٨٤- عيونُ الأخبار: لابن قتيبة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٣م.

٨٥- الغُرباءُ: للآجري، تحقيق: بدر البدر، ط١، ١٤٠٣هـ.

٨٦- غربالُ الزَّمان في وفياتِ الأعيان: ليحيى العامري اليماني، صححه: محمد ناجي العمر، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٨٧- الغَوامضُ والمبهمات: لابن بشكوال، تحقيق: محمود معراوي، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٨٨- الفاضلُ في صفةِ الأدب الكامل: للوشاء، تحقيق د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٨٩- فتوحُ البلدان: للبلاذري، نشره: د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ.

٩٠- الفرجُ بعد الشِّدة: للتَّنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

٩١- الفقهُ الإسلاميّ وأدلته: د. وهبة الزُّحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

٩٢- الكاملُ في التَّاريخ: لابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٩٣- كتابُ السُّلطان: لابن قتيبة، دراسة وتحقيق: أيمن بحيري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، دون تاريخ.

٩٤- المجالسةُ وجواهرُ العِلْم: لأبي بكر أحمد بن مروان الدنيوري، خرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار بن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٥- المجموعةُ النَّبهانيةُ في المدائح النبوية: ليوسف النبهاني، مطبعة المعارف، بيروت، ١٣٢٠هـ، وطبعة دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

٩٦- المحبَّرُ: لأبي جعفر محمد بن حبيب، صححه: د. ايلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دون تاريخ.

٩٧- مَحْضُ الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: لابن المبرد، تحقيق: د. عبد العزيز الفريج، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٩٨- مختصرُ تاريخ دمشق لابن عساكر: لابن منظور، تحقيق: عدد من الأساتذة والفضلاء، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٩٩- مرآةُ الجنان وعبرةُ اليقظان: لليافعي اليمني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٠٠- المُستفادُ من مُبْهمات المتنِ والإسناد: لأبي زُرعة العراقي، تحقيق: د. عبد الرحمن البر، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٠١- المصباحُ المُضي في كُتَّابِ النَّبيِّ الأُمّي: لابن حديدة الأنصاري، صححه: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠٢- المُصنَّفُ: لابن أبي شيبة العبسي الكوفي، حققه: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٠٣- المعارفُ: لابن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

١٠٤- المعالمُ الأثيرةُ في السُّنَّة والسِّيرة: لمحمد شراب، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٠٥- معجمُ البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

١٠٦- معجمُ الذين نُسِبُوا إلى أمهاتهم: لفؤاد صالح السيد، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

١٠٧- معجمُ الصَّحابة: لأبي القاسم البغوي، تحقيق: محمد الأمين الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، دون تاريخ.

١٠٨- المغازي: لموسى بن عقبة، جمع ودراسة: محمد باقشيش أبو مالك، المغرب،١٩٩٤م.

١٠٩- المغازي: للواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

١١٠- المغازي النَّبويةُ: لابن شهاب الزهري، حققه: د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١١١- المفصَّلُ في أحكام المرأة والبيت المسلم: د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١١٢- المنتظمُ في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي، دراسة: محمد عبد القادر عطا ورفيقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١١٣- نَسَبُ قريش: لمصعب الزبيري، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ط٣، دون تاريخ.

١١٤- نظامُ الحكومةِ النَّبوية المسمّى التَّراتيب الإدارية: لمحمد الكتاني، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط٢، دون تاريخ.

١١٥- نكْتُ الهِمْيَان في نُكَت العميان: لصلاح الدين الصفدي، وقف على طبعه: أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ-١٩١١م.

١١٦- نهايةُ الأربِ في فنون الأدب: لشهاب الدين النويري، تحقيق: جماعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

١١٧- نوادرُ المخطوطات: لمؤلفين عدة، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

١١٨- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصَّفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ورفيقه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

وهناك مئات المصادر والمراجع منثورة في ثنايا الكتاب، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ القبول.



المحتويات

تم بحمد الله



الشهادتان

أول واجب على كل إنسان

ومعه

الإلحاد غير مستطاع

و

اليقين والشك

عدوان لا يلتقيان، ونقيضان لا يجتمعان

و

علم الكلام في الميزان

إعداد

محمد أحمد إسماعيل المقدم

توزيع

دار الخلفاء الراشدين — دار الفتح الإسلامي



فطرية الدين

وبيان معنى أن كل الناس يولدون مسلمين

أو

اقتضاء الفطرة الإسلام

تأليف

محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم

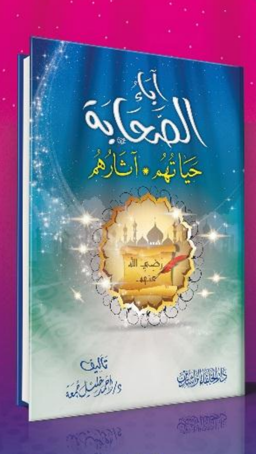
عفا الله عنه



توزيع

دار الخلفاء الراشدين — دار الفتح الإسلامي

أمهات الصحابة
سيرتهن * آثارهن
د/ أحمد خليل جمعة



توزيع



الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦ - ٠١٠٠٥٠١٣١٥١
dar_alkholafaa@yahoo.com



الإسكندرية - بمصطفي كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧ - ٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦
dar_alfath@gawab.com